

# أدب

## في فن النقد

### أبحاث

التاريخ بين القومية والانسانية	الدكتورة غزة النص
قرأت العدد الماضي من الآداب	الدكتور سهيل انيس
« الله » في « الخندق العميق »	سميرة عزام
كامو والبحث عن السعادة	ترجمة محيي الدين اسماعيل
فصل الخطاب في الفرعونية	علي بدور
مفهوم العمل الادبي	الطيب الشريف

### قصائد

هدية صغيرة الى اختي ماري	ناجي علوش
مدينة تاكل الجياح	احمد محمد صديق
لهات الارض	ظافر الحسن
سنتل جزائريا خضراء	محمود كلزي
نبوية	كامل ايوب
الحب والمطر	عبدان كيلاني
حوار	عبد العزيز ع. محمود

### قصص

الجوع والضمير والليل	احمد سويد
الحصرم	خالد الشريقي
دخان الذكريات	يوسف احمد محمود



دار الآداب نفدّم

# التربية القومية

بمّحث في مبادئ القومية العربية ووسائل التربية عليها

بقلم الدكتور عبدالله عبد الدائم

صدر حديثا

## عيناك ومهرجان ..

ديوان جديد لشاعر « عبقر » :

شفيق المعلوف

يصدر قريبا

## فضايا الشعر المعاصر

ابحاث في الشعر العربي الحديث

بقلم

نازك الملائكة

يصدر قريبا

العدد الرابع

نيسان ( أبريل )

السنة الثامنة

8ème ANNEE

No. 4 Apr. 1960



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير

والمدير المسؤول

الدكتور سويل إدريس

[Rédacteur en chef et  
directeur

SOUHEIL IDRIS

## تاريخ بين القومية والانسانية

بقلم الدكتور عزت عنان

الوحدة والشمول ، فهو يسعى عن شعور او غير شعور الى الخروج من المغلق الى المفتوح ومن الخاص المحدود الى العام المطلق . بذلك انتقل من عصبية الاسرة والقبيلة الى قومية الامة وهو مسير في الطريق نحو عالمية الامم او اممية العالم .

فما هو موقف التاريخ كعلم من هذه المسبقات ؟ الا يمكن ان يكون طور الامة هو طور الاكتمال ، والبلوغ اليه اشبه بالتطور من الطفولة نحو سن الرشد ؟

الفلسفة تقول عن تصور والتاريخ يقول عن تثبيت .

ماذا يروى التاريخ عن محاولة سحق القوميات فسي ظل الامبراطوريات ؟ هل كان ذلك طبيعيا ومطابقا لسنن الكون ؟ واذا كان طبيعيا فلم لم يستمر في الوجود ؟ بينما خرجت القومية دوما ظافرة مكينة البقاء .

والمحاولات الروحية للمؤاخاة بين البشر والوصول بهم الى المدينة الفاضلة التي حلم بها الطوباويون ، هل نجحت في محو القوميات ؟ ام على العكس كان الدافع اليها تثبيت القوميات وتعزيزها عن طريق القضاء على مهدداتها ؟

تجربة الاجابة عن بعض هذه التساؤلات هو موضوعنا . وشاهدنا هو علم التاريخ .

سنحاول اولا التدليل على اهلية هذا العلم للشهادة وتبرير وجوده وتأكيد ضرورته للقومية والانسانية بالذات . وسنعمد ثانيا الى عرض فيلم كلامي عن تاريخ تلك القومية والانسانية .

التاريخ ضرر ام ضرورة

ولعلي استبقت الامور ووضعت المحراث امام الثور كما

ما أكثر ما ينهمر الحديث في دنيا العرب اليوم عن القوم والقومية والعرب والعروبة والانسان والانسانية ، سواء في المعتزك السياسي ام على المستويات الادبية والفلسفية .

ولا نكران ان هذه القضايا من التشعب والتشابك بحيث تبرر خصب البحث وتنوع القول . على ان وضوح المفاهيم لا يتناسب في الغالب مع وفرة الشروح . . وقد توغل الفكرة في الغموض بقدر ما يطرح عليها من الحواشي والتفاسير ولست اطمح ان اخرج عن هذه السنة . .

والموضوع ، ليس جديدا ، ولعلي لن اتي فيه بسوي جديد ، فيما خلا اثارة المزيد من التساؤلات . واذا كان لا مفر من البدء بالبداية ، اي بالتعاريف ، فلنقدم المثال قبل الاحكام :

في وطننا الكبير شعوب تناثرت اوصالها ، وتحكم فيها الاعاجم والأتراك والافرنج مئات السنين ، وبقيت رغم ذلك وفية للفتها او مثلها وتراثها . في كل بلد للعروبة ظلت قلوب تهفو الى معانقة قلوب ، ووجوه ترنو الى لثم وجوه وايد تسعى الى مصافحة ايد شقيقة حانية . .

القومية ليست الا هذا . . . مهما عمقت الفلسفة جوانبها ، وضخم المجهز عناصرها . والانسانية في داخل القومية تعني بكل بساطة ان نعامل ابناء قومنا بما نحب ان يعاملونا به ، وفي الاطار الخارجي ان يتعامل قوم مع الاقوام الاخرين بمثل ما يودون ان يكون التعامل معهم .

يجهد الفلاسفة ان يثبتوا نزعة الانسان الطبيعية الى

يقول المثل الفرنسي فجزمت بوجود شيء اسمه علم التاريخ قد لا يكون له في نظر العارفين أي كيان حقيقي ، والواقع ان التاريخ مدون عند جميع الشعوب ان لم يكن في الاسفار ففي الصدور على أضعف احتمال . ولكن تدوين الحوادث شيء وتدوينها على حقيقتها شيء آخر . وأشك يطرأ على التاريخ من هذه الجهة .

ويطرأ عليه أيضا من جهات أخرى ، وهي بالذات الجهات المتصلة بالقومية والانسانية .

يقول المرتابون : ما جدوى معرفة الماضي ؟

ويخلص بعضهم من الشك الى اليقين فيقرر بان التاريخ يديم الاحقاد ويحفظ حرارة البغضاء بين طوائف الامة الواحدة وبين الامة وغيرها . وبذلك يمنع السلام من ان يستوي على الارض .

واقول المنددين ضراوة يأخذون على التاريخ تجميد الامم على موارثها العتيقة ، وخنق الاحياء تحت كابوس الملايين من الاموات ، وتعطيل قوى التقدم والابداع ، وبالتالي تعريض المجتمعات الى التخلف ثم التهافت ..

واخيرا هنالك الذين يتساءلون : هل يمكن الحياد في التاريخ ؟ وهل يستطيع المؤرخ ان يتحرر من عاطفته الوطنية والقومية بل والشخصية ؟ واذا أمكن كل ذلك فهل هذا التحرر شيء مرغوب فيه ، ولاسيما في التربية والتعليم ؟ ولقد تصدى للدفاع عن التاريخ علماء في كل امة من الامم . وكتب بلسانهم الاستاذ ( لويس هالفن ) في مؤلفه ( المدخل الى التاريخ ) المنشور عام ١٩٤٦ فقال : « لم تؤلف كتب في التاريخ بعدد ماؤلف في ايامنا ، ومع ذلك لم يجحد تقع الدراسات التاريخية بقدر مايجحد في زماننا . لقد اصبح رائجا ان يهزا من المؤرخين في عبث الجهود التي يبذلونها ، وان تنكر كل قيمة علمية لاعمالهم . » ورد الاستاذ هالفن على ذلك يتكشف في هذه الجملة المعبرة :

« انه لمن الاسهل ان يشتم التاريخ من ان يستغنى عنه . » وقد يتخذ الطعن في التاريخ شكل العبث الهازل ، وهو يخفي وراء الابتسامة العريضة اقتم الوان النقد والتجريح . من ذلك ماكتبه عن المؤرخين الاديب الاميركي الساخر ( مارك توين ) .

زعم ذلك الاديب انه دعي الى القاء محاضرة على جمع مهيب من شيوخ المؤرخين ، فاختر عنوانا لمحاضرتة « فن الكذب في انحطاط » وقال فيها :

« لست ازعم ان عادة الكذب تعاني ضعفا او تشكو انحطاطا ، فالكذب هو مبدأ خالد وفضيلة ازلية . وفي الكذب تسلية للمكروب وعزاء للعاني وملجأ أمين للبائس . ان الكذب صديق الانسان الاول ورفيقه الامل ..

ولا خوف على الكذب من الزوال وانتم في الوجود ، معشر المؤرخين ، وان كنت اشكو فما اشكو سوى انحطاط فن الكذب ... واذا عاجلت هذا الموضوع امامكم فاننا اعالجه على تهيب واستحياء ، فانتم معشر المؤرخين سادة

هذا الفن واشياخه .. ومثلي معكم كمثلي العانس لم تلابس الحياة تتصدى لتدريب قهرمانة عركها الدهر من بنات اسرائيل ... وفي الحق لو كان لفن الكذب - اجمل الفنون الجميلة - انصار مخلصون مثلكم كثيرون يشجعونه ويرعونه ويغذونه ويمارسونه ممارسة دائبة صادقة ... لو اتيح له اندية كثيرة كناديكم هذا لما اعتراني الجزع وغلبنى الدمع .. ولا اقول ذلك ممالة ونفاقا ، وانما هو الحرص على تقدير الناس حق قدرهم ... »

### الانسان حيوان مؤرخ

وبعد لا يعنيني هنا الدفاع عن التاريخ كعلم ، فالحقيقة في التاريخ يجب ادراكها . ومن الممكن ادراكها ، عن طريق جمع الوثائق ومقابلتها وعرضها على ميزان الفكر ، وتعريضها للجرح والتعديل .

والذي يعنيني تأكيد الان هو ان التجني على التاريخ لايربحنا منه ، لانه في نفوسنا قبل ان يكون في الكتب التي نقرؤها طوعا ، او تفرض علينا بطريق التعليم المدرسي . اللغة التي نطق بها والنغم الذي نهتز لسماعه ، والمنظر الذي يعجبنا ، والعادات التي تتحكم فينا ، وشكل الحكم الذي يسيرنا ، والثوب الذي نرتديه والغذاء الذي نقتات به .. كل ذلك تاريخ لانه نتاج تفاعل الحاضر مع ارث الماضي . وما دام للمرء ذاكرة يستند اليها في سلوكه ، فهو مؤرخ شاء ام ابى ، والتاريخ هو عنصر التوازن في شخصيته ولعل من ابرز صفات الانسان انه حيوان مؤرخ .... وموضع الفرد من اسرته ورهطه ودولته وامته ، وموضعه في العالم انما تحدده ظروف البيئة الزمنية التي وجد فيها . ولذا فان القومية هي ذاكرة قبل كل شيء ، وبتعبير اخر ان التاريخ هو ذاكرة المجتمع .

حياتنا صيرورة مستمرة ، هي نهر له نبع ومصب ، ولا يمكن ان يستغنى المصب عن النبع . كل شيء في هذه الحياة هو تسلسل ، ونحن مدفوعون بغرائزنا الى تعليل الحوادث التي نشهدها او تقع لنا بهذا التسلسل .

ان تعليل الحاضر ، بل ان فهم مشاكل الحاضر منوط بملاحظات ما قبل الحاضر مباشرة ، وما قبل الحاضر مباشرة هو التاريخ .

### التاريخ والقومية العربية .

بعض المجددين منا يدعون الى الثورة على التاريخ وقطع جذور الماضي وبناء مستقبلنا الجديد على ركائز جديدة .

واني لاتساءل كيف يمكن ذلك ؟ هل نشور على ما نجهل ؟ ولقد رد على هؤلاء صديقنا الدكتور قسطنطين زريق في كتابه الرصين « نحن والتاريخ » .

حتى الثورة على التاريخ - اذا كان فيه ما يثار عليه - تقتضي اولا معرفة ذلك التاريخ . ان اكثر المجددين تجردا واشد الثائرين ثورة ، لا قبل لهم بمحو الماضي ، كل الماضي ، بل لا مفر لهم من الاستناد اليه .

قد يظن ان الثورات هي فصل ما نحن فيه عما كنا عليه

كما اثبت العالم برديف . والمهم في بناء القومية تمييز  
العمد الثابتة عن المظاهر المتغيرة .

وما يصح في النظم واساليب الحياة يصح في الاشخاص .  
ذلك ان التاريخ القومي كان ، ويجب ان يكون على  
الدوام . كنزا من التجارب المتجددة . كل كائن يتمثل  
اولا ماصنع اسلافه . وهذا هو معنى التاهيل الاجتماعي  
بالتاريخ . ثم يبدأ هو رسالته كإنسان ، فيضيف شيئا  
جديدا الى التراث القديم .

ولعل خير مانسوحى من الماضي تلك الطاقة المعنوية  
التي دفعت المصلحين الى الاصلاح والمجددين الى التجديد .  
من ابطالنا الشجعان نستلهم شجاعتهم لا أساليبهم  
فى الطغيان .

ومن علمائنا الافاد نسمد مدرتهم على البحث والفوص  
لا ماوصلوا اليه بالفعل .

من الماضين تبقى لنا حماسة نبيلة وهيجان خلاق . .  
ولا يعني الاديبي الفرنسي « مورييس باره س » سوى  
ذلك حين يقول :

« ان من واجبا بل من ضروريات حياتنا ان نحسب  
امواتنا . فاية قوة تنبعث عنهم . ايها الاموات كم انتسم  
احياء! . . . »

ان الفرد اذن هو امتداد لامته لا تكرار لها وهو متضامن  
مع الاجداد على اتمام مهمتهم لا على اعادة سيرتهم .

والواقع هو العكس . ليست الثورة سوى نتيجة لتخمر  
طويل . فهي حلقة وصل لانها في وقت واحد بدايئة  
ونهاية : نهاية عهد مدموم وبداية عهد مرجو فيه . ولولا  
العهد الماضي لما كانت الثورة ولما بدا العهد الجديد .

لولا القيصرية الروسية لما كانت البلشفية . واذا محي  
تاريخ القيصرية ، كانت جمهوريات الاتحاد السوفياتي  
لفزا من الانفاز .

وفي تاريخ امتنا . وفي تاريخ كل امة ، محامد ومثالب  
وليس دور المثالب باقل شانا في عبرة التاريخ من الامجاد  
والمآثر .

تذكر الخصومات والمنارعات الحربية والطائفية ضروره .  
ليبان اثرها في تفكيك القوام العربي ، وبالتالي دعوة الى  
التنكب عنها في الحاضر والاتي .  
معرفة التفرقة الغابرة بدء المسير على درب الوحدة  
العتيدة .

ادراك عوامل التخلف التاريخي نقطة الانطلاق في  
التجديد .

وليس من دروس التاريخ الجهر في كل مناسبة بان  
الاستعمار الاجنبي سبب تجزئتنا السياسية . لقد كان  
التفتت ثم كان الاستعمار . او بالاحرى كان الاستعمار  
بسبب التجزئة ، فادامها وثبتها وعمق جذورها .

ونحن نغالط في التاريخ حين ننسب ضعفنا وتخلفنا  
الى المستعمرين الغاصبين . الحقيقة ، اننا ضعفنا وتخلفنا  
فاستعمرنا ، ثم امعنوا في اضعافنا وصدونا عن التقدم .  
تاريخ العرب سجل لانتصاراتهم ولتراخي عزائمهم .  
والقومية العربية ، المنطلقة اليوم على درب القمم ، تعرف  
طريق النصر لانها ذاقت قبل ذلك مرارة الهزيمة .

قصدت الى القول بان التاريخ القومي كل متكامل . فيجب  
ان لا يتر منه صحائفه السود . وان لا تصطنع فيه الامجاد  
وتضخم البطولات . .

التاريخ هو قبل كل شيء مدرسة للصدق . وليس من  
القومية في قليل او كثير بناء تلك القومية على اسس  
موهومة او مفتعلة ، والحقيقة هي دوما انفع للعبرة الوطنية  
من اختلاق الحقيقة .

والتاريخ العربي مزدحم بالمآثر . واييس من ضروره للمنه  
بالاساطير . ومن الخطر على القومية العربية بالسيدات  
التعويض عن نقص الحاضر باوهام الماضي .

**تقديس ام تجديد ؟**

واذا قلنا ان التاريخ القومي موضع عبدة واداة حفز  
وموئل اطمئنان ، فاننا نقول في الوقت ذاته : قد يكون  
ذلك التاريخ خميرة تجميد وعامل وقوف ووسيلة حجر  
على القوى المتفتحة للخلق . والابتكار . .

عبادة الاجداد وتقديس كل قديم والحفاظ على معالم  
القرون الاولى في ظهيرة العصور الحديثة . . كل ذلك قاد  
امة الصين الى الانهيار .

والواقع ، ان في كل حضارة اسسا خالدة واخرى زائلة

## جراح تغني

اول ديوان تنبض كلماته بتجربة جيل بكامله

اول ديوان تألق في حروفه ما في شعب وفضائله  
اول ديوان يروي قصة اخياناته بصراحة  
اول ديوان يتعهد فيه جراح شهادتنا .

جراح تغني  
ديوان الشاعر الكبير  
كمال ناصر



دار الطليعة للطباعة والنشر

توزيع الشركة العربية للتوزيع

من الافتئات على التاريخ الزعم بأنه يتكرر بينما هو يتطور .

ومن الجهل بالحضارة الوهم بأنها اعادة مستمرة . بينما هي خلق دائم لايفتر . التاريخ ، على راي المؤرخ « توينبي » هو حضارة لا اقل ولا اكثر . حضارة تنشأ عن تحدي البيئة الطبيعية المستمرة للبشر ، واضطلاع الاقلية المبدعة في الامة برد الفعل على ذلك التحدي .

الاساس ان تكون لدى طائفة من القوم عقدة نفسية تراكم التصميم وتحفز دوما على التجديد . وتفكك الحضارة حتما حين تفتقد الاقلية المبدعة وتبقى تحديات الطبيعة دون ردود فعل .

وبالاستناد الى هذه الحقائق الواضحة يستنتج توينبي دستور ضعف الامم . فيقرر ان الغزو من الخارج لاينال من الامة اذا كانت حضارتها مستمرة في النمو ، والحضارة تزول بالانتحار ولا تزول بالقتل .

### قومية ام اممية

والحضارة اوسع نطاقا من القومية ، كما ان اشعاع الشمس ابعد مدى من الشمس . واذا كانت القومية لاتعارض مع تبادل الحضارات او تلاقيها ، فانها تآبى ان تحل الاممية السياسية محل الحضارة الانسانية .

ان من هبات التاريخ لنا اقامته البراهين تلو البراهين على ان الطلة القومية كانت ولا تزال اثبت ظاهرة اجتماعية .

## جيل القدر

أول قصة عربية ترسم  
أصدق صورة لجيلنا ، في قلعه  
وضياعه ... في أهله وأمانه  
في نطلعه للمستقبل الكبير ... في  
فضاله لتعقيد مصيره ، إنه :

## جيل القدر

الجيل الذي حقق قدره كاملاً

## جيل القدر

قصة : وطاع صفدي

مكتبة

مصدرها : دار الطليعة . للطباعة والنشر : فوزي : المركز العربي للدراسات

منذ القديم ظهر عند الانسان النزوع الى العالمية سواء كان ذلك في المجال الحضاري والديني ام في الميدان السياسي . قامت الامبراطوريات في كل مكان على الارض ، تسلطت دول على دول وشعوب على شعوب ، فماذا كانت النهاية ؟

في كل مرة كانت الغلبة للقومية لا للعالمية السياسية . زالت من الوجود امبراطوريات الحث والفراعنة والفرس والمكدونيين والرومان والبيزنطيين والترك . ودالت امبراطوريات شارلمان وشاركان ونابليون وهتلر وموسوليني . وستنقرض امبراطوريات مكملان ودغول ودون ظل من الشك .

ماذا بقي من جميع اشكال الحكم الاممية ؟ لا شيء . لانها ارتباط صناعي موقوت يفرض من الخارج بينما القومية ارتباط طبيعي دائم ينبع من الداخل . الانسانية العالمية لن تكون شيئاً الا اذا كانت على اساس التوازن القومي والتعاون الحضاري اي التعايش الايجابي . ذلك ان القومية محبة والانسانية صداقة والاممية فرض مشيئة .

والذين يتوهمون ان اذكاء القوميات يزحزح اركان السلم العالمي هم مغالطون ، لانهم يعرفون اكيد المعرفة ، ان السلم العالمي مزحزح الاركاب بسبب اذلال القوميات . والمشفقون على الانسانية الذين يتمنون نسيان التاريخ ، ليسوا البشرية احقادها ويمهدوا للصلح بين شعوبها ، واهمون ايضا ، لان الذي يزيل الاخقاد هو التعرف على اسبابها ، والتاريخ هو سبيل ذلك . التاريخ وحده يكشف السوابق المرضية للانسانية المريضة ، وبذلك يعد التشخيص ويوجه الى الدواء .

انني مع القائلين بان التاريخ القومي المدون لدى جميع امم الارض لايساعد على ارساء الاخوة الدولية ، لانه مدون على شكل وحيد الطرف ، يكال فيه المجد كيلا للاصحاب ، وتجمع الذنوب والسيئات في كفة الخصوم والاغيار . هذا صحيح . ولكن ذلك تسميم تاريخي وليس بتاريخ . والسبيل الى ترسيخ المنة ضد هذا النوع من التضليل هو ان يقوى الوجدان التاريخي عند المؤرخين .

### ثالث التاريخ

وفي الحق ان التاريخ ثلاثي المعنى :

هو اولا مجرى الاحداث بالذات

وهو ثانيا تدوين تلك الاحداث .

وهو اخيرا اجتلاء معناها وكشف اثارها في مصير الناس .

ونحن ، بالبداية ، لانستطيع تبديل مسير التاريخ في الماضي ، ولا نملك ان نفرض سلوكا معيناً على من فات من الغابرين . ونحن ندون هذا السلوك وذلك المسير تقتضينا رجولة الامانة ان نتقيد بالحقيقة . ولا بد في التدوين من اصطفاء . وقاعدة الاصطفاء اختيار الاحداث ذات الاثر في حياة القوم والبشرية .

وحياة البشر قبل بدء التاريخ تعتبر وجيزة أيضا اذا قيست بعمر الحياة العضوية - حياة النبات والحيوان - التي دامت نصف مليار سنة قبل خلق الانسان .

نصف مليار سنة ، هل لها محصول بالنسبة لنا ؟  
لا شك .

هذه القواقع المتحجرة والهياكل المنطومة ، والنباتات المتفحمة ، الراقدة اليوم في الاعماق تحت اقدامنا على شكل جماعات متميزة كانت تنبض بالحياة في يوم ما .

وكان بين القوقعة ومثلياتها ، والسلمكة واضرابها ، والفصن واشباهه ، كان هنالك ما يصب ان نسميه بالتجاذب الاجتماعي ...

كل بيئة لها مجموعة تتبعها ، فلا وجود للكائن المنعزل ، ولا بقاء لمن يخرج عن المجموع . بيئة ، تماثل النوع ، حياة مشتركة .. الا يكفي كل هذا لان نتكلم عن وجود قومية متميزة لكل طائفة من جماعة النباتات والحيوان ؟!

علماء الاجتماع الحيواني والنباتي يؤكدون ذلك . ومن المشاهد ان الامر باق الى اليوم . الى اليوم للنحل قومية ، كما للنمل والفيلة ، ولشجار لنخيل قومية ، كما للورود والرياحين .

الفيل الاسير في حديقة الحيوان يرمضه الحزن الى اهله ، والسنبلة الشاردة تنوي في حقول البقول والخضروات ..

**لهذه في يوم ..**

**الكاتب التحرري الكبير الذي**  
**استمر غاندي في افكار**

**السياسة من**

**كتابات وتأثير**

**بها .**

**يقدم لك**



المن :  
٧٥  
ق.ل.

منشورات : دار الشرق الجديد - بيروت  
توزيع : الشركة العربية للتوزيع

وقد درجت في ايامنا هذه تعابير جاهزة تدعو الى الالتزام في الادب والفن وفي العلم والتاريخ وجميع صنوف المعرفة والابداع .

والداعون الى الالتزام يعنون به استجابة المفكر والعالم لضرورات مجتمعه ، والمشاركة في تسديده وتجديده والنهوض به . ولا اعتراض لي على الالتزام من حيث المبدأ ، بل قد اكون من اوفى مؤيديه ، ولكنني في تدوين التاريخ على وجه التخصيص لا ارى في الالتزام شيئا اخر غير التزام الحياد والنزاهة .

اما الانتفاع بالتاريخ في اغراض التوجيه القومي والاجتماعي ، وفي تمرير النفوس بالحرية ودفعها الى التمرد على الظلم والاستعباد ، وفي غير ذلك من صور النبل والفضيلة ، فهذا هو الوجه الثالث من التاريخ ، اعني بذلك تفسيره وتخطيط محصلته وتكثيف عبره والسمو من جزئياته الى مغزاه الكلي الشامل ، على نحو ما صنعه ابن خلدون في مقدمة تاريخه ، وعلى نهج من تبعه في ذلك من الغربيين كشينجلر وبرديف وتوينبي وكارل ياسبرز وغيرهم .

هذه مرحلة مغايرة لمرحلة التدوين . في التدوين التقاط امين لمحصل الزمان بمثالبه ومحامده . اما المرحلة اللاحقة ففيها حكم على هذا المحصول وتقويم له وتفريق بين ثمراته الناضجة والفجة . ومآل هذا كله انتقاء بدور جيدة لمحصل جديد معجب .

فاذا كنا لاستطيع تبديل التاريخ في ماضيه فنحسن بكل تأكيد نستطيع التحكم في آتیه ، مستخدمين ذلك الماضي بالذات .

ان هذا الوجه الاخير من ثالوث التاريخ هو اجدرها بالاهتمام والصقها بمفهومه الاصيل . فلا جدال ان القيم في التاريخ هو عصارته لا عصوره ، وحديثه لا حوادثه ، وعواقبه لا تعاقبه . والتاريخ في اتجاهه التركيبي هذا ، المتجرد عن الزمان والمكان ، يلتقي بعض الطريق مع علم الاجتماع .

هذا المنهج الاستقرائي يرسم سبيلي في الشرط الثاني من هذا البحث .

### التجربة اللاتاريخية قبل الانسان :

استمع المؤرخين العفو اذا بدأت التاريخ قبل التاريخ ، وجمعت الاضواء على البشر الاوائل ، بل والعضويات القديمة ، لان عناصر القومية والانسانية تكاد تكون اذلية الميلاذ .

ان مانسميه عرفا التاريخ لا يتجاوز في المدى خمسة الاف سنة ، ثلاثة الاف منها سابقة للميلاذ ، وما قبل ذلك ضباب كثيف ، من وجهة نظر المؤرخين الوثائقيين على الاقل ..

وتحدد التواراة عمر الارض من لدن خلق ادم الى اخر الدهر بستة الاف سنة ، وانتقل ذلك الى تراننا العربي ، فافاض الطبري مثلا في روايته والتدليل عليه . واذا تحققت تلك النبوءة تكون الحقبة التاريخية كلها متناهية القصر بالنسبة الى مئات الالوف من السنين التي استغرقتها ازمان ما قبل التاريخ .

قد يقال : ليس في الامر اكثر من ارتباط باجواء مادية .  
ليكن .

ليس حب الوطن في الاصل ارتباطا بجو وارض ؟  
ذلكم درس عظيم من دروس التجربة اللاتاريخية السابقة للانسان .  
**التجربة اللاتاريخية للانسان**

ثم كان البشر على الارض .  
ولسنا نعرف شيئا محققا عن طفولة الانسان الاولى . هل درج في  
عش واحد ثم انساح انساله في طول الدنيا وعرضها ، ام كان لكل بقعة من  
الارض آدمها الخاص بها ؟

العلماء يعملون مع ابي العلاء حين يقول :  
جائر ان يكون ادم هذا قبله ادم على اثر ادم ...  
والعلماء يعملون ايضا الى الظن بان نشأة البشر متعددة لا متوحدة .  
ولا يعنيها الخوض في صحة هذه المزاعم او بطلانها ، وانما يعنيها  
الوقوف على احوال الاجداد لنزن ما ابقوا للاحفاد .  
وبقليل من التبصر نجد ان الحياة قبل بدء التاريخ مذهلة الفنى  
بالعبر والمفاهيم .  
من ذلك :

١ - ان الانسان منذ وجد ، شعر بالشبه بينه وبين مثيله الانسان

وبالفروق الضخمة التي تميزهما عن الحيوان .  
فكانت هنالك معيشة متضامنة بين جماعات الناس ضد طوائف الحيوان  
وعناصر البيئة الطبيعية . هذه الحقيقة التي آمن بها الانسان الاول هي  
التفسير العقلي لما ورد في الكتب المقدسة وقبل الكتب المقدسة عن  
قصة الخليقة : الانسان اخ للانسان لانهما يفرقان عن الحيوان ، آدم  
وحواء رمز للمجتمع الانساني في تباينه الكلي عن الزمر الحية الاخرى .  
٢ - مهما تعمقنا في اغوار ماقبل التاريخ نجد فروقا ظاهرة فسي

السلالات ، بيضاء وصفراء وسوداء ذات رؤوس عريضة او مستطيلة .  
غير انه منذ ذلك الزمن السحيق تفاعلت السلالات وانتشرت التصلبات  
بالتمازج والهجرات . فما يكاد يطل وجه التاريخ حتى تكون قصة العرق  
الخالص اسطورة لا وجود لها في الواقع الا كحالات نموذجية .

وهكذا تكون ادوار ماقبل التاريخ قد حررت الانسان من تركيز العيش  
المشترك على الخصائص البيولوجية الواحدة .  
٣ - وقد حررته ايضا بعض الشيء من عبودية المحيط . بدأت  
آلة عقله بالدوران فاستخدم الخشب وصقل الحجر واذاب المعادن ،  
وغالب الطبيعة وبدأ ينفلت من قيدها . ومال ذلك انه اصبح من معاني  
الوطن والقومية منذ ذلك الزمن الابدع - شعوريا اولا شعوريا : عصبية  
الجهود المشتركة لقهر الطبيعة . وهل يعني هذا شيئا اخر غير الحضارة  
او الثقافة بمعناها الاوسع ؟

فهما لا ارياب فيه ان اول حرفة للانسان كانت سلبية ، تقتصر على  
التبديد والاتلاف : اتلاف رأس مال الطبيعة بقطف ثمرها وحرق شجرها  
وقتل حيوانها . لكنه انتقل بعد ذاب صبور الى مرحلة ايجابية ، وهي  
مرحلة الاستثمار ، باغناء الطبيعة عن طريق تربية الانعام وزرع الارض  
والعيش من ريع رأس المال لا من استهلاكه .

خطوة عملاقة كانت اذن الخطوة التي جازها انسان ماقبل التاريخ  
على درب الحضارة . وكان لنا في هذه الخطوة تعريف سليم للقومية : هي  
المشاركة في الخلق والابداع للنهوض بمستوى العيش . فاذا استمرت  
هذه الجهود المشتركة ثمر اجيالا واجيالا يتحصل من ذلك تاريخ -  
طويل ، تاريخ العرق المشترك والظفر المشترك . ولا شيء اثن من ذلك  
في توثيق العرى القومية .

٤ - تلك الحضارة الحانية عند اللاتاريخيين كان لها مقوم اخر : هو  
الشعور الغيبي ومظاهره الخارجية .

نحن قد نهجل الاساسي عن عقيدة اجدادنا الاول ، لكننا نقدر  
استجابتهم لافاق ماوراء الطبيعة ، واستكانتهم للسحر واطمئنانهم الى  
الظلام والتعاويد وتصورهم لنشأة الكون ونظامه .

اننا لانعدم حجة للحس بان التدين على شكل ما عريق في الانسان .  
والا فلن اهدى انسان المغاور تلك الصور الفنية الرائعة التي بقيت  
منقوشة على الجدران الى اليوم ؟

الفن في خدمة الدين . كان هذا شعار الانسانية الاول ، وظل شعارها  
حتى بداية العصور الحاضرة . ومقطع افقي للزمان قد يغني احيانا  
كثيرة عن مقطع طولاني له ، اعني ان قياس الاحوال الفائرة بما يماثلها  
من الاحوال المشاهدة من شأنه الوصول الى اجتلاء الماضي . والجماعات  
المتخلقة اليوم شأنها شأن المجتمعات الراقية ، تنتظمها مقدسات ومحرمات  
وتصورات غيبية توجه السلوك الجماعي وتفرض قانونها على الافراد .

وسواء عبد الناس الشجر ام النبع ، العاصفة ام البحر ، الشمس

- التتمة على الصفحة ٧٥ -

دار الروائع بيروت تنشر  
رائحة مكسيم غوري  
**الطيردوت**  
نقل إلى العربية : الأديب الكبير  
جورج جرداق  
كأقدم الكتاب المتع الطريفة :  
**قصور وآواخ**  
شاهد من الحياة الأميركية بأقدم هذي روايات  
الفرنسي، رمانك توين الأمريكي، وصبرج مرداد الذي  
أرأى في هذا الكتاب :  
بنات الفلاف  
بنات الليل  
بنات التاكسي  
مهازل الصحافة  
مهازل الدعاية  
مهازل الاممات  
اكواخ الزنوج  
الخ ...  
رمانك توين النهضة بيدر





## التاريخ بين القومية والانسانية

— تنمة المنشور على الصفحة ٦ —

او القمر ، ام تساموا الى موجدتها ، فان المصدر واحد والفرض واحد . شعور بالضعف امام القوى الكونية ، وعجز عن تفهم الذات المعقدة الا بارجاعها الى القوى البارئة القديمة ، وانصهار للأفراد في خشوع جماعي يوحد المشاعر والمصائر ويستدر الخيرات ويدبر المكار . ولنا نعرض هنا لامر الدين انسياقا مع فلسفة اللسان ، وانما لان الدين ، اي دين ، كان عنصرنا هاما في العملية القومية والانسانية .

وقد لاحظ « برغسون » تلازم الديانة مع المجتمعات جميعها دون استثناء ، وتساءل : كيف يضطرد ذلك مع نمو العقل البشري ؟ وهو يجيب : ان الديانة هي ضرورة حيوية ، بل هي ملازمة للحياة نفسها ، انها جزء من « النزوع الحيوي » . ذلك ان الحيوان ينقاد اجتماعيا بفريزته وحدها ، اما الانسان فينقاد بعقله . وتخشى الحياة ان ينحرف العقل الى التوازع الفردية فيعطل المجتمع او يعوق مسيره ، ولذلك كانت الديانة رادعة للعقل ، رادة له الى الطريق الاجتماعي .

هذه « الديانة الساكنة » طبيعة مركبة في النفس تؤدي وظيفة اجتماعية وقد خلقت حين خلق العقل ولا بد ان تلازمه دائما .

ويقول « برغسون » ايضا : ان الانسان ، كل انسان ، قد يشك في كل شيء الا في الموت ، وحين يضع الموت المؤكد نصب عينه قد تفتت فيه دفقة الحياة وتخور عنده عزمة البقاء . ووظيفة الديانة ان تسمو به الى آفاق خلافة حافزة ، افاق الحياة الثانية .

لاشك اذن ان الانسان حيوان متدين ، ولذا فان الوظيفة التقديرية عنده وظيفة اذلية . والتجربة الانسانية السابقة للتاريخ كانت حتما متدبنة قبل كل شيء ، متدبنة بأي شيء ..

ان القصص الطريفة المحبوكة التي بقيت لنا من بداية عهد التاريخ ، والتي تملل الكون وما فيه فتزوج من تزوج من الكواكب مع الريح او الماء او الفضاء ، وتفرق من تفرق ، وفي كل مرة تنفلق البيصة عن اله ، اله حرب او اله حب .... ان كل هذه المجموعة من التصورات العلوية لا يمكن ان تنشأ في يوم واحد ، يوم عرف البشر الكتابة ودونوا التاريخ . ولا بد انها وليدة تخمر طويل في روع البشر السابقين ليوم التاريخ .

وحتى الشك في الدين هو في النتيجة نوع من التدين ، لانه في غالب الامر محاولة لتعويض آلهة بالهة اشد والوصول من ذلك الى الاله اقوى الاقوياء .

نستشف ذلك في عصور التاريخ من حيرة ابراهيم التي قصها علينا القرآن الكريم في سورة الانعام :

« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربي ، فلما افل قال لا احب الافلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما افل قال لئن لم يهني ربي لآكونن من الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا اكبر ، فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون » .

اعود الى انسان ما قبل التاريخ لاقول مرة اخرى انه كان شاعرا بانسانيته ، ينتسب الى مجموعة من الاقربان يستفلون بقعة واحدة من الارض ويؤمنون بقوى واحدة في السماء ويتعاونون فيما بينهم على مقارعة الطبيعة في عتوها والكاسر من الحيوان في غائلته ، اتراني اسرفت في التمدح به ، انسان ما قبل التاريخ ، ونسبت اليه مالم يتوافر فيه ؟

الامر الذي لاشك فيه هو انه تميز عن الحيوان منذ البداية ، فتعامل الرجل مع جاره الرجل واشتركا معا في مهمة الحياة دون ان تفسد بينهما غيرة الجنس والرغبة في الانثى . والقطيع الحيواني على غريزته الاجتماعية لا يستطيع ذلك ، ويكاد يتناثر تماسكه الجماعي في موسم الشوق الى الجنس الاخر ..

هـ — قد اشرت عن عمد العنصر المفروض بالبداية ، وهو عنصر التفاهم بالاصوات ، اعني اللغة ، فاللغة منضافة الى الحركة العضلية ، تكمل طقوس العبادة سواء كانت صراخا مدويا ام ترانيم او تمتمات ، وباللغة يتم الجهد المشترك سواء كانت اصواتا بسيطة معبرة ام تراكيب طويلة معقدة . واذا كان الماضي يقاس بالحاضر ، فبشر ما قبل التاريخ ، كالبدايين في مجاهل افريقيا اليوم ، كانوا يتكلمون لهجات لا تحصى كل لهجة تعين حدود قومية من القوميات ..

وانه لمن العسير ان نوازن بين ركائز الاجتماع في بنوده الاولى ، وان نعطي الوزن الاوفى لعنصر ما قبل اخر في نشأة الجماعة اللاتاريخية : هل هو التساند في تأمين الغذاء والكساء والمأوى ، ام التعارف بالاصوات ، ام التآلف في ظل المقدسات ؟ الحق انها كلها عناصر ذات وزن ، ثم انها متداخلة متشابكة . والعنصر المادي ليس اخفها . وبهذا الوجه يجب ان نفهم ابن خلدون حين يقول :

« ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهن من المعاش ، فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله وابتداء بمسا هو ضروري منه » ...

لعلنا قد ورننا ، دون ان ندري ، الكثير الكثير عن الذين لم يخلدهم التاريخ ، ورننا عنهم هيكل البناء الذي ستسبغ عليه الازمان المقبلة الطلاء الخارجى ، وتوسع او تضيق من حجراته وتزودها ببعض الاثاث الجديد فلنقوم الان مترك لنا المؤرخون .

### الدولة والقومية في فجر التاريخ

ولست ازمع ان اقوام ما قبل التاريخ قد عبرت كلها باب التاريخ ، وحملت معها رصيدها الاجتماعي . فالواقع ان بعض السلالات التاريخية قد باد ، وبعض الجماعات انقرط عقدها ، واكثرها قد نزع عن مهده الاصيل وجرى على سطح الارض توزيع جديد للبشر بفعل الهجرات الجماعية التالية لتبديل المناخ .

الا ان الجماعات التاريخية لم تلد من العماء ، اقصد انها لم تتكون عن غير اجداد ، ومع ارنها العضوي اللاتاريخي اخذت المكتسبات والقومات المتحصلة في الدهر السحيق .

كان هنالك اذن مرور اجتماعي الى التاريخ .

واذا رجعنا الى القليل الذي جاد به علينا علماء التاريخ عن احوال الدول الاولى ، وجدنا في قصة القومية والانسانية بعض الجديد في التفرعات والتفاصيل ، وفي بلورة عدد من المظاهر ، كانت سديمية من قبل .

من ذلك :

١ — ان الدول المنظمة اصبح لها ارض معينة ذات حدود بيئة لها صفة القدسية ، ويتعبر اخر ، ان الجماعات المنقلة لم تكن تمنح ارض الوطن المعنى العميق الذي اصبح له في نفوس الجماعات الثابتة . فالوطن — بمعناه الترابي ، ومن حيث هو مستقر للقومية — اضحى في المكانة بمنزلة العبادة ، وبمرتبة لغة التخاطب وتراث الحضارة .

وقد ذهب بعض الدول في حماية حدودها الى حد اقامة الاسوار

الديموقراطية الحديثة على فصل الدين عن الدولة تعمل في نفس الوقت على إلغاء ما كان تابعا لذلك أي نظام الطبقات .

### النزعة العالمية والامبراطوريات الاولى

ولامر ما لم يستغرق عهد الدول الاولى زمنا طويلا من عمر التاريخ . ومنذ الالف الثالث قبل الميلاد - بل وقبل ذلك - عم الدنيا نظام الامبراطوريات .

ولقد ذكرت عن اقوام ما قبل التاريخ انهم مروا من مرحلة التبديد الى مرحلة الاستثمار في انتفاعهم بالطبيعة ، اما اقوام التاريخ فقد دخلوا في مرحلة ثالثة ، وهي استثمار شعب لشعب ، أي الاستثمار .

ولا بد ان تسائل لماذا تسيطر دولة على اخرى ؟

هل السبب مادعاه الفلاسفة : النزوع الى العالمية اي استمرار نزعة التعميم والتوحيد ؟ او حرص الاقوياء على افادة الضعفاء بقم المدينة ؟

ام لسبب هو المجد وحب المغامرة عند الحكام ؟

ام اخيرا الرغبة الملحة في السيطرة على موارد جديدة ؟

لنترك الاجابة للتاريخ .

الفيلسوف الانساني ارسطو ينصح الاسكندر بتوحيد العالم ونشر آلاء الحضارة الهلينية فيه ، وقد يكون المعلم الاول مدفوعا بعامل النزوع الى العالمية الانسانية ، اما الاسكندر فانه يتخذ من ذلك ذريعة لارضاء حاجات التوسع عند الاغريق المحصورين في رقعة جبلية ضيقة . والحثيون في هضابهم القاحلة كانوا ينظرون الى الفلات الزراعية الوفيرة عندما عزموا على الهبوط نحو بلاد الهلال الخصيب .

والفرعنة لم يكن الهدف من بعوثهم العسكرية الى الشام غير الخشب والماز والفنم ودنان الزيت والخمر ، والفضة والحديد والجلود وما شابه ذلك .

وقد تبدو لدى الفاتحين رغبة في نشر لغة او تعميم دين او بسط الرخاء والامن .

الاسكندر بذر المستوطنين المقدونيين في المدن الكثيرة التي انشأها لكنه لم يكن يرمي من وراء ذلك الا امتصاص قومية السكان المحكومين . وقد فشل في ذلك .

والفرعون امنحوتب الرابع بدل ديانة اجداده ، ونبد الاله القومي آمون وأحل محله الها اصفى عليه صفة العالمية وهو آتون ، وانتسب اليه فدعا نفسه اخناتون وكان يقصد عن طريق الدين الى توطيد حكمه في الامبراطورية المصرية الواسعة .

والرومان جعلوا شعارهم في الفتح والتوسع : السلم العالي . السلم العالي بقاءهم ولنفعهم وحدهم ..

يصف المؤرخ الروماني « ارستيد » ذلك السلم الروماني لمواطنيه فيقول لهم :

« من كافة جهات الارض تحمل اليكم منتوجات كل موسم . واذا رغبتم في مشاهدة هذه المنتوجات ينبغي ان تطوفوا حول العالم او تقيموا في روما . انكم واجدون في روما ، كل اونة وبمقادير وفيرة ، جميع ما توجد به الطبيعة او تخلقه الصناعة لدى شعوب العالم اجمع . ففي كل فصل من السنة ترسو السفن على ارفعة التيرير حاملة لروما من السلع ما يجعلها سوق الدنيا ، ان ثمار الهند وبلاد العرب السعيدة لغزيرة عنكم حتى يظن انها قطعت كلها لكم . واذا شاء الهنود والعرب اقتناء منتوجات ارضهم وجب عليهم ان يجلبوها من لديكم .. »

ان النزوع الى العالمية قد اخذ في ظل الامبراطوريات القديمة شكل

المنفعة في الجهات التي تخشى منها زحف القوميات الاخرى عليها ، كسور الصين الكبير والسود الشرقي لدلتا النيل .

٢ - ازدادت فاعلية اللغة في الترابط القومي باكتشاف الكتابة ، وبالتالي تسجيل الشاعر والتقاليد الجماعية بالحروف اضافة الى الاصوات والنقوش والتمائيل .

٣ - انصهرت الديانة في الدولة ، واصبح لكل مجتمع مستقل دين قومي مستقل الى جانب اللغة القومية . حتى ليصح القول بان تاريخ الشعوب القديمة كلها ليس الا تاريخ ديانة تلك الشعوب . وجاءت الكتابة عوناً على دمج عامل اللغة بعامل العبادة ، فظهرت الكتب القومية المقدسة كالفيديا عند الهنود والافستا في ايران ، والتوراة عند العبرانيين .

ولا بد ان تترتب بعض الترتيب عند ظاهرة انصهار الدين في الدولة ، لان هذه الظاهرة ستخطت تاريخ القوميات الزمن الاطول .

فلنا ان الانسان حيوان متدين منذ البدء ، وهو حيوان سياسي منذ البدء ايضا ، ومنذ اعرق الازمان عراقة نجد التفاف بين الدين والحكم . خطن برزا منذ الخفقة الاولى في حياة البشر :

خط الانتقال في التماسك الاجتماعي من الاسرة الى القبيلة والرهط فدولة المدينة ثم دولة الامة .

خط الانتقال من العبادة القبلية والطمونية الى عبادة الارباسب المحلية ثم الى عبادة الرب او الارباب القوميين ..

خطن متوازيان في كل منهما نزعة الى التعميم والتوحيد .

ولكنهما التقيا بعد قليل وشكلا خطا واحدا .

قد لا يمكن ان نفتتن بنظرية التعاقد الاجتماعي التي ركبها « روسو » وغيره من الفلاسفة ، وجعلوا فيها نشأة الحكومات الاولى من صنع الاتفاق الطوعي بين الناس . على ان ظلا من حقيقة يتبقى لهذا الغرض . في عصور الانسانية المبتدئة قدس البشر القوى المجيبة الخارقة في الكون . وكل انسان تميز بالقدرة العضلية والقوة البدنية والشجاعة في قهر الحيوان المفترس والمهارة في اصطياد القوت ، هابه الآخرون وأطاعوه واحاطوه بمظاهر التجلة ومراسم التبرجل .

في القديم وامم الامميون بين السحرة والحكام ، بين القوة الفيزية والقوة الانسانية وجمعوا بينهما ، فصنعوا للحكام الاقوياء نسبا آلهيا ، او على الاقل توهموا فيهم تجسيد الارباب على الارض .

وعندما تسمو المدارك البشرية وينزه الناس الهتهم عن التجسيد ، يتكر الحكام شكلا اخر من اشكال التاليف ليربطوا دوما بين الدين والدولة ، فيطلعون على رعاياهم بنظرية الحق الالهي ، التي تجعل من الملوك طائفة اختارها الله لتنفيذ اوامره واقامة شعائره .

منذ بزغ التاريخ ، اتحد التاج والقلنسوة ، في اذهان الناس وفي نفوسهم ، وارتبط الصولجان بالطليلسان .

وسرى بعد قليل كيف ينغمس هذا الزواج في بعض البلدان خلال العصور الحديثة .

٤ - كان من نتائج الثنائية الدينية والروحية في قوام الحكم ، انه تجمع حول الحاكم نفران من الناس : المحاربون الاقوياء الذين يشدون حكمه بالسيف ، وسنة الدين الذين يازرونه بالصلاة . النبلاء من جهة والكهنة من جهة . ومهمة سائر افراد الامة العمل لاعالة المحاربين والمصلين . نوع من تقسيم العمل في المجتمعات الاولى . وفي كل ذلك كان هنالك تطابق تام بين الدولة والامة او الشعب . وحين تعمم

التسلط بالقوة ، لارضاء مطامع اقتصادية محضة ، وهو عين الشكل الذي يتخذ الاستعمار الحديث .

ولعلنا نصدق فلاسفة النزوع الى العالمية الانسانية حين نقرا صفحة اخرى من صفحات التاريخ القديم ، تلك الصفحة التي سماها « كارل ياسبرز » : العهد المحوري للتاريخ :

حول القرن الخامس قبل الميلاد تفتحت في بقع عديدة من العالم باقة من الفلاسفة والمصلحين ، ارادوا تعميم انسانية الانسان وتحرير البشرية من الشرور والاثام . وضم هذا العهد المحوري امثال كونفوشيوس ولاوتسه في الصين وبوذا في الهند ، وزرادشت في فارس وهوميروس وافلاطون وغيرهما في بلاد اليونان ..

### التجربة المسيحية

والتجربة المسيحية في عهدها الاولى مثال رائع على النزوع الانساني الى العالمية .

انتشرت المسيحية دون تسلط ، بل قامت ضد التسلط ، وقدمت الشهداء على مذبح الايمان الخالص . وطالما لم تحاول امتصاص القوميات تقبلتها تلك القوميات بصدر مفتوح . وبتمبير اصح تغلت الشعوب عن دياناتها السابقة بدافع النزوع الى التوحيد ، ولكنها لم تتخل باية حال عن لغاتها . ثم ماذا حدث ؟

حدث ان الملوك بنوا المسيحية ، كما بنوا الديانات الاخرى من قبل ، وقرنوها بحكمهم ، وجعلوا منها آلة للتسلط الداخلي والخارجي .

مثال واحد استمدته من « جان دوشه » في كتابه الطريف « تاريخ فرنسا كما قصته جوليت » ، يقول : « آلى الملك شارلمان ان يدخل السكسونيين في نعمة المسيحية ، فخصهم باربعة وثلاثين حملة عسكرية . واني لاتسائل فيما اذا كان قد اراد اخضاعهم من اجل تميمهم ام تميمهم من اجل اخضاعهم ...

والذي حدث انه اردف بجيشه ما استطاع حشده من القساوسة والرهبان لجعلوا نيره اقل مرارة ... »

وحدث ايضا انه حين جرب الاباطرة والملوك قهر القوميات باسم الدين المسيحي ، ثارت القوميات باسم الدين ايضا ، وحاربت التسلطين بسلاحهم . على هذا الوجه يفهم التاريخ الهرطقات والبدع التي انتشرت في كل مكان من الامبراطورية البيزنطية ، لهذا الغرض القومي كافح اريوش ونسطور ويعقوب البردعي وعشرات غيرهم لا لاختلافهم مع القياصرة على قضايا ناسوت ولاهوت ...

والبروتستانتية في المانيا وسويسرا وبريطانيا وغيرها من بلدان اوروبا هل كانت في حقيقتها شيئا اخر غير التعبير عن قومية الشعوب ورفض انصهارها في الروح اللاتينية ؟

ثم ان الكنيسة المسيحية ، بالاضافة الى تعصيدها الملوك على الشعوب اصبحت تنعم بثروات ضخمة ، وتملك الارضين الواسعة ويعيش سدنتها معيشة الامراء المترفين .

لكل ذلك تكون رأي عام لايدافع ، يطالب بفصل الدين عن الدولة ويعني هذا انزال العبادة الى المرتبة الفردية في التكوين القومي وتجريد الحكومات من قوة الدين . والثورات الديمقراطية هي التي حققت هذا التبديل . وفي حصر الدين في نفوس الافراد صيانة له من عبث الحكومات .

### التجربة الاسلامية

والاسلام ايضا يمثل النزوع العالمي الانساني باجمل معانيه . وذلك

لانه دعوة خالصة الى التوحيد فهل انتشر الاسلام بالقوة وعلى جلدت ابقوميات ؟

فيل ذلك .

ولكن عملية حسابية بسيطة تبطل هذا الزعم .

عدد المسلمين في العالم اليوم نحو ٤٠٠ مليون ، كم منهم اعتنق اجدادهم الاسلام بحكم الفتح والاستيلاء ؟

هل حكم العرب المسلمون اندونيسيا وسيلان والملايو والهند الصينية وبرمانيا وسيام وافريقيا السوداء ؟

هل دخلوا فاتحين الى الصين ؟ هل كان لغزوتهم مدى يذكر في الهند والباكستان ؟

اذا احصينا سكان هذه البلاد نجد انهم لايقولون عن ثلثي مسلمي العالم .

ومن الحقيقة التاريخية ان الاسلام قد لقي النجاح الكامل من حيث هو دعوة روحية ، ولكنه لم ينشر القومية العربية في ايران وافغانستان وتركيا والقوقاز وازربيجان وبلاد التركمان والاوزبك والقرغيز والكثير من البلاد الاخرى ذات القوميات الراسخة .

فلماذا نجح الاسلام دينيا وقوميا في حدود الوطن العربي القائم اليوم ؟ لنذكر اولا انه لم يحارب شعوب هذه المنطقة وانما حارب حكامهم ، البيزنطيين الفريسة .

ولنذكر ثانيا ان اقوام المنطقة قد تلقوا المسلمين كمقنذين لا كفاتحين . ولنذكر اخيرا ان الاتصال الثقافي والاجتماعي كان موجودا بالفعل بين العرب واولئك الشعوب قبل الاسلام .

لهذه الاسباب نجحت هنا الدعوة العربية في كنف الدعوة الاسلامية . وقد تجنب الاسلام في بنيته الاصلية ان يفسح المجال لاستغلال الدين من قبل كهانه ، فلم يخلق طبقة كهان ..

وحل بالاسلام محل المسيحية . حاول الاتراك باسمه ان يقتلوا القوميات ، فقتلهم القوميات في النهاية . واصطنعوا طائفة من المسلمين على شكل اكليروس ، فكان ان نفر الناس من حكمهم لهذا السبب ايضا ، فطالبوا بفصل الدين عن الدولة ليتنها لهم محاربة الدولة مع الحفاظ على قدسية الدين .

### الديمقراطية والاستعمار والاممية الجديدة

ليس لي ان اختتم هذا المقال ، دون ان ارسل بعض السهام المسمومة الى هذا الضرب من الديمقراطية الحديثة التي تقصم ظهور الشعوب بوقر استعمارها . لم هذا التلازم بين الديمقراطية والتسلط ؟

مع نشأة النظام البرلماني في انجلترا بدأ استعمار الهند . والملك الديمقراطي الفرنسي لويس فيليب ارسل حملته المشؤومة على الجزائر العربية ، ومن قبله نادت الثورة الفرنسية بالحرية والاخاء والمساواة ، وعانت في اوروبا ، وانتهت ممالك واذلت قوميات ، ومن بعد ذلك اعلنت الجمهورية الثالثة والرابعة والخامسة في سفك دماء الشعوب واغتصاب قوتها ...

هل كل ذلك ايضا تطبيق لمبدأ الوحدة والشمول ؟ ..

نعم . شمول الجشع ووحدة النهب والتدمير .

الديمقراطية في بلادها اطلقت العنان للطاقت الشعبية المكبوتة ثم عجزت عن ضبطها ، فشقت لها اقنية نحو الاستعمار .. خشيت الديمقراطية على نفسها من الديمقراطية فاهنتها عن نفسها بغيرها ..

وشكل اخر للديمقراطية يحمل لواء الاممية .

العناصر المذكورة تدخل كلها في التراث الاجتماعي بنسب تزيد أو تنقص .  
والقومية هي التراث الاجتماعي .

قد لا تكون الولايات المتحدة الاميركية أمة بالمعنى المتعارف عليه . لانها دولة تضم عناصر بشرية من قوميات مختلفة المهاد ، وقد يكون التحديث عن أمة بلجيكية أو أمة سويسرية ضربا من خداع التاريخ . هنا تعايش ارادي طويل الامد ينتهي بمنح الدولة بعض الملقومية من مقومات . ولكن الولايات المتحدة وسويسرا أو بلجيكا لاتصلح مثلا على امكان تحول القوميات الى امة بلا قوميات . حدث هنا تعاقد اجتماعي بالفعل من أجل بناء الدولة . غير ان لكل دولة منها ظروفها استثنائية خاصة . ففي امريكا وحد بين الانجليز المتأمرين الفرار بالدين الى ارض لا يظهد دينهم فيها ، ولما وفدت عليهم جموع المهاجرين المتوعين الطامعين بالذهب طبعهم الانجليز الامريكيون بطابعهم الغالب ، بذلك سيطرت على المجتمع الحديث لغة واحدة وحضارة واحدة ومشيلة واحدة للعيش المشترك ، وهي عوامل كافية لقيام دولة واحدة ، وفي المستقبل لنشوء أمة واحدة .

وفي سويسرا المان وفرنسيون وايطاليون ، وكان ادنى الى مفهوم القوميات ان ينضاف المان الى دولة المانيا والفرنسيون الى دولة فرنسا والاطاليون الى ايطاليا . والواقع انه لم يحدث هنا انصهار قومي ، ولم يغلب عنصر على آخر ، وبقيت كل قومية شبه مستقلة سياسيا في ظل الاتحاد الفدرالي . والواقع الذي حمل المتجاورين السويسريين على التوحد السياسي المخفف هو اشتراكهم في بيئة جبلية صعبة تقتضي التضامن على ترويضها وتخويرها لمنفعة المشاركين .

وفي بلجيكا ايضا لم تنصهر قومية « الوالون » بقومية « الفلامان » ، وانما حدث بين الفريقين تواطؤ سياسي على العيش معا ، لتداخل العنصرين في أكثر من موضع على ارض بلجيكا ، بسبب الظروف التاريخية القديمة . وقد اعان على استبقاء هذا الوضع الشاذ رغبة انجلترا التاريخية في خلق دولة على بحر الشمال تقف بينها وبين المسدس المصبوب الى قلبها من فرنسا ..

اعود مرة اخيرة الى التراث الاجتماعي لاتمثل ببعض مظاهره فسي  
دنيا العرب :

الشاميون الذين هاجروا الى امريكا ، بقيت افئدتهم عربية مابقيت السنتهم عربية ، وبالتالي طالما صانوا التراث الاجتماعي العربي الذي حملوه معهم . ولكن الاجيال الجديدة المولودة في المهجر تصبح امريكية حتما - وقد اصبح الكثير منها - حين تفقد ذلك العن .

واللغة العربية صانت الامة العربية اربعة قرون في ظل الحكم التركي مع انه حكم اسلامي .

وفي الجزائر يلم الدين الاسلامي عزائم المجاهدين ، لانه المقوم الابرز في صلب تراثهم الاجتماعي .

بهذا التراث يصمد اخواننا الابرار في الصرود والوهاد والسهول قبالة العدو الاجنبي .

فلتكن خاتمة المقال تحية عربية ملؤها الحب والاكبار لهؤلاء القديسين نسور القمم في تاريخ القومية العربية .

ولكن اخر كلمة لنا : قومية كل أمة تعني قبل كل شيء وحدتها السياسية . وليس قوميا عربيا بل ليس عربيا ابدا من يقبل بالقومية المفككة الى وحدات سياسية منعزلة . ( خ )

عزة النص

دمشق

( خ ) محاضرة القيت في المركز الثقافي بجنيف

بدلا من قومية اللغة والحضارة والدين ، يريد ان يخلق رابطة الصراع بين الطبقات في جميع القوميات . من رابطة الصراع وحدهما يحاول ان يقيم مجتمعا عالميا متزنا متحابا مترابطا فماذا صنع ؟  
لم يستطع اقتحام حصون القوميات فدار حولها .

تبنت بعض الحكومات - ولا اقول الامم بل ولا الدول - العقيدة الشيوعية ، ولكنها اضطرت ان تضعها تحت ابط قوميتها . البولونيون لا يزالون يعتزون ببولونيتهم وبالتالي لا يزالون يحرسون على الاستقلال ، وكذلك الهنغاريون والرومانيون واليوغسلاف والصينيون .

وفي الاتحاد السوفياتي قومية روسية راسخة مهيمنة ، تفرض سلطانها على مائة وثمانين قومية اخرى ، تماما كما كان الامر في عهد القياصرة ... ولا عبرة بوجود المجالس والجمهوريات اذا كان الوعي القيادي ينتزل على الروسيين وحدهم وباللغة الروسية وحدهما ..

الدولة والامة والتراث الاجتماعي

في اخر مؤلف لاستاذنا الكبير ساطع الحصري « ماهي القومية » رُوذ لعوامل القومية حسب درجتها في التأثير : لغة ، مشيلة تعايش ، مصالح اقتصادية ، وحدة دينية الخ .. وكل ذلك معالج بيد خبيرة واعية . والذي اراه ان واقع التاريخ يحملنا على شيء من الاحتراس ، فليس لاي اثر قيمة مطلقة في جميع الظروف والبيئات ، وحسبنا القول بسان

منشورات  
دار السرائح  
ببيروت

أنت مطالب بأن تقيم هذه الكتب الى مكتبك  
فالكتاب الاول ، تحليل عميق للحركات الفكرية والفكرية  
في الاسلام ، وما كان لها من اصول في الشرق والغرب .  
والثاني ثورة في فلسفة السياسة والاصحاح ،  
ونظريات تراث العالم بأسره اليوم .  
والثالث خدعة تجارب غاندي وفلسفته  
ونظرياته ، وهو يغني عن المجلدات .

من تاريخ الحركات الفكرية  
في الاسلام

بندلي جوزي

اللاعنف  
ثورة الانسان في سبيل عالم جديد

اشاريا فينوبا

سائل غاندي  
الى حلقته المبررة

المهاتما غاندي

تطلب في كبريات من مكتبة النهضة ببغداد



وليس لي ، بعد تدوين هذا الاجتهاد ، ان اعود الى العدد الماضي .  
القصاصد

خمس قصائد من وحي مأساة العراق العزيز في عهده الجديد . وهي جميعها تصور - على تباين - الزيف الذي ألحقه الشيوعيون بشورة ١٤ تموز ، والانحراف الذين انعرفته بتشجيع من الحكام الانتهازيين . ولا ريب في ان قصيدة نازك الملائكة « ثلاث اغنيات شيوعية » خير هذه القصائد تعبيراً عن هذه المأساة ، واروعها اداء شعرياً . وهي قصيدة اخرى تسجل خطأ جديداً من خطوط التطور في شعر شاعرنا البدعة في المضمون والشكل . ان الشاعرة لا تستطيع ان تظل بمعزل عن الاحداث ، ولا يمكن لهذه الاحداث الا ان تترك فيها أثراً . وقد وضحت في انتاج نازك الملائكة الاخير تلك النزعة القومية التي كانت غائبة في كتاباتها السابقة . وهذا ظاهر في شعرها وقصتها ودراساتها جميعاً . انها تشارك شعبها الاهتمام بمصيره ومهمة كشف اعدائه ، وتوضح الطريق الصاعد امامه . ولكنها تظل محافظة على فنية الاثر الادبي ، وتبعده عن اسلوب الدعاية والوعظ ، وتمارس أثرها فيه ممارسة غير مباشرة هي ابعد في النفس وافعل في الروح من اي اسلوب مباشر . وهذه القصيدة الرائعة تعتمد اسلوباً ساخراً لا نجد له مثيلاً في ادبنا ، قديمه وحديثه . وتقوم هذه السخرية على استعمال طائفة كبيرة من الالفاظ والعبارات التي يتداولها الشيوعيون شعارات لهم . وهم يؤمنون بانها ذات مدلولات معينة ، غير ان الشاعرة تفصح زيف هذه المدلولات بالقرائن المختلفة التي تلحقها بها ، فتكشف بهذه الطريقة اسلوباً معروفاً من اساليب النفاق الانتهازي . فان كلمتي « الجاسوسية » و « الرجعية » مثلاً كثيراً التداول في قاموس العملاء الشيوعيين . ولكن الشاعرة تجعلهما صفتين لموصوفين لا يوحيان الا بالطهارة والبراءة حين تقول « جاسوسة زنيقة » و « رجعية الياسمين » فتوحي بان ذلك يدل على منتهى الظلم والعدوان ، وتفصح نية الشيوعيين الذين يتهمون الابرياء الظاهريين بالتجسس والرجعية . وقريب من هذا المعنى حديثها عن شقائق النعمان التي هي اشرف الورد ، لانها « رمز الدم المراق - وباسمه تقتل حتى الربيع - ونذبح الاطفال » وغاية الاستهزاء بالنطق الشيوعي تبدو في قولها على لسان احدهم « جززت الورد من خديه جبا للسلام . » كما ان احدهم يكشف عما يبيتونه للعروبة اذ يقول ، وكأنها زلة لسان « وهذا الشذى روحه عربية . » ومن الطريف ان نرى ان الشاعرة قد جمعت في هذه القصيدة عدداً من المفردات المتداولة في قاموس الشيوعيين : بعد مؤامرة ، عملاء ، نفصح ، دبتر ، روجته ، رجعية ، تزوير ، دسائس ، اراجيف ، كل ذلك في سياق شعري بارع لا نحس فيه بانها كلمات مختارة مقصودة .

غير ان لهجة هذه السخرية تتحول الى رد عنيف عميق يرد به الشيوعي نفسه على نفسه اذ يصحو ويتهاوى حلمه الاحمر حين يوقن بان الغلام الذي ذبحه ، وهو هنا رمز الشهيد العربي ، يعكر امنه وحياته ،

## بقلم الدكتور سهيل ادريس

حفل الجزء الماضي من « الادب » بعدد من القصائد لم يعرفها واحد من الاجزاء السابقة . ولم يكن ذلك عن قصد من التحرير ، فانه لا يجب ان يرسم او يخطط للاعداد العادية من « الادب » ، وانما يدع للادباء انفسهم باستجاباتهم الواعية او اللاواعية ان يرسموا ، ولا تفعل المجلة غير ان تنقل هذا الرسم وتقني ذلك التخطيط ، وتترك للنقاد ان يرصدوا المظاهر الادبية ويدرسوا الاتجاهات والنزعات الجديدة . وليست بسي حاجة الى التردد بان المجلة الادبية لا تستطيع ان تخلق ادباً او ادباءً ، وانما هي تتيح للادباء ان يتنفسوا ليلتقط الدارسون انفسهم ويوتقوها في مظاهر ونزعات . وعلى هذا ، فليست المجلة مسؤولة عن الانتاج الا بمقدار الاجتهاد الذي يتيح به رئيس التحرير ظهور هذا الانتاج . وقد يكون في هذا الاجتهاد خطأ او سوء تقدير ، ولكن ذلك يظل اضعف من ان يؤدي الى تشويه حقيقة الوضع الادبي .

اقول هذا وفي ذهني بعض عبارات وردت في رسالة صديق مسن الادباء اتق بذكوه الادبي ، وهي تشير الى « انخفاض » في مستوى المنشور في بعض اعداد « الادب » الاخيرة . وليس يجدينا ان نخفي هذه الشكاوي ، بل يجدينا ان نتدارسها وان نلجأ الى النقد الذاتي حين ندعو الحاجة ، حرصاً منا على مستقبل الانتاج الادبي كله .

وانا اقر بان بعض الاسماء الادبية الكبيرة قد غابت عن المجلة ، ولكني لست على يقين من ان هذا قد ادى بالضرورة الى انخفاض المستوى . ذلك ان ذوق القارئ العربي يزداد رهافة وعمقا ، وان المقاييس النقدية بالتالي تزداد صرامة ودقة . فليس يكفي بعد ان يكون الاسم كبيراً ليفرض على القارئ الاحترام . وينبغي ان نعترف ، الى ذلك ، بان كثيراً من ذوي الاسماء الكبيرة باتوا مطمئنين الى ما كسبوه من شهرة ومكانة . فراحوا يتابعون انتاجاً يكاد يخلو من الضمير الادبي ، ويعوزه الجهد والجد . والقارئ الواعي لا يفر للكتاب مهما علا كعبه ان يستخف به .

والحق ان « الادب » تؤمن بادب الشباب ايماناً كبيراً ، وتفصح في صفحاتها لكل من تستروح في انتاجه وعوداً خيرة . ولست لبالغ حين اقول ان القراء قد عرفوا عن طريق هذه المجلة جيلاً جديداً من الادباء له خصائص مميزة ، وهو الجيل الذي يتسلم منذ الان مقدرات الادب العربي الحديث .

ولكن اذا اعترفنا بنقائص جيل الشيوخ ، فلن ياخذنا الادعاء اخذاً تنفاسي معه عن نقائص جيل الشباب ، وليس اقلها الغرور والتهور . على ان روح الاخلاص ورغبة الصداق والصراحة هما ميزتان تجعلنا نتفاعل بانتاج ادبي يفرض به الشباب وجودهم وقيمهم الجديدة .

واحسب ان القراء المخلصين يفرون لنا بعد ذلك ان ننشر بعض الآثار التي تحتاج الى نصح وتفكر الى تمرس ، فان روح التشجيع لادب واعد ، ولو كان يعتوره بعض ركافة او ضعف ، خير من خنق هذه الآثار التي قد تفقدنا مواهب كثيرة تفني ادبنا الحديث .

لانه تكاثر حتى أصبح تسعين مليون عربي ، أي انه أصبح العرب جميعا . وروعة هذه الخاتمة تكمن في ان الشاعرة لم تورد هذا المعنى كاسقاط وتدخل منها ، بل اوردته محفورا في ضمير الشيعوي ، يعذبه ويؤرقنومه ، فتفادت الوعظ المزج الذي نجده في كثير من شعرنا الحديث . وقد لا حظنا في شكل هذه القصيدة ، بعد ، تطورا واضحا في طريقة التعبير . ففيها ابتعاد عن التعقيد المعنوي واللفظي ، وفيها سلاسة وانسياب وتلقائية لا نجدها كثيرا في شعر نازك الملائكة الذي يعنى بالفكرة وظلالها عناية فائقة .

ونجد احدي صور هذه القصيدة تشكل الفكرة الرئيسية في قصيدة عدنان الراوي « آذار وانصار السلام » ، نقصد فكرة البراءة الذبيحة المتجسدة في طفل يضحي بعلوى مذبج الانتهازية والاستغلال : « لا تتركوا الطفل الرضيع - ففدا سيكبر ثم يهتف بالترانيم الوفيه » وخاتمة القصيدة هي ايضا بارعة بكلماتها البسيطة المحملة بالايحاء : « يكبر الطفل الرضيع » . ولعل القاريء قد لاحظ الشبه الواضح بين هذه الصورة وصورة وردت في قصيدة نازك الملائكة ، ونكاد نجد شبيها لها في قصيدة « صلاة » لشفيق الكمالي . فاذا ذكرنا ان هؤلاء الثلاثة هم شعراء عراقيون ، حق لنا ان نتنبأ بان انحراف الثورة العراقية سيخذ في اذهان هذا الجيل من شعراء العراق صورة طفل تفتاله ايد ائيمة ، وان بوسع التاريخ الادبي ان يضع منذ الان فصلا هاما عن هذه الفترة تحت عنوان « ثورة ١٤ تموز والطفل الذبيح » .

هكذا وقد حفلت قصيدة « صلاة » ، وهي ابتهاج حار صاعد من الاعماق ، بصور غنية واستعارات وتشبيه معبرة : « والمنجل يحعد في اصرار - زهرا انبتناه من الصخر » - « الدرب تجرحه اقدام الجنبد

الريح رصاص . » وصورة محزنة عميقة الدلالة هي صورة خلو بفساد اليوم من العذاري « في كل صباح تمضي للجدول عذراء قربانا للثنين الاصفر . » الا اننا لاحظنا غلظتين نحويتين في هذه القصيدة : اولاهما قوله عن الزهر « اسقيناه ندى العمر » والصحيح سقيناه ، والثانية جعله همزة « الاسمر » همزة وصل في قوله : « والشارع الاسمر تخنقه القضبان » وهي همزة قطع اذا قرئت كذلك انكسر البيت .

وفي هذا السياق من المعنى تدرج قصيدة « الهرة السوداء » لعلي الجندي ، وقد رمز بقصة هذه الهرة التي اكلت صفارها الى الثورة التي اكلت نفسها . ومقدمة القصيدة تصوير بارع لترقب اطلالة الفجر وما عقب ذلك من خيبة ترمز اليها الاشباح التي لا تنام . وبعد سرد قصة تلك الهرة ، تأتي دعوة الى مواصلة الكفاح والصراع ، ولكن هذه الخاتمة تبهت بالنسبة لمطلع القصيدة ويحول منها التوتر ، وتنتهي بيت لم يكن التشبيه فيه موفقا ، ولعله سبق بالقافية « وتضحك الحياة والشفاه كالطفولة . » وقد ورد في هذه القصيدة بيت غير مستقيم ، هو قوله « اني اسليكم عن الجهد الذي تحملون » وهو يستقيم اذا جعلناها « تتحملون » (١)

وتبقى قصيدة « الكلمة اقوى من الموت » لماجد حكاوي ، وقصد اهداها « الى جلادي الكلمة في بغداد من الشعراء الذين خانوا رسالتهم » فذكرنا بعد من هؤلاء الذين ضلهم الشيوعيون او الذين وهنت قلوبهم (١) لعل ذلك خطأ مطبعي . ونحب ان ننتهز هذه المناسبة لنعذر الى الشعراء والى سائر كتاب العدد الماضي عن الاغلاط المطبعية الواشرة التي وقعت في مقالاتهم ، ونعدهم ان نتجنبها قدر المستطاع في المستقبل .

## مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر

تقدم

## النقد الادبي ومدارسه الحديثة : الجزء الثاني

وهو كتاب يرجع اليه الادباء والنقاد والباحثون في المدارس النقدية التي ظهرت في الجيل الاخير .

تأليف : ستانلي هابمن

ترجمة : الدكتور احسان عباس

والدكتور محمد يوسف نجم

بالاشتراك مع دار الثقافة - بيروت

\*\*\*

## دراسات اسلامية

مجموعة مقالات تتناول : السيادة الاسلامية ابن خلدون في مصر ، الفتوة ، الاسلام والتطور ، الاسلام في التاريخ الحديث ... كتبها عدد من المستشرقين ، وترجمها عدد من الاساتذة المختصين باشراف الدكتور نقولا زيادة

بالاشتراك مع دار مكتبة الاندلس .

فانساقوا في التيار ، وفقدوا معنى الصمود الذي هو عنوان الاديب الحر . وفي القصيدة وصف موفق للكلمة النذلة التي تجري على قلم امثال هؤلاء : « الكلمة تخرج مجروحة - تنسل على درب مظلم - يجلدتها من اقسام للكلمة بالاخلاص . » على اني ارى ان البيت الاخير قد سقط دون مبتغاه معنى ولفظا « لتعود حقيرا مرذولا في دنس الحماية تتمشى . »

واذا واصلنا مراجعة قصائد هذا العدد ، كان علينا ان نولي قصيدة « مدينة الغرب » لعبد الباسط الصوفي اهتماما خاصا . فهي قصيدة طريفة وعميقة في الوقت نفسه ، وهي تهز القاريء بما تثير فيه من مختلف الشاعر والصور والافكار . والشاعر يروي فيها ، عبر صورة هذا الشجر الرخو الذي اسمه « الغرب » ، قصة حياة مدينة بكاملها ، حياة شعب في مدينة ، له اخطاؤه ، ولكن له ايضا مزاياه . وفي القصيدة اشارة لقضايا هامة وعميقة منها ما يتصل بالفكر والفن ، ومنها ما يتصل بالحياة اطلاقا وكلها موضوعات موحية تدل على عمق ثقافة الشاعر وعمق حسه الفني . والحق ان كل مقطع من القصيدة يعالج قضية قائمة بذاتها ، وتبدو صورة الغرب بالنسبة اليها كاللازمة في الاغنية . والبؤرة التي تبتثق منها كل ابحاث القصيدة هي تشبيه بعض الرجال بالغرب ، فكما ان « الغرب فن الارض » ، كذلك « بعض الرجال فن الحياة » . ويبدو الغرب كالفن ، شيئا كماليا قد لا تكون له قيمة اساسية ، ولكنه من الحياة في صميمها . شأنه في ذلك شأن هؤلاء الرجال الملعبين الذين يعيشون القلق والرتابة ، ولكنهم مع ذلك يكونون الطليعة ، ويقفون في خط النار عندما يدعسوا

## مذكرات ايدن في كتاب

اشترت « دار مكتبة الحياة » لصاحبها يحيى وكاظم الخليل مذكرات السيد « أنطوني ايدن » ، رئيس الوزارة البريطانية السابقة .

وستصدر « دار مكتبة الحياة » ، المذكرات في كتابين ضخمين ليتمنى للقراء في العالم العربي الاحتفاظ به كمرجع سياسي هام لأحداث هزت منطقة الشرق الأوسط .

ومعروف ان ما نشرته بعض الصحف في العالم العربي من المذكرات هو جزء ضئيل منها .

وسيكون إصدار المذكرات بكاملها في كتابين عن « دار مكتبة الحياة » ، التهيئة كبرى .

« ودار مكتبة الحياة » ، هي ومهد لها صاحبة الحق في ترجمة ونشر وطبع وتوزيع هذه المذكرات ، ولانها في اعين اعتدائ ترديق من جانب أي مؤسسة او فرد بالنقل ، ولوجزئاً ، الى اللغة العربية ، ليس في العالم العربي ، بل في العالم اجمع .

الواجب . وهذا الغرب نفسه يصبح ، في نهاية المطاف ، حطباً للشقاء يتدافأ به المتردون ، كما يتدافأ الشعب بنار الشهداء .

وما اغنى هذه القصيدة بالصور الرائعة ، وما احفلها بالاستعارات الجديدة والتشبيهات الفنية المثرة : « كل الحقول جمرة من الذهب - من أشعل الحرف واطعم اللهب ؟ وزوق الالهام في مجرى القلم ؟ - كان المساء لوحة نارية - وانفرزت اصابع وحشية ، في مقل الشوارع القفراء ، فانفجرت مصابيح شواء - واغمدت نصالها الاضواء »

واذا رحت انقل صوراً اخرى ، فاني اوشك ان اعيد نشر هذه القصيدة ولكني اود ان اشير الى هذه الصورة التي بلغ فيها الشاعر ذروة التوفيق باوجز الكلمات حين يتحدث عن شرفات النساء فيقول « شرفاتهن رحلة الشباب » كما ان اوميء الى نهاية القصيدة التي تستقطب ثورية هؤلاء الذين يحلمون في الصحراء بالبعث العظيم ، وينطلقون يجرفون الحدود في طريق الوحدة الكبرى : « رسالة الجيل يهز الجيل ، رسالة الصحراء والحرية ، هادرة بالبعث امة العرب ، على سنا المشاعل الثورية ، تجرف في طريقها الاسوار ، ويرقص الاحرار ، وانتظمت قوافل الثوار ، وانت احطاب الشتاء يا غرب »

على ان هذه القصيدة مكثفة تكثيفا يكاد يضر بها . وظاهر ان الشاعر اراد ان يحملها مادة ملحمة كبيرة ، ولا شك في ان هذا هو الذي حمله على ان يشرح رموزها بهذه المقدمة الطويلة الرائعة التي ينبغي ان نعترف اننا كنا لولاها سنتخطط في تفسير الرموز والمداولات الشديدة الغموض . اما « اغنية الميناء » لعبد الرشيد الصادق فقصيدة عذبة ، حافلة بالصور الباردة ، واحاسيسها ذات نكهة ، ولهجتها ذات صوت خاص فريد . وهي تعبر عن مشاعر فتى يودع حبيبته المسافرة الى فرنسا ، فيخطبها ملهوها ، ويعيش مراحل الرحلة بدلا منها ، ويتوقف لدى كل مشهد يحدث نفسه او يخطب حبيبته على البعد ، يستولى عليه الحزن للفراق تارة فيشمله الياس والاسى ، وطورا يتخيلها تذرف الدمع لفراقه فيستعيد طمأنينته . ويورد الشاعر في اثناء ذلك صوراً تعبّر خير تعبير عن حالته النفسية ، من مثل صوت البحار والبحوح يغني اغنية تستجيب لشعوره هو : « ما اكثر ما في العالم من مدن وموانئ - لكني لا اهوى الا ميناء حبيبي - وحبيبي ليس له ثاني . » وكذلك تشبيهه لبركان فيزوف تشبيهات عديدة يستلها كلها من رعشاته النفسية : « منار في الظلمة ، مصباح يخفق في العتمة ، شفق واصيل لا ينضب ، هو باقة ورد يرفعهما البحر التواق الى اعلى ، هو تاج من ذهب منصوب فوق جبين مشرق . » انها قصيدة متوترة نابضة ، تنسم لشاعرها غدا مشرقا .

ومثل هذا النبض نجده في « غرباء » لحسن فتح الباب ، وهي قصيدة حزينة يعكس فيها لاجيء مأساته بالضيق والغربة ، وتنشال مشاعره في اسى داعم . وتكرار كلمة غرباء في المقطع الاخير « ان تطلع شمس غرباء ، ان يهو شعاع غرباء ، غرباء في واديهم غرباء » يحمل لهجة تمزق لائح يصور المدى الملحمي لهذه المأساة المريعة .

وتمتاز قصيدتا « لا تنتظر يا قمري القبيح » لهاني صعب و « اللقاء الاول » لمختار عبد الباقي ببساطة الفكرة وسلاسة التعبير وصدقته . والاولى تسجل تطورا بينا لدى الشاعر ( وهو نفسه هنري صعب الخوري ) يتجلى في اختيار الموضوع وتناوله واسلوبه . وهو حديث فتاة السى حبيبها ان يطرح الجبن ويسارع الى طلب يدىها ، وفي الحديث عن اللهجة المعبرة عن نقمة متحبة تجعل الفتاة تصف الفتى بالقمر القبيح ، وفيه صورتان بارعتان شبهت المتحدنة في اولاهما نفسها بانها اذا اكرهت على

الزواج ممن سترحب به والدتها فستعقد تحت سقفه « كاهة مديدة ». وكذلك تشبیه قلبها بالسمنل ، وهو طائر بالهند يمكث في النار ويستلذ بها . غير اني وجدت تعبيرا ثريا ضعيفا في قوله « خمسة احلام ... يخبرني انك في الاخير .. لي » واما القصيدة الثانية فجدها في انها تستخرج من لقاء عيون خضراء سلسلة من المعاني تدل كلها على مولد خلقتة هذه العيون ، وهو معنى مبتكر .

اما قصيدة « الافعى الفادرة » لنذير الحسامي فهي تفيض حقسا على امرأة مخادعة غادرة ، وتلتزم لهجة هجائية لاذعة تنفث الكراهية نفثا لا يقل عن نفث تلك الافعى لسمها . وهي قصيدة كلاسيكية تحتفظ بافضل مزايا الشعر العمودي من عبارة محكمة وصورة بليغة ولفظ مختار ، ولكنها لا تنجو من بعض نقائص ذلك الشعر من حيث ايراد بعض الصور التقليدية المكررة .

بقيت قصيدة « الشمس والنمل » وصاحبها خليل الخوري شاعر له شخصية وفن . وهذه القصيدة تجربة شعرية جديدة آثرت « الاداب » نشرها ليبتدي الشعراء والنقاد رأيهم فيها ، بالرغم من ان مراميها قد غمضت علي . واحب ان اسمع رأي الشاعر نفسه ، او رأي من فهمها وقيمتها .

### الابحاث

تناولت الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي في مقالها « قضية الشعر العربي الحديث » دراسة شعرنا الحديث بلهجة متحمسة مؤمنة ، ليست لهجتنا اقل ايمانا منها بهذا الشعر ، وقد وضعت يدها على مزايا الانتاج الشعري الحديث في ادبنا ، وفصلت خصائصه ودافعت عن قضيته دفاعا رصينا واعيا . ومقالها جامع على قصره ، واضح كل الوضوح لا تنفذ منه اية لهجة عدوانية بالرغم مما يحيق الان بقضية الشعر الحديث من اخطار، ككل تجربة حديثة .

اما دراسة الانسة نازك الملائكة لرواية « الخندق العميق » فنادرة هي الدراسات العربية العميقة التي تضاهيها .

وهي دليل اخر على ان هذه الادبية المبدعة ذات ضمير ادبي فذ ، فهي لا تستخف بأي موضوع تعالجه ، سواء اكان شعرا ام قصة ام دراسة ، وتبذل له قصارى جهدها ، فتبدو بذلك نموذجا للرصانة الادبية الجادة . وذلك يشتمل ، في دراساتنا خاصة ، على جانبي التقريظ والتجريح جميعا ، اذ هي لا تطلق اي حكم من غير ان تقدم بين يديه ادلته وبراهينه ، مستقاة من الاثر نفسه ، ومن الحياة عامة .

وانا اشهد انها تعمقت رواية « الخندق العميق » وعاشتها وحللتها كما لم يتعمقها وبعثها ويحللها كاتب ، على احترامي وتقديري لجميع ما كتبه عنها النقاد . وقد اشعرني دراستها الواعية بشيء من الندم على اني لم اطلق لانقاسي العنان حتى اخره في هذه الرواية ، وانه كان بوسعي ان اضيف اليها اشياء كثيرة تلقي اضواء وظلالا اخرى على نفسية بطل القصة الرئيسي . وحسب الناقد ان ينبه الكاتب الى مثل هذا ليؤدي دورا خطيرا في الانتاج الادبي .

ولن اكشف جديدا اذا ذكرت بان كثيرا من المعاني والاحكام التي استنتجتها الدراسة من الرواية لم تخطر ببالي . ولكن ذلك لا يضرها ولا يضرني . فانا احسب اني كتبتها بصديق واخلاص ، وهذا كل همي . وللنقاد والدارسين بعد ذلك ان يحلوا ويستنتجوا ما شاءوا ، لاسيما وان مفهوم النقد قد تطور كثيرا بحيث تعدى التقريظ او التجريح الى توضيح الرموز وكشف الدلالات ، ولو كانت هذه الرموز والدلالات قد

صدرت على غير وعي من المؤلف .

واقدر للانسة نازك ملاحظتها الهامة في التمييز بين دائرة الحياة ودائرة العمل الفني، فهذا دليل حسن مرهف في ادراك الحياة والعمل الفني جميعا وليس لي بعد ان اوافقها او اخالفها في تحليلاتها ، ولكن عندي بعض ردود توضيحية على بعض احكام لها احسب ان التوفيق قد جانبها فيها . فهي تنفي مثلا ان يكون هناك صراع بين سامي وابيه . وتذكر دليلا على ذلك ان الاب لم يحل دون ان يترك سامي المشيخة او دون ان تخلع هدى الحجاب . والحق ان ترك المشيخة وخلع الحجاب ليسا الا نهاية او تنويجا لهذا الصراع الذي كان يقوم بين الاب ولولديه في ميادين كثيرة تسردها الرواية . على ان اثبات هذه الحقيقة لا ينفي ان يقوم ثمة صراع بين سامي ونفسه ايضا .

وعلقت الناقدة تعليقاً طويلاً على اشارة المؤلف الى الحرب العالمية الثانية ، على اعتقاد منها بان هذه الاشارة لا قيمة لها ، بل هي تخالف الضرورة الفنية . وارى ان الانسة نازك لم تتابع ذبول هذه الاشارة . فقد وردت العبارة في السياق التالي : « وقصره ابوه قسرا بعد يومين على ان يرافقه الى حلب . وكان قد مرت عليهما ثلاثة ايام حين اعلنت الحرب العالمية الثانية ، فلم تيسر لهما العودة الى المصيف الا بعد يومين وهناك وجدوا ان معظم المصطافين قد غادروا القرية ، والى منزل سميا مقلقا .. »

ويتضح من هذا ان اهل حبيته قد غادروا المصيف في اثناء غيابه بحلب ، في شهر آب ( الشهر الثامن كما اشارت الى ذلك الناقدة ) والمعروف ان المصطافين في جبال لبنان لا يغادرون المصايف الا في آخر ايلول . افلا يعني ذلك ان قيام الحرب هو الذي فصل بين الفتى وحبيبته ،

## مكتبة انطوان

### فرع شارع الامير بشير

ص.ب ٦٥٦ - تلفون ٢٧٦٨٣

سعيد تقي الدين	رياح في شراي
جورج مصروعة	هنيبل ( ج ١ )
حبيب صوايا	البيتون المسلح
هنريسون	صحة الطفل
ميشال الحايك	المسيح امام المسلمين

### مستقبل الديمقراطية ومفاهيمها

مصطفى عوض الكريم	فن التوشح
عبد الرحمن بن خلدون	التعريف بابن خلدون
رثيف خوري	الدراسة الادبية
بنوا ميشان	ربيع العصب
سامي الصلح	مذكرات
جورج صيدح	حكاية مفترب
ادمون كسبار	الوصايا والهبات والارث



وحرمة من رؤيتها طوال شهر على الأقل ، مما كان يمني نفسه به ؟ والحق ان هذا الفراق المفاجيء قد قصر مدة شهر كامل اجمل فترة عاطفية في حياة الفتى ، لان هذا الفراق كان شبه ايدان بانتها الحب ... وعلى هذا تكون الحرب هي التي جنت على هذا الحب .. افليس هذا مبررا كافيا للتوقيت وللإشارة الى الحرب ؟

ثم ان من المفهوم ان قضية الحرب وتأثيرها على الوطن وما الى ذلك ، خارج كله عن منطق وعي الفتى المراهق . ان كل ما همم ان هذه الحرب حرمت من حبيبته ، فكانت حدثا هاما في تاريخ عاطفته . ولعل خير تفسير لذلك ، العبارة التي تلي فوراً العبارة المذكورة اعلاه ، ونصها : « وحين استقلوا السيارة ، القى على الشرفة العليا نظرة اخيرة اغرورقت لها عيناه بالدموع .. » وذلك ارهاصا منه بضياع هذا الحب الرائع ، من جراء قيام الحرب .

واحسب ان النص على اصابة سامي بالتيفوئيد لم يكن ، هو ايضا ، شيئا نافلا لضرورة له . فقد ادت هذه الإصابة الى دفع « رفيق » لزيارة صديقه في بيته ، ولتكرار هذه الزيارة في اثناء مرض سامي وبعده . وقد كان ذلك فرصة لقاء رفيق بهدى وقيام ذلك الحب الذي شغل حيزا ذا شأن في القسم الثاني من الكتاب .

ولا ادري كيف وجدت الانسة نازك ان استعراض ذكريات حياة سامي المدرسية في المعهد الديني « لا يضيف الى احداث الرواية شيئا ، ولا يلقى حتى لمسة تحليل على سيرة سامي نفسه » الا توحى الصور التي رسمها بفكرة كافية عن ضحالة التعليم الديني وانعدام قيمته على الشكل الذي كان يعطى فيه ، وعدم جدية الدراسة اجمالا ، مما سيزهد سامي بالدراسة الدينية ، ويسر له ، الى جانب عوامل اخرى ، خلع الجبة والعمامة ؟

وذكرت الناقدة ، في معرض التساؤل عن دافع المؤلف لتغيير لهجة الحديث بين القسمين الاول والثاني ، ان القسم الاول كان « يتبع الاسلوب المسمى بالمونولوج الداخلي ، وفيه تابع المؤلف عواطف سامي وافكاره بضمير الغائب ... » واعتقد ان في هذا الكلام خلطا واضحا . فالمونولوج الداخلي هو الذي يتحدث فيه البطل مع نفسه ، ويحلقها ويسائلها ويرد عليها ، وهذا ماتعنيه كلمة « مونولوج » اساسا . والمعروف ان المؤلف حين يعمد الى هذا الاسلوب ، يتنحى عن الرواية والسرد ليجعل البطل نفسه يروي ويسرد ، وليس الامر كذلك في القسم الاول الذي يروي فيه المؤلف الاحداث بضمير الغائب . وتأتي هنا المناسبة لتوضيح قصدي من جعل القسم الثاني مكتوبا على لسان هدى . فانا اعتقد اولاً بان ضمير المتكلم اقدر والصق بطبيعة الحياة من ضمير الغائب على التعبير عن الخلجات ، ثم اني اردت ان القى الضوء على سامي من جهة منحازة ، مشاركة ، هي جهة هدى ، بعد ان كانت اللهجة في القسم الاول محايدة ، بعيدة . وتبسيط الضوء بهذا الشكل يكشف جوانب اخرى من نفسية البطل ، وهذا ماتنبهت اليه الانسة نازك . وقد احسنت بعد ذلك ، حين فرغت من كتابة القسم الاول ، بان سامي ، على كونه يظل البطل الرئيسي في القصة ، مدعو ، بعد هذه الفترة من تاريخ تكونه ، الى امرين متوازيين : ان يتابع تطور نفسه ، وان يعي وضعه في أسرته . والحق انه قد بدأ يعي ، فاصبح يفهم - ولو فهمها غامضا - بان عليه ان يؤثر على محيطه وعلى افراد أسرته ، ولا سيما على هدى التي كانت يطعمها وشوقها للعلم اقرب الناس اليه ، ومن وجهة نظر فنية محض تراعي حرارة اللهجة في الحياة ، فضلت ان اجري الكلام على لسان هذه التي « تتعرض » للتأثير ، فتكون اقدر على تصويره وتقديره ، وهي التي تعيشه ، من راو محايد .

وقبل ان افرغ من هذه النقطة ، اود ان اعلق على قول الناقدة : « ومن الحق ان نلاحظ ان ذلك يفاجيء القارئ مفاجأة غير هينة » .... » وقد كانت المفاجأة تهون لو ان المؤلف تحدث عن هدى بالمونولوج الداخلي كما تحدث عن سامي .

واقول متسائلا : متى كان المطلوب من الروائي الا يفاجيء قارئه ؟ وهل من المرغوب فيه ان يحاذر المؤلف مفاجأة قارئه ، وان يراعي كل ما يحسد به وكل ما يتوقعه ؟ وايا ما كان ، فاني احاذر شيئا اخر ، هو الذي تمتته الانسة نازك لتكوين المفاجأة : ان اتحدث عن هدى كما تحدثت عن سامي . فانا اعتقد بان افسد ما يفسد التكنيك في رواية اوتوبيوغرافية ان يتحدث المؤلف عن ابطاله واحدا واحدا . وانما ينبغي ان يبرز الابطال جميعا من خلال البطل الرئيسي ، عبر افكاره ومشاعره .

بقي امر اخير لحت الناقدة عليه الحاحا شديدا في اثناء حديثها العميق عن مراحل التطور لدى سامي ، وهو امر الصراع بين داعي الواجب وداعي الحياة في النفس . فانا لا افهم اصرار الانسة نازك على نصب هذا الصراع ، واقامة سد منيع بين الواجب والحياة . فهل يمنع على انسان ان يوفق بين داعي الواجب وداعي الحياة ؟ اليس ثمة من يؤمن بان الحياة الانسانية الحقة الرائعة هي في ان يتقاد للواجب عن طوع واختيار ؟ وانه حين يقصر في الواجب ، يلج عليه ندم وتبكي ضمير تبدو الحياة نفسها معها شيئا لا يطاق ؟ ان الانسة نازك تجعل الحياة نقيض الواجب ، كما لو ان الحياة لاتدعو الا الى عدم الاضطلاع بالواجب ، والى الاستسلام للضعف والنزوة . ولست ادري ان كانت الحياة هي هذا ، وليست غير هذا !

## ماذا تقرأ هذا الشهر ؟

راي العالم للعلماء الذين توفروا عليك عنا الإختيار

نتقدم اليك أهدى إنتاجنا :

- |     |                             |   |
|-----|-----------------------------|---|
| ١٠٠ | للدكتور فؤاد صروف           | يعقوب صروف  |
| ٥٠٠ | تعريب الاستاذ منير البعلبكي | الوطن توم بين                                     |
| ٢٥٠ | للاستاذ اكرم الرافي         | وضاح اليمين (الكتاب الاول من سلسلة آفاق عربية)    |
| ٢٥٠ |                             | بيت في الكوفة (الكتاب الثاني من سلسلة آفاق عربية) |
| ١٠٠ | للدكتور منيف السرزاز        | تطور معنى القومية                                 |
| ٢٠٠ | « شعر » ايليا ابي ماضي      | تبر وشراب   |
| ٣٠٠ | « شعر » « « « «             | الجسداول  |
| ٣٠٠ | « شعر » « « « «             | الخمائل   |
| ٣٠٠ | للاستاذ محمد النقاش         | مواليد الارق                                      |
| ٤٠٠ | لكاريل تشيمان               | الزنازة رقم ٢٤٥٥                                  |
| ٥٠٠ | لستيفان زفايغ               | ٢٤ ساعة من حياة امرأة                             |
| ٥٠٠ | تعريب الاستاذ منير البعلبكي | دفاع عن الاسلام                                   |
| ٥٠٠ | لكاريل تشيمان               | وراء القضبان                                      |

وكذلك الرأي في وضع المثالية والانسانية على طرفي نقيض ، كما انما يستحيل على المثالي ان يكون انسانيا ، والعكس بالعكس .  
ولا بد لي اخيرا من ان اعود فادعو النقاد الى احتذاء هذا النموذج الرائع في الصمير الادبي الواعي ، ازاء كل عمل من انتاجنا الحديث . فما احوجتنا الى مثل هذه الدراسات ، وكم سيكون لها من شأن في تاريخ النقد الادبي عندنا .

الناقد : ضمن محمد عبد الله الشفقي هذه الدراسة خواطر متناثرة عن الناقد ، فيبين انه فنان ازداد ادراكه وفنه بوعيه ، وفقد السذاجة والغربة والجهل المفروضة في كل فنان ، وتحدث عن الجمالة التي تؤدي الى حاجة الناقد الى العزلة والترف ، وعن موقف نقادنا من نظريات النقاد الاجانب ، وطالب بان يقول النقاد العرب رايهم في الانسان الاجنبية . ولكن الكاتب انكر على الناقد ان يستخرج مالميس فسي الاعمال الادبية ، وهذا موضع نقاش . فانه يحق للناقد في رأينا ان يستوحي الاثر الادبي م شاء ، والناقد الحق هو الذي يعني بانارة الاثر وكشف جوانب الغموض فيه وتعليل الاحداث وربطها بالمعطيات المادية والنفسية للكاتب واستيلاها واستخراج الجملالات اللاواعية في الاثر الادبي . والمقال طيب بالاجمال ، رغم افتقاده الخيط الذي يلم البحث في هيكل متناسق .

واشير اخيرا الى بحث بعنوان « الادب بين الواقع والوجدان » بقلم يوسف حوراني ، وقد وجدت فيه اطلاقا للاحكام غير مبرر . فهو مثلا يشجب الواقعية الحديثة كليا من غير ان يقدم لهذه النزعة تعريفا بسماتها ومظاهرها . ولسنا ندري كيف استنتج الكاتب بان هذه الواقعية تطلب من الفنان ان يصبح انسانا عادي في نظريته للاشياء والاحداث ، كما اننا نرى قوله « ان الفن هو طبيعته هروب من الواقع » امرا قابلا للنقاش ، فالفن ليس هو الواقع حتما ، ولكنه ليس هروبا من الواقع كذلك . انه قد يكون تجاوزا له ، ولكن هذا التجاوز ينبغي الا يتناقض ومعطيات الواقع حتى لايفقد صلته بنسج الحدث الانساني ، فيسقط في الخيال المحض . وقد كنا نود من الكاتب ان يوضح لنا مفهومه الحقيقي « للوجدان » لنتمكن من تقييم دعوته الى ما سماه « الواقعية الوجدانية » .

## القصص

قصة سليمان فياض « اللص الحارس » قصة غير عادية ، قصة غريبة ، ومن غرابتها تشأ قيمتها . ثلاثة اشباح يتحركون في الظلام : لص يسرق ليعيش ، وسائق لوري يساعده ليعيش ، وحارس يحرس ليعيش . انه صراع من اجل اللقمة . ويقتل الحارس اللص ، لانه لو لم يفعل ، لقتله اللص ، اما السائق فيفر بسيارته . ومقتل اللص هو الذي يشير فكرة القصة : بشاعة هذه الحياة التي تبعث على التفرز والاشمئزاز . لقد اخذ الحارس ، بعد ان قتل اللص ، يتأمل عينيه المفتوحتين بلا معنى ... وشعر بحنان نحوه ، وقال لنفسه : « اهذا هو الموت اذن ؟ » ومن هذه العبارة تنبثق فلسفة القلق الوجودي الذي يحس به كل انسان تمزقه مفارقات الحياة . فنحن نشعر بعطف خاص على اللص الذي كان بوسعه ان يقتل الحارس ، ولكنه لم يفعل لانه لم يكن يقصد الى الشر ، وان كان يريد السرقة ليعيش . وهكذا ينبعث من القصة في نهاية الامر ، لهجة تشاؤم من هذه الحياة الظالمة المؤسفة . كل ذلك ، من غير موعظة او خطاب اخلاقي . انك تعنى به احساسا

باطنيا صادقا .

وقد كتب سليمان فياض هذه القصة بلهجة واقعية جافة ، حادة ، صارمة . وكانت الاحداث هي التي تتكلم . ونحسب انه لو لم يتحدث تارة عن نفسية اللص وتارة عن نفسية الحارس ، فبرز كمؤلف يرصد الاحداث ويصفها ، واشعر القاري بوجوده ، لولا ذلك ، ولولا ان اللفة كانت تقصر احيانا وترك ، بالنسبة لمثانة البناء ، لخلت القصة من اي ماحض .

ومن الغريب والطريف ان نقرأ في العدد الماضي نفسه قصة اخرى بعنوان « حادثة نشل » بقلم صابر الحضري تشبه شيئا عجيبا قصة « اللص والحارس » بما توحيه من تفكير وتامل . وهي حكاية نशल في اوتوبيس ينشل محفظة نقود رجل عجوز كان عائدا على التو من العمل الذي اقبل منه وصرفت له في ذلك اليوم مكافاته . وحدث بعد ان نشل عزيز العجوز حامد ، ان سمعه يحدث نفسه بصوت منخفض عن اسرته وفقره ومشاريعه لانفاق المال وانقاذ افراد عائلته ، فتأثر لذلك وقرر ان يعيد له المحفظة ، « فيفعل الخير لأول مرة في حياته » ولكن حامد تنبه فجأة لصياح محفظته ورأها في يد النشل المرتجفة فانقض عليه ، واستعدى عليه الناس الذين اخذوا يضربونه ، واستاقه شرطي الى القسم وهو يصفعه .. « فاحس وهو يصفع ويضرب بدمعة حائرة تهبط من عينه ، وما لبث ان ابتسم في شماعة وهو ينظر للناس .. »  
ان هذا الموضوع يشير ابتسامة سخرية من نزعة الخير لدى الانسان : فلو لم يتأثر النشل لحال حامد لافاز بالمحفظة وانفذ نفسه من الاعتقال والاهانة . ولهذا نراه يبتسم بسملة شماعة .. شماعة من نفسه لانه ترك لمعطته ان تشفق على ذلك المسكين الذي نشله .. والحق ان القاري يتنازع شعورا وهو يقرأ نهاية هذه القصة : شعور انساني بالمعطف على النشل الذي تأخذه الشفقة على ضحيته ، فيستعد للعدول عن النشل ، وشعور سوداوي يزيل ذلك الشعور الانساني اذ يحمل القاري على تصور بشاعة هذه الحياة التي لاتتيح حتى للاشرا ان يعدلوا عن ارتكاب شروهم .. وفي هذا سخرية من الحياة نفسها . وانا اعتقد ان القاري يؤثر لو انه الكاتب قصته عند الاحساس الاول ، لينتصر الشعور الانساني ، وان كانت الحياة حقا تخلق احيانا لدى الانسان مواقف غير انسانية . ولكن متى كان القصص ملزما بتصوير معطيات الحياة تصويرا فونوغرافيا ، وبعدم تجاوزها ؟

والماخذ الذي لاحظناه على القصة السابقة ، نلاحظه على هذه القصة ، وبصورة ابرز ، فقد كان الكاتب يظهر ظهورا مزعجا حين يتحدث تارة عن حامد ، وتارة عن عزيز ، فيشعر القاري بان عينه ترصد الحركات ، وقد كان بوسع الكاتب ان يصف كل شيء عبر نفسية النشل عزيز ، وكان بوسعه ليشرح وضع حامد ، ان يجعله يتحدث مثلا مع زميل له صعد الاوتوبيس بصحبته ، فسمع النشل قصته بصراحة ، من غير ان يضطر الى جعله يتحدث مع نفسه ، وهو موقف لا يخلو من غرابة .

واما قصة « الثلج والشرف » لعثمان سعدي فتصور بعض مايعانيه الجزائريون الابطال من ظلم المستعمرين الفرنسيين وعدوانهم ، فتاة يطاردها الجنود بين الثلوج ، فتشل قدمها من شدة البرد والجري هربا من ان يعتدي الجنود على شرفها . غير ان تناول الموضوع ضعيف ، والجانب الفني فيه باهت ، لان لهجة التقرير والموعظة غالبية عليه .

سهيل ادريس

# مكتبة ... في «مكتبة الفيت»

## بقلم سميرة عزام

النفسية لصورة الشيخ الظاهرية ، ثم خط المؤثرات الفكرية المختلفة التي أدت الى نوع من هزة الكيان العنيفة ، التي جعلته ينبذ صورة الشيخ هذه .

والحقيقة ان الحافز الانفعالي ، انفعال سامي بالجو العام لبئته ، وبسته بصورة خاصة ، كان دافعا لدخوله المعهد الديني بشكل يكاد يفتقر الى ارادة الوعي . فهو ابن شيخ اعتاد ان يقيم السهرات الدينية في بيته ، حيث تتلى السيرة النبوية والقرآن باصوات « ذات ارنان ذهبي » ، تدفع الفتى سامي الى ترقب تلك السهرات ، ليعيش ثانية في ذلك « الجو الذهبي العجيب » . وهو حساس يتفعل بالصوت الجميل فيقف دقائق يرهف اذنه ويتميل مع انغام الاذان حين يصعده صوت جميل .

ولعل سامي احس لنفسه باهمية خاصة حين افسحت له ( الجماعة ) التي تتردد على سهرات ابيه الدينية مكانا بينها ، بل وحثته على ان يحفظ عشرا من القرآن يرتله في سهرة قادمة . ثم كافاته ، اذ نجح ، بمصحف صغير مذهب الحواشي . ورغم انني من رأي نازك في عدم اعطاء حادثة الشيخ ذي العكازين الذي طارده اهمية معينة ، واعتبارها سببا مباشرا لدخوله المشيخة ، الا انني لا استطيع ان اغفل تأثيرها النفسي عليه في تكثيف انفعالاته ، ومن ثم انجذابه الى ذلك الجو الغامض المسحور . كل هذا الى جانب ترحيب ابيه بالفكرة وحثه عليها كلما رأى مناسبة لذلك ( لقد قدر عليه وكتب على جبينه ان يكون شيخا مثل ابيه ) والعمامة تاج العرب ) ثم ان سيطرة فكرة « الواجب » على مسلكة العام قد دفعته الى دخوله المعهد راضيا متلهفا لساعة يبدو فيها شيخا رصينا ذا جبة وعمامة .

ثم تبدأ مشكلة مع الجبة والعمامة ، ويبدأ احساسه بانه مع هذه الجبة والعمامة لا يحيا الحياة الطبيعية التي يحياها أبناء جيله ممن اختاروا لانفسهم غير الطريق التي اختار . والشواهد التي ساقها المؤلف على احساسه هذا كثيرة ، فقد جندنا ببراعة لتفرض علينا التعاطف مع موقف سامي حين قرر نبذ الجبة والعمامة .

موقف اخوانه - وهم طلبة دين مثله - حين لبس جبته وعمته فبدأ منظرها على سامي الضئيل الجسم مدعاة للضحك ، احساسه بثقل الجبة على كتفيه والعمامة على رأسه واضطراره الى ان يكون رصينا فلا يمشي على عجل مثلا ، او يحاول القفز الى الترام .

نظام المدرسة الذي يقضي بحلق الرؤوس فلا تكون للمشايخ شعور صقيلة .

انفصاله عن رفاق طفولته بهذا الحاجز الضيق ، واحساسه بالوحدة . معاناة صبية الحي له وهم يلاحقونسه بنذائهم « شيخ صغير ، شيخ صغير » حادث المرأة التي تراه ماشيا بالجبة والعمامة فتستهمله حتى تدعو اختها فتفرج عليه .

لعلنا لا نتجنى على الحقيقة لو نحن قلنا بان الرواية والقصة العربيتين لم تنالا من عناية النقاد ربع ما منحته هؤلاء للشعر وقضاياهم في السنوات العشر الاخيرة ، فقد برزت قضايا الشعر بصورة باتت معها محور هذا الجدل الادبي الذي يدنو من هذه الموضوعية ، في حين ظل الانتاج الروائي والقصصي عموما بعيدا عن هذا المجال ، لاسباب لا يمكن تحليلها بشكل مقتضب باكثر من القول بانه لم يملك ان يطرح قضاياهم ببداءة مثيرة كقضية الشعر الحر ، التي كانت « مفتاحا لكل هذه الدراسات والمحاكمات التي انصبحت على الشعراء وانتاجهم الشعري ، لذا فظهور دراسة رصينة قيمة لعمل روائي ، كدراسة الانسة نازك الملائكة لرواية الدكتور سهيل ادريس « الخندق العميق » ، خليق بان تعقبه دعوات تلح على ضرورة المزيد من الاحتفال بالعمل الروائي ، فالجهل باي عمل ادبي - كما يرى الناقد الاميركي ( راي وست ) - لا يكون نتيجة افتقاره الى خاصية معينة ، اذ انه لا يملك ان يشق طريقه الى العالم من تلقاء نفسه ، بل يتلبث هادئا في انتظار الاعتبار الذي يستحقه ، فاذا ما فشل في الحصول على هذا الاعتبار ، كان مبعث ذلك ظروف عدم الادراك المحيطة به .

وليس من شك في ان دراسة كهذه قد اقتضت جهدا يكاد يبدو من جهد كتابة الرواية نفسها ، ولكن ايفاء 'ي عمل حقه ، والخروج به من جو « عدم الادراك » ، يقتضي بالطبع مثل هذا التوافر الدقيق .

وبعد ، ليست هذه دراسة اخرى للرواية بالمعنى الشامل ، فالتقائي مع نازك في كثير من النقاط في مجال الموقف النقدي للرواية ، يجعلني ابدو بمظهر من يحاول السطو على اجتهاداتها ، ولكنني احب ان اقف وقفة خاصة على احدى المراحل التطورية التي قسمت نازك نمو شخصية « سامي » ، بطل الرواية ، على اساسها

لقد حددت نازك مرحلة تطور سامي من نقطة « الواجب » الى نقطة « الحياة » باربعة مراحل :

أ - مرحلة الانقياد الكامل لاراء ابيه

ب - مرحلة التأمل غير الواعي

ج - مرحلة التمرد غير المدروس

د - مرحلة التمرد الفكري المدروس الذي ينبع عن تصميم وارادة وادراكه وتتمثل في خلع سامي للجبة والعمامة .

والواقع ان هذه المرحلة الرابعة تحتل مزيدا من المناقشة حول اصالة هذا التمرد ، وهل جاء بالفعل نتيجة تمرد فكري مدروس ، وهل كان الحظ الفكري في عملية الصراع الذي ادى الى هذا التمرد مساوقا لردود الفعل الاجتماعية من عتمته وجبته ؟

للإجابة على هذا السؤال يتعين علينا ان نتبع خطين في حياة سامي قبل لبس الجبة وبعدها . خط ردود الفعل

حرماته مما تفرضه الغريزة من التلفت الى الجنس الاخر . هذه العوامل كلها وغير ذلك مما لا يتسع المجال ليراده قد ضغطت روحه بشكل زهده في التصدي لهذه الانظار التي تتجه اليه « مستفهمة او مشفقة او ساخرة » كأنما هو ظاهرة غريبة . ثم تأتي عاطفته لجارته « سميا » فتزيده احساسا بوطاة تلك القيود « ارجوك ، لا تذهب معي فانست شيخ » .

ودفاعه المتفعل بقوله « ان الشكل لا يؤثر على الجوهر » لم يكن يملك الاساس العقلي ، بدليل انه هو نفسه لم يكن مقتنعا بهذا الكلام ، والا فلماذا حرص على ان يخلع الجبة والعمه ، قبل ان اتجه الى منزله في المريجات ، المجاور لمنزل سميا ؟

هذا **المظهر** كان سر عذابه ، وكان الرمز لكل ردود الفعل الاجتماعية المعاكسة التي سحقت انسانيته . . وانتهت به الى التمرد على هذا الرمز .

بتتبعنا لهذا الخط نستطيع ان نلمس ببساطة ان تمرد سامي كان تمردا **انفعاليا** يمتلك من البعد النفسي اكثر بكثير مما يمتلك من البعد الفكري ، ولكننا لانستطيع ان نفرض هذا ببساطة قبل ان نعود فنتتبع المؤثرات التي يمكن ان تنهض كعوامل لتكوين اي موقف فكري له .

لا جدال في ان صغر سن سامي حين دخل المعهد كان كافيا ليؤكد بانه اذا كان ثمة تفاعلات فكرية فانها تكون قد حصلت في الفترة التي تلت دخوله المعهد . . .

فما هو مستوى هذا المعهد العلمي اولا ؟ لقد استطاع المؤلف بفصول شائقة لعلها امتع ما في الرواية ان يكشف عن تفاهة ذلك المستوى . .

« كان يضيق ذرعا بدرس المنطق ولا يكاد يفهم منه شيئا ، وكان المدرس يحفظه فيرده عليهم احكاما وقواعد جافة لا يمثل لها بشيء من حياتهم » .

« اما درس الحديث فقد كان يقذفهم في حيرة وتملل شديد . ذلك ان المدرس كان ياتيهم كثيرا بما يشبه الخرافات على انها من صحيح الحديث » .

واما الادب العربي فقد كان مهزلة تدعو الى الرثاء على يد الشيخ الفرفور الذي لم يكن اكثر من نجار دمشقي . ولما اعفى المعهد فرفورا هذا من مهمته حل محله مدرس سوري كانت دروسه على حد تعبير المؤلف « هي التي كهرت روحه بالموهبة الادبية ورسمت له طريق مستقبله » .

هكذا كانت الدراسة في المعهد ، ولقد ابدى سامي غير مرة انه لم يكن يفعل بها ، وانه كان يتلقاها غير حفي ، وانها لم تكن قط قادرة على ان تروي ظمأ روحه الى المعرفة والحياة . . .

فهل ثمة مؤثرات من نوع اخر ؟

لقد اشار سامي الى ان المعهد كان يدرس الفرنسية بمعدل ساعتين في الاسبوع ، فصمم على ان ينصرف الى المطالعة في الكتب الفرنسية ، ولكنه لم يكشف لنا عن حوافز الاستزادة او عن طبيعة تلك القراءات .

وكانت هناك مكتبة المعهد التي كانت ترددها عشرات الكتب عربية واجنبية . . وكان هناك عزيز .

الواقع ان عزيزا في الرواية يمثل الكوة التي كشفت امام عيني هذا الفتى عالما اكثر تحررا وانطلاقا من عالمه المترمت الضيق . ولعله بوحى من موهبته وذكاائه الفطريين كان ينساق وراء مقارنات لا نهاية لها . ولعل تجربته المتمثلة في قطعة الرثاء التي كتبها اثر وفاة صديقه عزيز ، والتي بعث بها الى المجلة التي كان عزيز ينشر فيها قصصا مترجمة ، كانت اللمسة الروحية التي اكدت في نفسه الشعور بانه اكبر من هذا المعهد ، وان دنياه غير هذه الدنيا فبات يشعر بان الدروس تثقل عليه ، وانه لا يجد لها مذاقا ولا لذة . وان المدرسين لم يفقهوا من الدين الا قشوره ، وانهم جلهم لا يملكون اية ثقافة تمكنهم من القاء دروس مفيدة فاحس بانه ينفصل رويدا رويدا عن جو الدروس ليخلق لنفسه جوا خاصا يعيش فيه الادب والمطالعة .

هنا يحق للقارئ ان يناقش الاحداث وهو مقتنع ضمنا بان الفتى سامي قد تأثر بما يقرأ ، وان هذه القراءة قد قلبت مفاهيم كثيرة في ذهنه فيسأل . . . ترى ما هو الموقف الفكري الذي اخذه سامي من « الله » حين قرر ان يخلع الجبة والعمه ، وان ينصرف بالتالي عن التعليم ؟ هل كونت له قراءاته ودراساته وتأثره بعزيز بعدا فكريا ساعده على ان يناقش « الدين » على صعيد فكري او هل هي قد خلقت فيه لونا من التشكك - الذي يداخل الشباب حين يؤخذون بكثير من الافكار التي تتناول الغيبيات - ساعد فيما بعد على اتخاذ تلك الخطوة ؟

اننا نجده يدخل المعهد ويتركه دون ان يحدد علاقته بالله باكثر من هذه العاطفة الانفعالية التي دفعته منذ البدء الى دخول المعهد ، وقد لا يكون من حقنا ان نطالبه بهذا الموقف لو انه لم يتمرد على موقفه الخاص ، فمقومات الايمان لدى الاكثرية لا تقوم على اكثر من العاطفة الجارفة التي تأخذ الاشياء كمسلمات ، والتي لاتعني بان تفلسف اي شيء . ان نزع الجبة له اكثر من دلالة تغيير الزى ، واذا كانت نازك قد علته بانه لون من الردة على الاخلاص للآخرين ، رغبة من البطل في ان يخلص لنفسه اولا ، فاننا لا نستطيع ان ننسى ان هذا الاخلاص للآخرين كان متاخلا تماما مع اخلاصه للمثل الروحية ، فاقدامه على هذه الخطوة كان جديرا ان يثير مناقشات طويلة فيما بينه وبين نفسه ، حول هذه المثل الروحية ، وموقفه منها بعد ان قرر نبذ المشيخة .

ناحية علاقة الفتى بالله ، لا بالمعهد ، - التي اغفلتها الرواية - هي حلقة اساسية من حلقات الصراع التي تتعلق بانسان كان يعد نفسه ليكون رجل دين . اما لماذا لم تبرز بالشكل المفروض في خط الصراع ، فسؤال كان يجب ان يجد جوابه في دراسة نازك التي مالت الى اعتبار « المرحلة الرابعة » مرحلة **تمرد فكري مدروس** ، ولا شك ان الشمول الذي توحى به تسمية المرحلة كان يقتضي عدم التغاضي عن هذه الثغرة .

وبعد ، ان اقتصاري على التعقيب يجعل نفاذي الى الجوانب الاخرى المبدعة في الرواية امرا غير ذي مناسبة الان ، فلعلي اعود الى ذلك يوما ما ، ولعل غيرنا يفعل ذلك .

**سميرة عزام**





## وَأَبْحَثْ عَنْ السَّعَادَةِ

بقلم هرون كروكسانك ترجمة محمد الدين اسماعيل

# كامو

من البداية لنفسه فكرا ودينا وقوانين وأخلاقيات خاصة .

كتب هذه الكلمات البروفسور بيسون وهو بصدد تعليقه على الوثنية الحماسية المستحدثة والمصطنعة ، نوعا ما ، التي نادى بها أندريه جيد . ولمل هذه الكلمات أيضا ، تلقي بعض الضوء على الوثنية المستحدثة التي نادى بها كامو والتي هي أكثر عفوية من غيرها ، ولو أنها مصطنعة أيضا الى حد طفيف .

وبعد الشمال الأفريقي ، يحس كامو بشعور غنيف تجاه اليونان مواطن القيم المتوسطة التي يعجب بها كامو ايما اعجاب ، والتي وجدت تلك القيم اكمل تعبير عنها في هذه البلاد ، ولعلها ما تزال كذلك . ففي مقال موسوم بعنوان « منفى هيلانة » كتب كامو عام ١٩٤٨ ، ضم بعد ذلك الى مجموعة « الصيف » ، يقارن فيه كامو بين الحضارة الرعوية ( الباستورالية ) لليونان القديمة وحضارة اوربا المتمدينة القلقة الحديثة . فهو يمدح ذلك الاعتدال المتشكك في الفكر اليوناني القديم ، اذ يفسره على حساب ما يسميه بالظلمية الفكرية الحديثة . وهذا الشكل الخاص من اشكال الحزن التاريخي ، لم يكن في حد ذاته ، من الامور الجديدة ، اذ طالما اعرب عنه بعامير متشابهة تشابها كبيرا . وحالة كامو هذه ليست حالة شائمه مألوفة ، اذ هو يعرض هذه النقاط من زاوية تنتسب الى الفصلية المتوسطة ، بيد انها تكاد تكون غير مطروقة من قبل ، وهو يتحدث عنها حديث العارف بالاسباب ، كما يلح ، اكثر من ذلك ، على ان اهم ملامح برانه المتوسطي قد تكون ذات قيمة واثر في العالم الحديث . وهي تلك الملامح التي تتصل اول ما تتصل بطرائق التفكير ، وبالساليب التنظيم الاجتماعي على نحو غير مباشر . ويقترح اخيرا ، الاخذ بما ندعوه نحن ، بحق ، بالطريقة الافريقية في الحياة ، التي يفضلها على التراث المسيحي الاخير ، باعتبار ان تلك الطريقة الاولى هي افضل اصل لاوروبا اليوم . وهذا موضوع يثير الاهتمام والدرس ، سنناقشه فيما يلي ، بيد اننا سنحصر ههنا ، بالتعبير الاول عن هذه الافكار في آثار كامو الاولى .

تكشف لنا مقالات كامو الاولى عن صفحتين رئيسيتين هما : الحادية غريزية ، وتأكيد مستمر على التجربة المادية للفرد في بيئته . وفي هذه

ان (١) كثيرا من افكار كامو السائدة تحمل السمة الواضحة لاصوله المتوسطة (٢) . فمثلته في ذلك مثل غرينيه ومونترلان الكاتبين اللذين اثرا تأثيرا واضحا في اوجه معينة من تفكيره - ، اذ هو يفصح في كثير من اعماله عن موقف معين حيال الحياة ، يرتبط باقطار مثل الشمال الافريقي واليونان وايطاليا التي تتمتع جميعها بمدنيات متطورة قبل عصر المسيح . فالشمال الافريقي ، بصفة خاصة ، لم يتعرض تعرضا ذا اهمية لتشنجات اللذة المادية ، او النزعة الحسية عموما ، خلال العصور الوسطى . ويؤكد كامو ، بوجه خاص ، على الحسية العفوية ، في اثاره الاولى . ففي احدى المقالات التي اجراها منذ بضعة اعوام ، وصف نفسه - ومازال - (٣) بانه انسان يعي مسؤوليته الخاصة التي يتحملها لانه قد ولد في عصر مسيحي ، وفي ارض تحتفظ بقوة وعنف بالتقاليد الوثنية . فقد قال بان ظروف ولادته قد جعلته مشدودا الى قيم العالم القديم بوشائج هي امتن من الوشائج التي نشده الى القيم المسيحية . وقد بقي هذا الوجه من اوجه كونه الاول ذا اهمية دائما . فسفره في الخارج واقامته المستمرة في فرنسا منذ عام ١٩٤٢ قد زادنا من ادراكه لانشطاره الوثني - المسيحي والجنوبي - الشمالي ، ومن الطريف ان نرى ان اوربيا يضع هذا التمييز ، فيتناوله من وجهته المعاكسة اذ يقول :

« ... في الجزائر نفسها ، وبعد الامعان في العبور الى ما وراء اطلس الى الصحراء ، يدرك المسافر بانه قد خلف اوربا وراءه بعيدا ، وهو لم يخلف وراءه الوحدة الجغرافية وحسب ، ولكنه خلف وراءه الصرح المسيحي الاجتماعي ، الاخلاقي ، الثقافي المعقد بأسره ، والتنظيم والاعراف المشروعة وجميع حضارات القرون . واذا يدخل المرء عالما مختلفا بعيدا على هذا النحو ، ليست له به سوى افعال الصلات ، وليست لشخصيته الاعتيادية سوى افعال المعاني والمواضيع ، فانه عندئذ سيحس بالفراغ يمتلكه ، وسيستشعر بانه حر - ان صح هذا التعبير ، في ان يخلق

(١) من كتاب « البير كامو وادب التمرد » .

(٢) نسبة للبحر المتوسط .

(٣) اصدر هذا الكتاب قبيل مصرع كامو .

المرحلة ، يناقش كامو أقصى الطرفين للخيبة الفكرية والاستمتاع الحسي. فهو دائم الإشارة لعلاقة التناقض القائم بين « فرع الموت » و « متعة الحياة » . وهو يبحث في ذلك عن وسيلة لمصالحة والتوفيق بين هاتين التجربتين ، وذلك عن طريق وسط بين هذين الموقفين المغربيين المسرفين فكرا وفعلًا . ولقد أحس الأغريق أحاسيسا غنيًا بهذه الثنائية الحادة في الحياة ، فيما وضعوا أيضًا من طرائق للفكر تخفف من حدة الصراع الفاجع بين قوى العقل . فكامو هنا يلجأ إلى الأغريق بغية تأكيد واقعية معضلته ، ولكي يجد عندهم التوجيه الممكن لوضع حل لهذه المعضلة . ففي تلك المقابلة والتي سبقت الإشارة إليها يقول : « اليونان ظل ونور ، واننا نحن أبناء الجنوب نعلم حق العلم ان للشمس جانبها المظلم . » ويضيف أيضًا ان الفكر الأغريقي يحدد نفسه دائمًا عن طريق الرجوع إلى الحدود المتعارضة ، ومن ثم تهيئة ادراك واضح للحدود المتناظرة ، مع مثال من امثلة الاعتدال التي يمكن ان تضم الطرفين ، وتقلل حدة الصراع بينهما ان لم تقض عليه . هذا هو الموقف الأغريقي ، الذي انسحب على تجارب كامو الشمالغريقية التي ادخلت على مقالاته الاولى تناوبًا مستمرًا بين الرغبة في الحياة ، والفرع من الموت ، بين التمجيد الحسي وصرامة الفكر ، بين الغنائية « الليريكية » والنسك . فهذا الدمج الذي انتهى إليه كامو بين الجذل واليأس قد امدّه ، في النهاية ، بأسس التمرد . بيد انه قد انتهى به ، اول الامر ، إلى موقف يترنح بين الرضوخ والانزعاج الرواقي . اما الحكمة التي نجمت عن هذه المقالة الاولى ، فقد كانت عقيدة من عقائد العزلة والاستقلال المتشامخين المربين . وهكذا فان تلك الكبرياء المبررة هي ، في جوهرها ، نتاج البحث الفاشل عن السعادة ، اذ هي تمثل الاكتشاف الاول عن ان السعادة لا يمكن تحقيقها بسهولة ويسر عن طريق الأخذ بخط معين من انماط التفكير الشفيف . ومن المهم ان نلاحظ هنا ان المرء لا يمكنه بسهولة ان يقلع عن البحث عن السعادة ، كما لا يمكنه ان يستبعد استبعادًا كاملاً الايمان بإمكانية تحقيق هذه السعادة في نهاية المطاف . ولقد ألح الكثيرون من قراء كامو الحاحًا شديدًا على القساوة التي ينطوي عليها تشاؤمه . ومن بين هاتيك الخصائص المميزة لتشاؤمه هي تلك الحقيقة القائلة ان هذا التشاؤم دائم التكون ، لكي يفق حيال بيئة متوسطة مشرقة الشمس . وهو في الوقت ذاته ، يختلف بهذه الخصائص عن تشاؤم سارتر الاناني من حيث وحيه واستلهامه ، واظن ان كامو قد اصاب في الحاحه على ان الاستجابة الشخصية هي الموضوع الرئيسي لكافة اعماله . فقد قال في تلك المقابلة التي اجراها عام ١٩٥١ : « وعندما ابحت لاستكشاف ما هو جوهر في نفسي ، اجد انه هو نذوق السعادة ... فهناك اشراقه شمس لا تقهر في قلب اعماله .. »

ان التذنية المتوسطة في اسس الفكر عند كامو ، لبده المرء منذ اول اثر نشره ، ونعني به كتاب « الوجهة والموضع » . فعنوان الكتاب نفسه يوحي بالثنائية ، بالإضافة إلى ان فيه إشارة إلى الجوانب الصحيحة والمفلوطة في قطعة من المادة . وتؤكد هذه الصورة الصلة الوثيقة بين حدي تجربته الشخصية . يعرض كامو في كتابه هذا ثنائية تذهب إلى ثروات الشمس والبحر تؤكد الفقر الانساني ، وان لذائد الحس تجعل الموت اشد فيجعة واعظم هولًا ، وان المتعة الممعة فيما هو مباشر وحسي ، تناظر مشهدة من ملاحظات غير مناسبة دينية لأعزاء فيها . وفي كل مثال من الامثلة تزيد « السعادة » و « المعاناة » من حدة بعضهما البعض . وان حدة الاستجابة ، عند كامو ، لكل من « السعادة » و « المعاناة »

انما تنجم من حقيقة كونهما يتعايشان في حالة التناظر . وان كامو مدرك تمام الادراك للنقائص الفنية في قصة هذه التجارب . بيد انه لا يزال متمسكًا في انها تحتوي ، في رحمها ، على جوهر استنتاجاته عن التجربة الانسانية . فهناك الشيء الكثير في هذه النظرة . ومع ذلك فان قراءة كتاب « الوجهة والموضع » مرة أخرى ، وفي ضوء كتابات كامو الاخيرة لجديرة بان تعرفنا عما في مضمون هذا الكتاب من القموض وانعدام الشكل . على ان هناك برهانا سطاحًا على الذاتية القوية الأسرة التي تكمن وراء هذا الكتاب . غير ان هذا الكتاب ذاته ، يظل سردًا غير ناضج لأفكار كامو ، من الناحية الجوهرية . ويصف لنا هذا التشاؤم وصفًا اصيلاً الرغبة الفريزية لأحد الشباب في المتعة دون ان يقدم لنا اي مضمون واضح لهذه الرغبة ذاتها . اما التأكيد على الفقر والوحدة والموت ، فلم يكن سوى نتاج عرضي تقريبا ، لبحث مهدد بالفشل ، او هو فاشل فعلاً ، بحسبما يظهر . فالتأكيدان المتناظران لا تربط بينهما تلك الكبرياء التي تستطيع ان تميز ، حقيقة ، هذه الثنائية دون ان تتمثل ايا من مصطلحاتها .

يتألف كتاب « الوجهة والموضع » من ستين صفحة من النثر ويتكون من خمسة اقسام، هي مزيج من السيرة الذاتية والتأمل المعجم، وكل قسم من هذه الاقسام يترنح دون ان يستقر ، بين المقالة والقصة القصيرة . فالقسم الاول الموسوم بعنوان « السخرية » هو دراسة للمناظرة بين الشباب والشيخوخة تنتظمه سلسلة من الملاحظات عن الدين والوحدة الانسانية وحقيقة الموت . فالجو والشخص الموصوفون هناك ، يظهرون كما لو كانوا من منزل كامو واسرته ، بالرغم من انه ليس هناك اي تصريح بذلك . فهناك امرأة عجوز - لعلها صيغت من نموذج جدته - تخشى اقتراب الموت . وهناك رجل عجوز - يشبه عمه - يدهشه بل يصيبه باليأس ، هذا الشباب الحديث . وهناك ايضا شاب يفضل هو واصحابه ان يقضوا الامية في دار السينما على ان يقضوها مع الرجال الطاعنين في السن . فالمرأة العجوز متدبنة ولكن بسبب الخوف لا الحب . وهناك تعبير لبأسكال يعيد تركيب كامو ، فيصف هذه المرأة بانها كائن اخذته « تعاسة الانسان في الله . » فديانة هذه المرأة هي اخر ملاذ لها . هي نوع من اليأس، او هي محاولة اخيرة لتخفيف المرارة من حقيقة الموت . ويمكن قياس قيمة هذه الديانة بالحقيقة القائلة بان هذه المرأة لو استطاعت ان تبذل من مرضها الراهن ، اذن لكانت على اهبة الاستعداد لان تزور عن نمثال العذراء المصنوع من الجبس لتلقي بنفسها في العلاقات الانسانية وفعاليتها . وعندما ينهب الشباب إلى دار السينما ، وتتخلف ابنتها الوحيدة ، فانها عندئذ تستشعر الوحشة بعدة وعنف . انها خائفة ، وان حديثها السري مع الله ، لم يقدم لها اي عزاء ، فهي تثبت يائسة بيد ابنتها . وهنا يعلق كامو فيقول : « ان الله لم يفعل لها شيئًا سوى انه حرماها من الصداقات الانسانية ، فتركها وحيدة . انها لم ترد ترك عالم الناس . »

اما الرجل العجوز فيتحدث دونما انقطاع ، عن شبابه وعن اخفاق الجيل الجديد في استمتاعهم على الشكل الصحيح . انه يحاول جاهدا ان يثير اهتمام الشباب ، فهو يزركش افاصيصة لجعلها اكثر اشارة وتأثيرًا . ومع ذلك ، فهو يعلم طوال الوقت ، وهم يعلمون ايضا بانسه رجل طاعن في السن ، لانفع فيه ، وسرعان ما يقلع الشباب عن الاستماع إليه ! انهم يستهبدون الراحة في تخلصهم من الروتين القاتل عن طريق لعب البليارد ولعب الورق والسينما ، لا في الاستماع إلى حكايات رجل

عجوز . ثم تموت المرأة المعجوز بعد ذلك ، فنحصل على وصف لعجز الشاب عن الاحساس بالحزن والفقد الاصيلين ، على نحو يذكرنا بموقف « ميرسول » حيال امه ، بعد عدة سنوات ، في قصة « الغريب » . فالتناظر بين الشاب والشيخوخة ، والحياة والموت ، والمتعة والخوف ، كل ذلك موجود خلال فصل « السخرية » . وهذا التناظر القائم بين الزمر المختلفة الاعمار ، هو ايضا سخرية تسم حياة كل فرد بميسمها . ويضع كامو تعليقاً يعترف فيه بذلك ، ثم يعود فيعرض عنه اذ يقول :

« .. امرأة يدعها المرء وحدها تذهب الى دار السينما . ورجل عجوز لم يعد احد يصغي اليه . وموت لا يحرر احدا . هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى كل اشراق الحياة . فما الذي يهم لو ان المرء تقبل جميع هذه الاشياء ؟ فهناك ثلاثة مصائر متشابهة واضحة قد تشابكت : الموت يأتي لكل انسان . ولكن لكل انسان موته الخاص به . وبعد ذلك ، وبالرغم من كل شيء ، فان الشمس تظل تدفئ عظامنا . »

تفصح هذه السطور عن التقليل المبرر لهذه الثنائية الفاجعة التي تبناها كامو في هذا الوقت . انه تقبل تخف فيه غلظة الشباب لنجدة الطراوة اليافعة . فالوحدة والشيخوخة والموت ، من حيث هي تجربة في واقعها الانساني المباشر ، جميعها تبثت الشباب لواصله استمتاعه ، انها جميعا تؤكد ضرورة البحث عن السعادة ، ولكنها تؤكد ايضا ضعفها وقصر أمدتها نسبيا .

وفي القسم التالي الموسوم بعنوان « بين نعم ولا » ، يشير العنوان ايضا الى صراع الحياة الانسانية . فيكتب كامو عن « موطنه » في الجزائر ، ويصف بشيء من الاسهاب فقر ذلك المواطن وعمته ، ويقارن مقارنة حادة بين الصمت المزعج من امه الصماء والصرخات الفاضبة من

## شعر

### من منشورات دار الاداب

الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
قصائد عربية	سليمان العيسى
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي
عائدون	يوسف الخطيب

### دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

جذته التجربة الطاغية . فموقف الولد حيال امه التي يعيد صحتها للذاكرة صمت ام « ريو » في قصة « الطاعون » ، هو مزيج غير مريح من الحب والخوف ، والشفقة ، والواجب والاحساس بالفجوة بينهما . وان طبيعة العلاقة القائمة بينهما ، تجعلها واعيا لنفسه ، مدركا لذاتيته المنفصلة ، على نحو لم يكن قد جربه من قبل . ومرة اخرى ينتهي كامو، الى ملاحظة « التقبل » غير ان تقبله في هذه المرة الثانية هو تقبل انعكاسي اكثر مما كنا وجدناه في فصل « السخرية » ، ولكنه غريزي واناني اقل من ذلك . انه موقف موقت يؤخذ به عندما تكون الحياة قد جريت اكثر من ذي قبل ، وفكر فيها على نحو اوسع . « وبما ان هذه اللحظة تكون بمثابة فترة وجيزة تقع بين النقص والاثبات ، فاني ساترك للحظات الاخريات ، الامل في الحياة او الياس منها . »

والقطوعتان الثالثة والرابعة « الموت خلال الروح » و « حب الحياة » تحتويان على ذكريات كامو عن تجواله في تشكوسلوفاكيا واطاليا وجزر الباليري . ويجد كامو ان اروع ما في السفر قوته الى تحمل المرء على ان يسأل نفسه باستمرار ويسأل العالم الخارجي . وهنا يناقش وعي ذاتيته المنفصلة نقاشا فيه تأكيد اكثر مما كان في مقطوعة « بين نعم ولا » فهو يقول ، ان قيمة السفر هي في قدرته على ازعاج الفرد عن طريق الابتعاد به عن ملاذ الروتين المريح المألوف . ويلقي السفر عن انفسنا ، ولو مؤقتا ، هانيك الاقنعة التي نخفيها عادة وراءها . فيوسع السفر ان يجهزنا برؤيا جديدة مثيرة تكشف لنا عن وحدتنا الجوهرية وعن عدم الفتنا مع انفسنا ، او على الاقل يجهزنا ببعض الظروف التي تهيب تلك الرؤيا . انه يهتك ستار العادات ليكشف لنا عن خصائص الجزع الشاحبة . فالانسان يقابل نفسا غير مألوفة لديه ، وذلك خلال صلته بعالم خارجي لا لغة فيه . ففي براغ وبالم ، لم يكن يعرف طريقة الانتقال من مكان لآخر ، لجهله بنظام المواصلات في المدينة ، كما كان كل شيء يفلته الفموض هناك بسبب عجزه عن التحدث بلغة تلك البلاد . ومن الحق ان يقال ، ان مثل هذه العضلات سرعان ما يمكن التغلب عليها ، ان لم نقل سرعان ما توضع الحلول الناجمة لها ، وذلك عن طريق البديهة المشتركة وشيء من الاصاله الابداعية . غير ان هناك فترة اولية من الاغتراب Alienation . فنفس مفترية مهجورة في وسط مقرب ستعاني ، ولا مراء ، ضربا من تجربة تشابه قلق الانسان الميتافيزيقي الغريب - الانسان المقرب . (X) فان احساسا قد لا يختلف عن احساس « روكنتان » في قصة « الفتيان » لسارتر ، انما ينبج من احساس المسافر « بالتباين القائم بينه وبين القضية » . ويجد كامو في تجربه السفر ، احدى الاشارات للعبث ، وهي تلك الاشارات التي يمحصها في اسطورة « سيزيف » .

وعندما ينتقل كامو من تشكوسلوفاكيا الى ايطاليا ، يحس هذا « الرجل القادم من الجنوب » بانه في دعة موطنه . فهو يستجيب بتهيؤ وبصورة طبيعية اكثر الى شمس ايطاليا ومشاهدها . ومع ذلك ، فانه حتى في ايطاليا ، يرافقه شعور بالقلق ، بالرغم من الدفء والجمال اللذين يحيطان به فالمشاهد جميلة ، غير ان الجمال يتضمن صفة لاشخصية

#### Outsider

(X) آتينا هنا استخدام لفظة « الغريب » مقابل

الانكليزية ، على اللفظة التي شاعت اخيرا وهي « اللانتمني » ، لان لفظة « المرء » قد تدل - بحسب ظننا - على الموقف الجزري الذي قصد اليه ، وهي الاغتراب والانفصام ، وان « اللانتماء » ما هو الا نتاج التسعور بالوحدة والعزلة والوحشة ، اي بالاغتراب .

مزعجة . وحتى القى السماء الرائق ينطوي على لون من اللامبالاة . فيما يحرق هو في المنظر المستعلن امامه ، يجد ان بوسعه ان يفقد في هاتيك المشاهد الوعد القاطع بخلوده . بل على العكس من ذلك ، فسان الخصائص الباقية من ذلك المنظر الطبيعي ، ستظل تذكره بوجوده القهري الامد . ولكنه بالرغم من ذلك كله ، هو مستعد لتقبل تلك الثنائية الدائم الاحساس بها . فالجمال الحاد في الريف الايطالي ، يثر فيه الارتباط الوجداني بحياة الحس ، بحيث ينكمش من صور الوجود الالاجسماني الذي يتضمنه خلود الروح :

« اي نفع لي من حياة تعاش مرة اخرى في الروح ، اذا لم تعد بالنسبة لي عينين ارى فيهما شيئا ، ولا يدين المس بهما كروم فسزنا ، ولا جلدا احس به مداعبة الليل على الشوارع من مونت بريكو الى مفنى فلمرانا » .

فلا احساس بالفناء الجسدي الذي لا تكاد تخفيه هذه الكلمات هو الذي يشرح لنا ذلك « الحديد في الروح » (١) الذي تشير اليه القطعة الاولى « الموت في الروح » من المقطوعتين اللتين كتبهما كامو عن السفر . ومع ذلك فان سخاء ايطاليا من حيث هو سخاء ، ليجلب في النهاية العزاء ، كما يجلب نذيرا لا يخطيء . فالسافر يمتلك قدرة يستطيع بها ان يستقبل الروعة الباقية في العالم الطبيعي ، كما يستقبل اجتيازه العابر الخاص به من مشاهد جميلة « لاشخصية » ومن سماء غير مبالية ولا مكرثة ، ولكنها هي الاخرى متألقة ناصعة . على ان هذه القدرة على تمييز الاشياء المعروضة تميزا هادئا ، يظل امرا مستعصيا على البلوغ دوما . فمرور الزمن ليس بمقبوره ان يجعل قوة الزمن المدمرة للفرد اهون وقعا على الانسان . فالنضال المشتبك فيه ، هو صراع قاس ، والضرورة الملحة اليه هي مريرة ايضا ، ومع هذا ، فان رؤيا ايطاليا امر هام بالنسبة لكamu ، لانها تؤكد الحاجة للربط ما بين الشجاعة والصفاء . وهذا الضرب من الشجاعة ، سيثبت ، مستقبلا ، انه صفة جوهرية من صفات ذلك التمرد الذي يمارسه كامو ، ويوصي الاخرين بممارسته .

والقطعة الثانية عن السفر الموسومة بعنوان « حب الحياة » تتضمن تذكارات عن زيارة قام بها لجزر البالييري فهنا مرة اخرى ، يتأكد لدينا الصراع الفاجع المؤلف من الحدة المرغوب فيها ومن قصر الحياة الذي لامناص منه . فالاستمتاع العفوي بالحياة في بالما والجمال الطبيعي في ابيزا وسان فرانسيسكو يؤكد وضع الفرد من حيث ارتباطه باللحظة الخاطفة في لا زمية العالم . ففي هذا القسم ندفع بكamu ، تجربة الفجوة القائمة بين الفرد والعالم الطبيعي ، الى ان يسرد حدي الثانية مرة اخرى في تلازم فاجع اذ يقول :

« ليس هناك من حب للحياة دون ياس منها . » ويتبني ان يؤخذ هذا القول من كامو ، على اساس انه تفسير من جانبه لحقيقة ان التشاؤم والاحساس الفاجع يراودان دوما بحثه عن السعادة .

وعنوان القسم الخامس والاخير ، هو نفس العنوان العام لهذا الكتاب « الوجهة والموضع » . فمن الناحية الاولى شمس وسماء ونجوم ومشاهد طبيعية ، ومن الناحية الاخرى كائنات بشرية وجميعها تترجم الى لفظتي « وجهة » و « موضع » ، على التناظر « او الطباق » بين ماهو ابدى ظاهر وما هو فان يحكم البرهان الدامغ ، فان ما يبدو رباطا وثيقا لا ينفصم ، انما هو رباط يوثق اللازمي بالوقت ، والحبور بالموت

(١) في الاصل تلاعب بلفظتي « حديد » و « سخرية » .

« المترجم »

اي « الناس بعيشهم » ، ولا يستنكر كامو في هذه الصفحات الاخيرة مبدأ « التقبل » ، غير انه يلجأ مرة اخرى للالاحاح على اهمية الاستمتاع بتمجيد الحواس الوجيز العمر ، ذلك التمجيد الذي يجعل من الحياة امرا ممكنا . فهو يقول بان الحياة قصيرة ، وان الانسان يرتكب انما ، اي انه يصنع على نفسه فرص المتعة . ويضيف كامو ايضا اعتراضا واعيا على الاخلاقية المسيحية اذ ينادي بان مملكته هي من هذا العالم .

ويختتم كامو هذه المقالة بما هو ، في النهاية ، قوله مأثورة في الياس : « لو انني اصفيت الى السخرية الكامنة في قلب الاشياء ، اذن لكشفت لي عن نفسها . وتتفاخر السخرية بعينها الصغيرتين البراقيتين وتقول : « عش كما لو ان .. » ، وبالرغم من البحث الطويل ، فهذه هي خلاصة حكمتي » .

وينبغي علي ان اوضح هنا ، من هذا التلخيص لكتاب « الوجهة والموضع » بان هذا الكتاب في حقيقته لا يحتوي على حجج موحدة ، اذ ان كل مقالة من مقالاته الخمس تتبدي مواقف عاطفية مشرقة في ضوء تفكير اخر . وهناك ايضا غموض شديد في الطريقة التي يتوصل بها كامو الى استنتاجاته . فهذه الاستنتاجات لا تؤلف في نفسها كلا متراعا ، ولكنها تترنج دونما تثبت بين قطبي السلب والايجاب . فخصائص هذا الكتاب تجعل من السهل علينا ان نتصور لماذا اعتبر كامو كتابه الاول هذا غير مرض من الناحية الشكلية ، فالحقيقة ان كتاب « الوجهة والموضع » يحتوي الموضوعات الاساسية لاثار كامو ، مستقبلا غير ان عرض هذه الموضوعات ، في هذه المرحلة ، لم يكن ملائما ولا متماسكا . على انه في الوقت نفسه ، لا يستطيع احد ان يقرأ هذه المقالات الاولى دون ان

## دواوين نزار قباني

من منشورات دار الاداب

### التمن

قالت لي السمراء	٥٠٠ ق.ل
طفولة نهد	٣٠٠ ق.ل
انت لي	٢٥٠ ق.ل
سامبا	١٠٠ ق.ل
قصائد نزار قباني	٣٠٠ ق.ل

زينة لكل مكتبة

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٣



يتأثر بهذا الشعر الكالج الذي بقي الصفة الذاتية الرائعة الرفيعة  
لكثير من آثار كامو النثرية .

اما كتاب كامو الثاني ، فهو اربع مقالات ، بعنوان « الاعراس » . نشر  
في عام ١٩٣٩ بعد ان باشر الكتابة الفعلية في العام الذي سبق ذلك  
العام . وبالطبع فان كتاب « الاعراس » قريب زمنيا من كتاب « الوجهة  
والموضع » . والكتابان متشابهان في كثير من النقاط ، من حيث  
مادة الموضوع . ففي كتاب « الاعراس » يبحث كامو مرة اخرى تلك  
المعضلات القديمة المزمعة ذاتها : معضلات الوجود الانساني والزوال  
الفردى ، ولكننا نجد هذه المعضلات متطورة اكثر مما نجدها في الكتاب  
السابق . انها معروضة في حدود فكرية اشد صرامة ، بيد انها تتمتع  
مع ذلك ، بحدة شعرية رائعة . فالتمجيد الفئاني « الليريكي » يشترك  
مع اشارات اكثر دقة وضبطا ، ومع وصف تفصيلي لمناظر الشمال  
الافريقي . واذا ماتوغلنا خلال المقالات الاربعة ، وجدنا هناك دليلا  
يشير الى رمزية واعية للشمس والبحر والصحراء . فموضوعات الحبور  
والياس التي اعلن عنها في كتاب « الوجهة والموضع » سابقا ، تخضع الان  
في هذا الكتاب ، الى تأمل اكثر عناية وشمولا . وبالرغم من ان كسلا  
الموضوعين ما يزالان قائمين في كتاب « الاعراس » الا ان التأكيد ، هنا ،  
ينصب على مرح الوجود المادي . فالحد الايجابي من تلك الثنائية التي  
نلقاها في كتاب « الوجهة والموضع » يفرد هنا جانبا ، لتجري عليه  
عملية تأمل خاصة . وبعد ثلاث سنوات من ذلك ، سنجد ان التأكيد في  
« اسطورة سيزيف » ينقلب الى تأكيد على عبث الوجود الانساني . ففي  
هذا المقال المتأخر الطويل يحظى الحد السلبي الموجود في ثنائية « الوجهة  
والموضع » باهتمام خاص .

« فالاعراس » هو ايضا عمل قصير نسبيا ، اذ هو يحتوي على نحو  
ثمانين صفحة . ويبدأ كامو باقتباس استهلالي من ستندال يوحى اليها  
بان كامو سيركز همه هنا على الجانب السلبي التشاؤمي من كتاب  
« الوجهة والموضع » ، بخلاف ما قيل توا . وقد اقتبس كامو هذا القول  
من « دوقه بليانو » في كتاب ستندال الموسوم بعنوان « سجلات ايطالية »  
يقول هذا المقتبس « لقد خنق الجلاد الكاردينال كارافا بحبل من حرير  
ثم انقطع الحبل . ومرة اخرى حاول الجلاد . اما الكاردينال فكان يراقب  
دون ان يتنازل فينطق بحرف . » ومن الحق ان يقال ان كامو يستخدم  
هذا المقتبس كرمز عنيف لحالة انسان فان في كون خبيث . ومن الحق  
ايضا ان يقال ان هذا المقتبس يحمل في اطوائه ، منذ بداية كتابه  
« الاعراس » ايعاء باننا سنجد في هذا الكتاب احساس كامو بالانسانية  
الانسانية ، بعد ان تدرع بتعبير حاد . وعلى اية حال ، فينبغي ان ننسى  
قولة كامو السابقة بان اليأس الرفيع من الحياة ، انما هو وثيق الصلة  
بالعاطفة الرفيعة نحو الحياة . وتبعاً لذلك ، بالرغم من ان كتاب  
« الاعراس » يستهل بمقتبس يوحى بتفسير تشاؤمي رمزي ، وبالرغم  
من ان التشاؤم يظل دائما وراء كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ، الا  
انه ليس هناك اي تناقض عند كامو في سياق العالم الوجداني والفكري .  
فالحقيقة هي ان هذه المقالات تمضي لتؤكد لنا حبور الحياة في الجسد .  
وقد وضعت هناك ، بالطبع ، بعض التحولات ، اذ ان كامو يدرك ، مثلا ،  
ان مثل هذا الحبور يمكن ان يجرب لفترة وجيزة من الزمن خلال امتداد  
حياة كل فرد من الافراد . فاذا ما وضعت هذه الصفات في موضعها ،  
فان كتاب « الاعراس » سيظل عندئذ ، نشيدا من اناشيد المجد والهدى  
لمباشرة الوجود المادي . فهو يؤكد تأكيدا وفيما ما ذهب اليه المؤلف

من ان السعادة هي موضع الاهتمام الرئيسي في جميع آثاره ، وذلك  
عن طريق جواب المؤلف نفسه ما يدعوه « بالتدخل العظيم في الطبيعة » .  
يبدأ التمجيد المادي في « الاعراس » بدعوة حادة ذات اللون شتى  
لهجوم يقوم به الريف الجزائري على الحواس . فالمشهد يقتسل في  
الشمس ليكون بحرانا من اللون والضياء . والهواء مثقل بمطر الازهار  
الساطع - ازهار البوغاني فيلاس (١) الارجوانية والوردية وازهار  
الخطمية الحمراء والسوسن الازرق وازهار الشاي الكثيفة كثافة  
القشقة . والبحر يزرشه اللون الفضي واللون الابيض ، والسماء  
بلون ازرق فاتح . والريف تعبته الحافلات المظلمة بدهان اصفر كلون  
الشقائق الصفراء . وبين آونة واخرى ، يرى المرء في ذلك المشهد  
عربة لاحد القصابين وهو يدرج الى طيته . ذلك هو الفيض الفامر من  
الانطباعات الحسية المنطلقة في هذا الجو الشفيف . خمرة كريمة تترنح  
منها السماء . وذلك هو المكان المثالي للاستحمام الشمسي والاستحمام  
في البحر . ويقول كامو ان الشواطئ الجزائرية تتجاوب بضحكات  
الشباب الذين تعيد للذاكرة اجسادهم اولئك الرياضيين في ديلوس (٢)  
وفي البحر نفسه ، هاتيك الزوارق الموسقة باحمالها من الجوز لاولئك  
الالهة والالهات اليافعين الذين يحس نحوهم جميعا برباط اخوي عميق .  
فلاحاسيس تشعذ هناك ، والدم يتوفر ، وينبغي على كامو ان ينعت كل  
انسان لا يستمتع بهذه الظروف بانه انسان ابله معتوه . والخجل كلمة  
لا معنى لها على الشواطئ الجزائرية « . . فاذا كن هناك اثم تجاه الحياة ،  
فهو لا يكون في اليأس منها بقدر ما يكون في الامل بحياة اخرى تحاول  
التخلص من هذه الحياة هنا والان ! » فالآثم بقدر ما تعنيه هذه الكلمة ،  
يجب ان يحمل على أنه هو الاזורار عن الوجود المادي ، لا المانقة المغوية  
المليئة لهذا الوجود . ويحس كامو بانه لن يكون قادرا على الاتصال  
الكافي ، او الاتصال القريب لحد كاف ، بالعالم الطبيعي . ان هـــــ  
الرغبة في الالفة الوثيقة الدائمة مع الطبيعة ، او الرغبة في هذه  
« الاعراس » مع الطبيعة التي ينظمها عنوان هذه المقالات الشامل ، انما  
تظهر مرة بعد اخرى في مقطوعات غنائية ( ليركية ) حسية . فهو  
يهلل بشعور من احالته الريح والشمس الى نموذج من نماذج هذا الريف  
الترامي الاطراف . ويحس بدمه ينفض بايقاع مع نبضات الشمس وهي  
في السموت . واذا يقف الى اطلال « جميلة » يحس بانه قد انتزع  
من نفسه ، ولم يعد يعي سوى هوية هذا المنظر القائم امام عينيه .  
« . . اتي انا هذه الريح ، هذه العمدة ، وهذا السبيل المشاد في  
الريح ، وهذا الجلود من البلاط الذي يبعث الحرارة ، وهاتيك الجبال  
الحيطية بالمدينة المحطمة . . »

(١) هي الزهرة التي نسبت للملاح الفرنسي « بوغاني فيلي » الذي  
طاف الارض في ( ١٧٦٦ - ١٧٦٩ ) .

(٢) ديلوس هي الجزيرة المعائمة - بحسب اساطير الافريق - وهي احدى  
مجموعة جزر « سكليد » . كان فيها معبد « ابولو » . اشتهرت بالالعاب  
التي عرفت باسمها « الدبلية » . وهي ايضا موطن « لاثو » ام « ابولو » .  
وتذكرنا الالعاب « الدبلية » والتنافس في قول الشعر ، بمنافسات  
العرب الشعرية وبالعبابهم واقداحهم وازلامهم في الكعبة ، كما يذكرنا  
« ابولو » اليوناني « بهيل » العربي ، وتذكرنا « لاثو » « باللات » العربية  
ايضا . ولدينا ظن قد يبلغ مبلغ اليقين ، ان هناك صلات بين هذه الطقوس  
والاسماء ، تركها للباحثين العرب .

ولقد توحى هذه السطور ، لأول وهلة ، بموقف فيه نشوة من وحدة الوجود - شيء يشبه عبادة الأرض واستواء الذات والاعيان

الطبيعية من حيث الهوية ، والتي تؤلف ، مثلا ، جوهر كتاب « قصة قلبي » للكاتب « رتشر جيفرز » . وفي الحقيقة ان نظرة كامو الى المشاهد الجزائرية هي لاعاطفية ولاروحية من حيث جوهرها ، بالرغم من المفردات الفنية ( الليركية ) التي استخدمها لوصف تلك المشاهد . ان هذا الفيض من التمجيد الذي تلقاه في هذه السطور المقتبسة آنفا ، ليهيب بكامو ان يساوي في الهوية بين الطبيعة والانسان . وهذا التوافق من شأنه ان يترك الطبيعة في غيرتها Otherness ، دون ان يمس هذه الغيرة بشيء . ومهما تهىء الطبيعة من متع وملذات مادية، فانها تظل مادية وغريبة على حالها . فكامو هنا لا يلعب دور الموحد للوجود الذي يجعل الجبل والحقول تعاود الحياة بالروح . غير ان ذلك يصح قوله عندما يأخذ باستخدام اللغة الشعرية بشأن التساوي في الهوية ( بين الطبيعة والانسان ) . فالذي يرضيه هنا ، ليس هو اسباغ الروحية على المشاهد الطبيعية ، بل هو الشعور بالتوافق بين هذه المشاهد وبين حالته النفسية ، فيما نرى الموحد للوجود يبحث عن ملاذ يهرب اليه من نفسه ، وذلك عن طريق الطبيعة التي اسبغت عليها الروح . فكامو يالم اشد الالم ، اذ يؤكد الواقع المادي الصارم للاعيان الطبيعية . فهو يقول بان الجمال الجزائري الدابل لا يلقي اليها بأي درس روحي . انه يقدم لنا الاسراف السخي الثري في الحس ، بيد انه لا يزود الانسان الباحث عن غذاء الروح او طمأنينة الفكر بأي شيء من هذا القبيل . ولكن ينبغي ان يستمتع بهذا الجمال ، ولو انه لا يشبه هاتيك المشاهد الاكثر انسانية ، في اوروبا ، حيث يفري الناس بالهروب من انسانيتهن ومن فئانهن ، عن طريق البحث عن تخلصهم من انفسهم بوساطة عزاء الطبيعة ، ومن ثم العثور على ذلك التخلص عثورا ظاهريا فحسب . ان سماء الشمال الافريقي الالفة ، لا تحمل اية رسالة من رسالات الامل او التخليص . وهنا يقول كامو في سماء الجزائر :

« بين هذه السماء والوجوه المصوبة نحوها ، لا يوجد اي سبيل للتعرف على الميثولوجيا ، والادب والاخلاقيات او الدين . ليس هناك سوى الصخور والجسد والنجوم ، وتلك الحقائق التي تستطيع ان تلمسها اليان . » (1)

ان كامو يرى تلك المضامين الفاجعة لهذا الجلال اللاروحي الراسخ الاركان في هذا العالم الطبيعي . ففي خضم هذا السرور الحسي ، يدرك كامو ، كدأبه ابدا ، تلك الثنائية المخلدة لذاتها ، والتي راينا انها الموضوع السائد في كتابه « الجهة والموضع » ، وانها هي التي اهابت به هنا في كتابه « الاعراس » ان يذكر بان ما يمجّد الحياة يزيد ايضا من حدة عيشها . فلقد وصف بالفاظ غنائية ( ليركية ) حياة الحس ، وهلل لكمال هذه الحياة . على ان هذا الكمال نفسه ، وحدة التجربة ذاتها ، تنطويان على حدين مزدوجين . فالحياة التي يصفها كامو ، هي اولا ، لا يمكن ان يستمتع بها الفرد الا لامد موقوت ، ثم ان بهامها لا سبيل الى الاقلال منه طالما كانت الحياة باقية ، ولكن الحياة لا يمكن ان تدوم الى امد طويل . اما اولئك الذين يجازفون بكل شيء

(1) من حق كامو الفرنسي ان يحس هذا الاحساس حيال الجزائر العربية . فهو نبتة اقتلعت من طبيعتها - على حد قول زفاينغ - اذ فارق وطنه النمسا ، واستوطن امريكا اللاتينية .

« المترجم »

من اجل الجسد ، فانهم يعلمون حق العلم ، بان عليهم ان يخسروا كل شيء عندما تحن الشيخوخة ، ثم الموت بعد ذلك . فحقيقة الموت ، اذن ، هي حقيقة راهنة في المشاهد الجزائرية بصفة خاصة ، تلك المشاهد الثرية المعطاء ، والتي تحدد الاحاسيس بان تأخذ نصيبها هناك . ويعبر كامو عن حيرته هذه بقول سبقته الاشارة اليه اذ يقول : « فزعي من الموت ، يسيطر على قلبي من الحياة » ، والحد الاخر المتصل بالحد الاول ينجم عن « القلق من الحياة » ، فجوهرها المتعة المادية هو مباشرة تلك المتعة ، والمجازفة بكل شيء من اجل الجسد ، هي المجازفة بكل شيء من اجل ما هو راهن ، بصفة مباشرة . غير ان المباشر ، كما يفسره كامو هو امر يجرب على انه تناظر في المشاهد المستمرة الوجود ، والتي يمكن استخلاصها من هاتيك الجبال والسماء الابدية . اننا لا نستطيع الا ان نبحث عن المتعة في الطبيعة ، لاننا كائنات انسانية ، لا كائنات خضارية ( نسبة للخضار ) ، وان وعينا لانسانيتنا يشمل وعينا لفناننا . وعلى العكس من ذلك ، فالطبيعة ليست فانية ، ولكنها تعمل على تخليد ذاتها بذاتها . ففصول الصيف الجزائرية تتابع الواحد تلو الاخر ، والبحر والشاطئ يمضيان في غزلهما . وهذا هو الصدع الثاني في تجربة السرور الحسي ، ويجد كامو المتعة الطبيعية في الشمس والبحر والجبل والرياح ، ولكن هذه الاعيان جميعها التي هي موضوع مرحة ، ستظل بعده ، وستظل بعد ان تنفذ قدرته على ممارسة تجربتها ، بل ستظل بعد جميع الكائنات الفانية طوال جميع القرون . وهنا ، وبهذا الجانب من جوانب فئانه ، يجد كامو ان السعادة قد شوه وجهها موة اخرى .

فالقرار بالزوال الانساني الذي تؤكده ديمومة الارض والسماء ، هو أحد الموضوعات المألوفة . وبوسع المرء ان يربط ، فورا ، هذا الموضوع بمواقف الاشفاق على النفس والتعبير عن الكبرياء السوداوية والبحث عن حل روحي فيه عزاء . ومهما يكن من شيء ، فاني اظن ان كامو يعمد لادخال تأكيدات جديدة على هذا الموضوع . فهو لا يضيف صرامة جديدة الى هذا الموضوع وحسب ، بل هو يرفض المواقف التقليدية ، وذلك عن طريق الحفاظ على ما يحتويه نصيبه من صفات مزعجة متعبة . وبكلمة اخرى ، « فالتقبل » بالنسبة لكامو لا يشمل اية خطة واعية او غير واعية تستهدف تخفيف حدة الحيرة الانسانية . لذا فاننا نراه يلج على صراع لاسبيل الى وقفه ، هو صراع قائم بين الرغبة في الحياة وحقيقة الموت ، بين « الهنا » و « الان » اللتين يعرفهما من جهة وبين « لما بعد » التي لا يعرف عنها شيئا ، وكل ذلك من اجل ما يؤمن بانه هو نقاء الفكر وشرفه . فهو يرى في الحياة الموقته الفانية ، الحقيقة الوحيدة والسعادة الوحيدة اللتين يستطيع التثبت منهما . وهو يرى في هذا الموقف ولاد لوضعه الانساني ، اذ هو يذهب الى ان اي شكل من اشكال العزاء ، لا يتعدى كونه فرضية مجردة لا تقدم اي اثبات . ففي هذا العالم اليافع ذي اليقين الحسي والرب الروحي ، يصبح الايمان مرتكزا على المشاهدة لا غير . وهنا يقول :

« واني اذ ارفض كل « لما بعد » لهذا العالم ، فان ذلك يرجع الى اني انا ايضا لست مستعدا لان ابرا من جميع ثرواتي المباشرة . انني لا اؤثر الايمان بان الموت يفتح المغاليق لحياة اخرى . انه بالنسبة لي باب مرصود . . وكل مايقترح علي انما هو محاولة للاقاء عبء الحياة عن كاهل الانسان . »

فكامو هنا ، ينص ، بدقة وتعيين ، على ما هو جلي فعلا في كل حالة من الحالات : فقراره الذي يتخذه للمجازفة بكل شيء من اجل

بحيث استطاع ان يدرك انعدام الحاجة عندهم الى اية اسطورة ، دون ان يدركوا هم انفسهم ذلك .

ففي حدود عالمهم الذي يمجّد كل ما هو مادي هامد ، نجد ان كامو يبرر استنكار التشنجات الذهنية عند جيد ، ولكن هذا الاستنكار انما هو ناشئ عن تشنجات ذهنية اخرى عند كامو نفسه وعلى مستوى اخر . وهذه التشنجات الذهنية هي امر لا محيد عنه عند كامو ، على انها غريبة عن موقف اولئك الذين اطراهم واعجب بهم كامو نفسه . ومن الانصاف ان نضيف ايضا ان كامو يلج دائما على ان هناك شيئا سيظل قريبا من هؤلاء « الناس الاطفال » ، بالرغم من تقبله لكل هاتيك النقاط . فهو يدعي في رسالة كتبها اخيرا ، بان هذه المشابه هي التي تهيب بباريس المضللة الا تقبله الا مع بعض التحفظات ، وهي التي تجعله لا يستطيع ان يقدم الولاء لعالم باريس الاجتماعي او الادبي .

ومن هنا ، فان هذه الطقوس الواعية لعبادة « الرجل الحسي الاعتيادي » تذكرنا بانه حتى هذه الالحادية الساذجة التي نجدها عند كامو ، تعتبر امرا اقل عفوية مما كانت تبدو عليه . وان مجرد القول بان « لا ايمان » هذا هو قضية غريزية ، من شأنه ان يحول « اللايمان » هذا عن جوه العقوي . فان ما تنطوي عليه تلك الصفحات الثمانون من مواقف لا تعقيد فيها من جانب كامو ، معناه ان هذه المواقف تتضمن تأملا وعنصرا من عناصر الاختيار ، اكثر مما هو نفسه ، مستعد له . وقد يحتج قائل هنا فيقول ان كامو حتى في موقفه هذا عفوي ، بمعنى انه قد اخفق في رؤية ما يراه المسيحي ، وانه ليس بمقدوره ان يكون على صلة بالوعي المسيحي . اما انا ، فأظن ان تسويفا كبيرا تنطوي عليه هذه النظرة ، لاسيما في المرحلة الاولى من كتاب « الاعراس » . ومع ذلك فستظل هناك حقيقة واحدة ، هي انه ليس بوسع كامو ، منذ البداية ، ان يتصل بالدين المسيحي ، مهما لج الناس في ممارسة هذا الدين ممارسة غير مقنعة ولا مرضية . ومن هنا ، ينبغي ان يظل موقفه *Transcendence* رفعا للتعالي ، تميزا له ( اي لهذا الرفض ) عن الجهل بفكرة التعالي نفسها ، والتي يبدو انه ينسبها احيانا للشباب الجزائريين الذين نشأوا في جو وثني مطلق . فالوثنية التي يميطنها كامو الستار هي وثنية ما تزال بسيطة وغير معقدة نسبيا ، تستمد قوتها اكثر ما تستمد من حب الحياة ومن الفزع من الموت ، غير انها لا تنطوي على اي عنصر تصفي . وفي الحقيقة ، ان ما يقدمه الينا كتاب « الاعراس »

الحياة المادية المباشرة ، ان هو الا نتاج الاختيار التصفي . اما ان هذا الخيار يقع ، بشكل طبيعي على الشمال الافريقي ، فلا يعني ذلك انه سيكون اقل تصفا وجورا . وبما ان كامو قد واجه حيرة كتلك الحيرة التي واجهها باسكال من قبل ، فانه يجازف بالاتجاه المعاكس . فرفض النظر في اي احتمال لوجود ما بعد الحياة ، هو وجه من اوجه الاعتراض العام على اي مطلق او تجريدات قد يتعلمها من المشاهد الجزائية . فهو يشد الى حواسه كل ما هو راهن ، ويتعامل مع كل شيء جميل ، وليس هناك من خلاص فيما وراءه ، او بعيدا عنه . وهذا الجحود المباشر اللامتردد أمر مثير وغير طبيعي من كاتب في قامة كامو وسميته . انه يفصح في كتاب « الاعراس » عما يمكن تسميته « بالالحاد الساذج » طالما كان ذلك يحتل مكانا في التأمل الفلسفي ، قد يقابل ما يسمى بالواقعية الساذجة في نظرية الإدراك . وهذا الالحاد امر غير معقد ، اذا ما قيس بالحاد رجل كمارلو او سارتر . وهو في الوقت ذاته يؤكد لنا مرة اخرى تأثير الاصول التوسيطية عند كامو . والحق ان كامو قد بدأ منذ ذلك الحين بالتأكيد على موقفه من معضلة الشرور الكنسية ، والمسيحيين افرادا افرادا . غير ان هذا الالحاد الذي يعرضه هنا ، هو الحاد تأملي في اصوله . فهو يعرب عن نظرة - واعية او غير واعية - لاناس يصفهم بأنهم بدائيون بسطاء . وهو يزعم ان هؤلاء الشمالافريقيين لا تعني شيئا بالنسبة اليهم الفاظ « كالاتم » (1) او « الفضيلة » او « التوبة » ، اذ لا تنطوي هذه الالفاظ عندهم على اي معنى تجريدي ، بالرغم من انهم يمارسون ادابا اخلاقية يومية ، يدعوها كامو ب « قانون الشارع » الاوتوماتيكي . فهم ( اي الشمالافريقيون ) يتناولون ملذاتهم اكثر ما يتناولونها جماعات ، وفي المحلات العامة . وترتكز اخلاقياتهم على القواعد الابتدائية في حياة مجتمعية كهذه : كان تعنى بالنساء الحوامل ، او ان عليك الا تسرق فتاة صديقك الخ ... وبفض النظر عن هذه الاداب الاخلاقية الابتدائية ، التي يدعمها الجانب الاجتماعي اكثر من الجانب الديني ، نجد كامو يقول : « ان هؤلاء الناس الذين استنفدتهم حياتهم الراهنة ، يعيشون بلا اساطير ، وبلا عزاء » ان هؤلاء « البربر » - كما يدعوهم - والذين يجدون متعتهم على شواطئ الشمال الافريقي ، يتوقع منهم المرء الشيء الكثير في المستقبل . فهناك موقف مباشر سليم يمكن ان يتخذ حيال الحياة . ويمكن ان يخلق هذا الموقف - بالرغم من انه موقف لا واع - نوعا من الثقافة التي « تقبل » فيها الكرامة الانسانية التعبير الملائم .

فلدينا هنا ، شيء يقترب من اسطورة الهمج السعداء ، التي تمنح فيها بعض الاذهان المضللة . فمن الواضح ان هؤلاء الذين لا حاجة بهم للاساطير هم الذين يزودون كامو بالاسطورة والرمز . وبالرغم من ان كامو قد ولد في هذا الجو الوثني ذاته ، الا انه يختلف عن هؤلاء الناس اختلافا جوهريا بفضل ثقافته واسفاره ودراساته . فهو يفهمهم بالقدر الذي يعجب فيهم ، ويشاطرهم حياتهم في كثير من الواضع ، غير انه منفصل عنهم بحقيقة فكره التأملي . فالموقف الغريزي فيهم لا يكون غريزيا فيه ، لا من حيث الطريقة ولا الدرجة . فالوعي الذي يدفعه للتحديث عنهم ، باعتبارهم « اناسا اطفالا » وباعتبارهم « بربرا » لهو وعي للاختلاف القائم بينه وبينهم . فهو ملقى في عالم خارج عالمهم ،

(1) ان ابلغ رد شهرته الجزائري بوجه الائم .. اثم الحضارات اللانسانية الزائفة هي ثورتها التي تسمو في مضمونها الروحي - الاخلاقي على مستوى الفرد الاوربي .

## من منشورات دار الآداب

الحي اللاتيني (رواية) للدكتور سهيل ادريس  
الخنق الغميق (رواية) للدكتور سهيل ادريس

دار الآداب ص. ب ١٢٣

ما هو الا صورة اولية « للجهود العاطفي » ، والذي كان عليه ان يصفه لنا بعد عشرة اعوام من ذلك التاريخ ، باعتباره خصيصة تتميز عن هذا الاتحاد المعاصر . فالحاده لا يعتبر انكارا للدين ، باسم العلم، على طريقة القرن التاسع عشر ، ولكنه جهود يرفض المطلق ، كما يرفض ما هو علمي وما هو ديني على السواء . وكما ان هناك جهودا ينطوي على بعض خصائص القرن التاسع عشر ، فان هناك جهودا معاصرا في جوهره ايضا . وجود كامو هو من هذا الضرب الاخير . انه لم يكن هجوما نضاليا ، كما انه لا يبحث عن الدخول في معارك ، بل هو رفض راسخ يكتفي اكفاء ذاتيا لثلا يقع في الماحكات الجدلية . وفي هذا الاتحاد يكمن ذلك التسامح الذي يرى في الحلول الانسانية جوابا طبيعيا على المعضلات الانسانية ذاتها . والخصيصة الاخيرة في هذا الموقف الاتحادى، هي تلك الحقيقة المرتكزة على ادراك ثابت للواقع . فبالنسبة لمؤلف « الاعراس » ، ان ما هو واقعي يمكن تجربته عن طريق الحواس . وليس من الضروري ان تكون جميع صور الاتحاد مادية ، ولكن الحاد كامو ناشيء عن ضرورة اعادة كل شيء الى اسمه المادية .

ويرفض كامو اي عزاء او حل يقدمه الدين ، وبذلك يحرم نفسه من اي امل ، حتى الامل في معناه الاعتيادي ، وذلك عن طريق الاخذ اخذا حازما بأسلوب « الانتباه الصافي » - كما يدعو - بشأن الغناء الانساني . ومع ذلك ، فانه ، في الوقت نفسه ، لا يقبل ان يصف موقفه هذا بأنه « استسلام » . اذ هو لا يرفض عقيدة دينية ، لكي يكون هناك « استسلام » ، بل على العكس من ذلك ، هو يفهم من كلمة « استسلام » انعدام اي رجاء في العالم ، خيال ما يراه محض قيم روحية خداعة . فهو يقول ، ان الاغريق قد استنبطوا الامل ، باعتباره اعظم الشرور الانسانية من « صندوق باندورا » . وهو يجد في هذا رمزا متحركا لحقيقة ما هو « امل » ، والذي يناقض الايمان العادي الذي هو بالتالي ما تعنيه كلمة « استسلام » . فالعيش دونما امل ، وتقبل ما هو مادي بدلا من رفضه لصالح الديبومة اللامادية الواقعة خارج حدود هذه الحيات هو ما يمكن تسميته ، بالقبض ، بالاستسلام .

وفي الصفحات الاخيرة من كتاب « الاعراس » ، يستخدم كامو فكرة « الاستسلام » لكي يسند جاهدًا محاولاته في دحض الرأي القائل بان التنكر للامل ، لا يعني ضرورة ، امكانية هدم السعادة . انه يعترف السعادة بانها هي الانسجام البسيط الذي يربط الفرد بوجوده . فاية اسس للسعادة اشد رسوخا من اعتراف الفرد بهذا التناقض الظاهري

## دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

للدكتور محمد مندور

قصايا جديدة في ادبنا الحديث

لرجاء النقاش

في أزمة الثقافة المصرية

لحيي الدين صبحي

نزار قباني شاعرا وانسانا

التماسك الذي يؤلف موقفه ( موقف الفرد ) في هذا العالم ؟ فالسعادة تنأت من تلك العلاقة التي يتقبل فيها الفرد هذا الصراع الابدي القائم بين غريزته للحياة والموت الذي لا محيص عنه . وما ان لدينا الان امثلة متعددة يعرض فيها كامو لنقطة حرجة من تفكيره ، وذلك عن طريق شيء يشبه التلاعب بالالفاظ . فحجته تعتمد اكثر ما تعتمد على ما هو تطبيق شكلي لذلك الموقف الذي سبق ان وصفه كامو في اجزاء كتابه هذا ، وعلى تعريف السعادة بانها هي مجرد تلك العلاقة ( اي العلاقة البسيطة بين الفرد ووجوده ) . ولذلك ، فان نقضه المؤثر من الناحية البلاغية ، لتطبيق الامل تطبيقا عاديا ولقضية « الاستسلام » ، كل ذلك انما يعتمد اعتمادا غير مضمون النتائج على فرضية ان العزاء الروحي محض وهم ، وهي تلك الفرضية التي لم تمحص تمحيصا حقيقيا . ويسد واضحا ان ما يعرضه كامو هنا على اساس انه حجة دامغة ، لم يكن سوى قرار تسفي . فهو اذ يتخذ هذا القرار ، لم يعد لديه ادنى شك في قيمة الموقف الذي سينتهي اليه ذلك القرار . ويزعم كامو انه تمكن من الحصول على نوع من السعادة تبدو الفكرة العامة عن السعادة بالقياس اليها فكرة هشة . وهذه « السعادة القصوى » لا يمكن شرحها بسهولة وبسر ، اذ تبدو كما لو انها تفر من اي تحديد او تعريف . انها تشبه تلك الطمانينة الرواقية التي تنشأ عن عدم الاعتراف باستحالة تحقق السعادة . وفي مقدورنا ، ان نتذكر هنا قولاً لـ « غراهام گرين » في كتابه « قلب الماد » ! « . ان ترك المرء وحيدا مع اسوأ الاحوال، لهو امر يشبه السلام... » « فسعادة كهذه ، حسبما يرى كامو ، من شأنها ان ترضينا على مستوى ليس ادنى من مستوى التعبير العادي لكلمة السعادة . ويبدو هذا الموقف ، كانه انكار لكل محتوى الحجج السابقة التي اوردها كامو في « الاعراس » ، اذ يقدم لنا الرواقية ، كبديل عن اللذة الحسية العابرة . فان ما يعتزم كامو القيام به ، انما هو وضع جذور السعادة الرواقية القصوى في موضع مادي . فهو يعيد التأكيد على قيمة السعادة المادية التي هي سبيل السعادة القصوى . فالامر الوجيز للذة المادية يقدم لنا ابعادا انسانية حقيقية لهذا الموقف الرواقي ، اذ يجعل حقيقة هذا الموقف وقيمه ذاتيتين كالانسان تماما : « ما الذي اصنعه بحقيقة زائلة حتى ولو شئت ذلك ؟ .. ان هذه الحقيقة لم تفصل بحسب مقياسي .. والرغبة خداع لنفسي . »

واخيرا ينبغي الا يفوتنا ان كامو لا يفصل هذا الشكل من اشكال الرواقية عن التمرد ، باكثر مما يفصلها عن الاسراف في شهوات الحس . فالتمرد هنا على هذا النحو ، وفي هذه المرحلة ، ما يزال مدركا غامضا سلبيا . بيد اني اظن ان بوسع المرء ان يرى هذا الرفض للمطلق ، من جانبه المتحدي المتمرد ، وهو في اطار هذه الحدود المعتمدة لهذه المقالات . ومن هنا امكن القول ، ان البحث عن السعادة ، وهو ذلك الخيط الدائم الذي ينظم كتاب « الوجهة والموضع » وكتاب « الاعراس » ، ان هذا البحث يصل في النهاية الى غايته عن طريق « تقبل » الاستمتاع بكل ما هو مادي ، ومن ثم التمرد على كل شيء من شأنه ان يبرقع بالاستسار مأساة الوضع الانساني . ويختتم كامو كتاب « الاعراس » بتعريف منقوع يعبر عن مبدأ كامو في السعادة . وهو تعبير فيه تلاعب بالالفاظ اذ يقول : « . واني لنا ان ندشن الانسجام بين الحب والتمرد ؟ ابالارض ! .. الا ان جميع اصنامي ذات ارجل من طين ، في هذا العهد الجبار الذي هجرته الالهة ! »

ترجمة محيي الدين اسماعيل

القاهرة

# الجوع والضمير والليل ...

قصته بقلم احمد حوي

- ٢ -

وفي الزاوية المقابلة كانوا ثلاثة . ملاصقهم تشي بهم وتهمس بانهم من هناك ، من الارض العنيدة التي تلاحتني لعنتها ، ويفرقها قومي بالدم والليل والمأساة .

لكم اكره هذه الملامح ، اكرهها بصرامة واحقد عليها ، فبسببها تنكث لي فرنسا ، دون ان يكون لي من ذنب سوى ان امي الشقراء الفرنسية ، اشتتت السمرة المحروقة في فورة من فورات جسدها ... فكان ابني المجهول جزائريا محروق السمرة .

.... وعشنا حاولت الفرار من اللعنة السمراء . لقد ظلت ابدا في وجهي ، في جيني ، في دمي .

لاحقتني في طفولتي ، يوم كان اترابي يسموني « الهجين » ، فاهرع الى التي جنت علي ، اشكو وابكي ، فتمسح دموعي بشفتيها ، وتهمس في اذني :

- هون عليك يا حبيبي، فستتهافت عليك امهاتهم واخواتهم عندما تكبر . ولاحتقتني يوم كنت هناك في الجزائر ، فطردت من الجيش ، وسجنت وتعرضت لتعذيب فرقة المظلات ، لان القيادة شكت بولائي للوطن الام ، واتهمتني بانني انقل الاسرار العسكرية للعدو .

وها هي تلاحتني هنا ، فتجرمني من العثور على عمل ، لان فرنسا اصبحت منهارة الاعصاب ، تعاني عقدة رهيبة اسمها « عقدة الجزائر » فكل اسم وان كان فرنسيا ، معرض في نظرها ، للتعاطف مع الثوار ، وللتعاون مع خلاياهم السرية التي تنشط في كل مكان من التراب الفرنسي ، حتى في قلب باريس .

... ولع في ذهني الفاتم المكود ، وانا قابع في الظلمة ، خاطر شريز : - لم لا اراقب هؤلاء الثلاثة الفارقين في حديث جدي مهموس يليهم

عن كؤوسهم الطافحة بالنبيذ الرخيص ؟

لم لا اراقبهم ؟ فقد اكتشف فيهم عناصر خلية سرية مخربة ، وقد يبض هذا الاكتشاف وجهي وصفحة سلوكي في نظر السلطات ، وبملا جببي الخاوي بما يسد الرق على الاقل .

... واعجبتني الفكرة ، فنشرت اذني على مداها ، وحشدت فيهما حواسي كلها ، بل كل ما ابقى لي خدر الجوع من هذه الحواس .

وجهدت كثيرا لالتقاط شيء من اصدااء همهم ، ولكني فشلت في ذلك ، ونجحت في امر واحد ، هو انني لاحظت امامهم ورقة مبسوطة يحرقون بها بامعان ، وينقلون اصابعهم عليها ، فرحت اقدر انها ربما كانت خريطة ، انهم ربما كانوا يعدون في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، خطة ما ، لحدث خطير من احداث النهار .

وعندما نهضوا ليفادروا الحانة سمعت اكبرهم سنا ، وهو شاب اشيب الصنفين ، يبدو الدهاء في عينيه ، سمعته يقول لرفيقه وهو يودعهما :

- الى اللقساء .

- ١ -

دقت الساعة واحدة بعد منتصف الليل ، وما زلت اتسكع . ونامت افكاري الهزيلة كلها في كهوف رأسي ، وكادت اطرافي تنام معها ، وظل جوعي وحده هو اليقظان .

اني احسه يتمطي في احشائي حتى ليكاد يمزقها . يصرخ ، يتململ ، يجدف على الله ، يجرني من اذني ويطوف بي الشوارع النائية المظلمة ، بحثا عن امل مجهول ، عن لقمة ضائعة ، لا اعرف اين اجدها .

.. وفي تك الساعة لم اكن ادري اين انا ، حين امسكني من رقبتني - اقصد جوعي - وصلبني تحت مجموعة من الانوار الملونة المتراقصة .

... وبحركة بلهاء رفعت بصري الى اللافتة بعد جمود طويل .

اللافتة تقول : اني امام « النار الخابية » ... فاین تقع « النار الخابية » ؟

.... واستنجدت بمعلوماتي كمترشد مزمن ، فراحت هذه المعلومات تتداعى ببطء الى رأسي .

- انها حانة يا عزيزي الفونس ؟ الا تشم انفاسها التي تتناهى اليك كلما شق الباب الصغير ، وانطلق منه الدفء ورائحة الكحول الحادة ، وقهقهات بعض السكارى ؟

- اعرف انها حانة ... ولكن اين تقع هذه الحانة ؟

- يا ابله ... انك تمر بها عشرات المرات في النهار الواحد ، وتكاد تدخلها كل ليلة . الا تعرف الحي الذي يقوم فيه جحرك الصغير ؟ الا تعرف حي الغرباء في الطرف الشرقي من باريس ؟

- اوه .. حقا اني ابله .. ولكن ما ذنبي ، اذا كان راسسي قد اصبح وطنا اصيلا للشرود والضياع ، والضباب ؟ .. ودفعت الباب برجلي ودخلت ..

وتلقاني سيمون صاحب الحانة بنظراته التي تعود ان يلقاني بها ، اي بكونك عليل عجب من نظرات اللعنة المهومسة ، والمطف المتردد ، والتمنيف الخفيف .

وفهمت من هذا الكونكيتل كما تعودت ان افهم ، ان العلم سيمون ، او الكرش المنور ، كما اسميه في سري ، لا يمانع في ان اجلس الى احدى الموائد المهجورة في احدى زوايا حاتته ، وانه يعدني - كما تعود - بالشمالات التي يتركها بعض الزبائن في كؤوسهم حين ينصرفون ، شريطة ان اتحلى بصبر ايوب وهدوء البومة المحنطة .

.... ومن زاويتي رحت انقل طرفي الجائع الظامء من مائدة الى مائدة ، وكنت كلما ارتفع كاس الى شفة ودنا منها ، تمرغت نظراتي على اليد التي تحملها ، وتوسلت اليها :

- بحق ابليس ... اترك لي جرعة .

وقليلا ما كان داء السخاء يصيب رواد الحانة الظماء دائما حتى الى الشمالات .

✱

وخيل الي ان ملامحه المعبرة تكاد تكمل .

- واتمنى لكما النجاح في المهمة :

- ٣ -

شكرا لسيمون : لقد كان سخيا هذه الليلة فأغدق علي من الثمالات ما يكفي لتخدير ثور .... ومع ذلك فقد قضيت بقية ليلي ، متوسر الاعصاب مصلوب الاجفان .

ولم يكن الجوع وحده سبب ارقى ، بل كان سببه ايضا مالاك خاطري في يقظته القلقة من احلام ! :

- سيدي الكولونيل . اقدم لك نفسي . اني ادعى الفونس . الفونس ... ماذا ؟

... واحس بالحرج والضيق فانهمل واتصيب عرقا ولكنني لا البث ان اجد المخرج :

- اسمي ابي لا يوم ... بل المهم ان تتقوا بي يا سيدي الكولونيل وان تستفيدوا من مواهي ... ولوني .

.. وينظر الي الكولونيل نظرة فاحصة ، فآغزه بجرأة عجيبة ؟  
- ان حوادث اغتيال الزعماء الجزائريين الموالين لفرنسا ، تهز عاصمتنا وتلقي في اوصالها الرعب ..

.... وتتسع حدقتا الكولونيل ويسألني بلهفة :

- اتعني انك قد تكون مفيدا لنا في الكشف عن بعض الاسرار .. ؟

- ربما يا سيدي .. ولكن ....

وفهم الكولونيل ما اعني ، وبهز براسه موافقا على الصفقة .

... ويكر الشريط ، وارى نفسي على ضفاف السين : القمر يتلصص على الناس من فجوات الفيوم الخريفية ، وانا في ابهى زينتي ، وجاكلين تتعلق بذراعي كالطفلة ، وتشدني بشوة كانها تريد ان تنيخ الجبل الشاهق الى الارض :

- يا قاسي القلب ، يا بقية العصر الحجري .. تهجرني سنة كاملة ولا تسال عني ؟

واضمها الى صدري بحرارة :

- لقد كنت اشعر اني لست كفؤا لك ، لانني كنت بلا عمل .. اما الان .. ولا تمهلني جاكلين حتى اكمل ، بل تقفز الى شفتي المستسلمين لتلتهمها بضراوة .

... ويكر الشريط واري نفسي في « الطاحونة الحمراء » ، وفرنسواز الى جانبي ، وكاسانا يتوهجان بالذهب السائل . لقد طال ظمائي اليهما : الى الربيع في عيني فرنسواز ، والى الويسكي ، ذلك الرحيق الالهي الذي تعب عيناى كل ليلة .. ولكن فمي يتشاه .

... وفي غمضة عين ، ينقلني حلم اليقظة الى حلبة رقص لا ادري مكانها ، ها انذا ارقص مع جيزيل ... نرقص بجنون حتى ليخيل اليينا ان خطانا لا تمس الارض ، واننا قد تحولنا معه الى كائنات اثريين ، ولا يحس لهما وزن ، ولا تحيط بهما عين .

... ويكر الشريط ، وارى نفسي وراء المقود ، اتهادى بسيارتسي الانيقة في شوارع باريس ، باحثا عن متعة لم اتذوقها بعد ، ونكهة جديدة لصيد جديد .

... ويقطع الفجر والصقيع علي ، احلام يقظتي ، فافتح عيني لاحد نفسي في جحري الصغير ، الكريه ، الخاوي من كل شيء حتى من الدفء والامل ، فاهرب من واقمي البائس الى الشوارع المغلفة بالجليد ، اجتازها بما يشبه العدو ، عل الخطى السريعة المتوترة تبعث دمي الهاجع ، وتشحن اعصابي الباردة بدفعة من الحرارة ، ولكن اكشاك الصحف تستوقفني ،

عند كل منعطف ، لابلق ، دون ان ادري النافع ، بتلك العناوين الضخمة المثيرة التي تنصدر الصفحات الاولى من صحف الصباح .

(( اغتيال بن قدور عند قوس النصر ))

(( العصاة الجزائريون يرعون باريس ))

(( الارهابيون الجزائريون يصرعون اوفى صديق لفرنسا )) .. وافهقه في سري كالابله ، ثم الولك لساني الكسول :

- يا للسخرية .... بهزأون بفرنسا وبهزقون هيبتها ... فيقتلون اصداقها في عاصمتها ، وتحت قوس نصرها .

... واقلب شفتي بحركة كانها الشماتة ، واتابع سيري الهستيري ، واللامع السمراء التي راقبتها في « النار الخائية » ليلة البارحة تنط الى وعيي متتابعة متلاحقة ، وقد قطعها الريبة لتستوقفني بعد قليل ، عند ناحية الشارع وتجمدني ، كمن وجد شيئا ضائعا انهك نفسه في البحث عنه :

- لقد وجدتها . لا شك انهم هم الذين صرعوا بن قدور . ملامحهم الحذرة المتزمطة ، وهمسهم الريب المتواصل ، والخريطة المبسوطة تحت اعينهم . كلها ادلة جرمية ، او على الاقل شبهات تجيز لي ان اتهمهم ، ان امسك بتلابيبهم باسم القانون ، باسم العدالة الفرنسية ... ان اسوقهم الى كولونيل ... اي كولونيل . وانحني امامه بسملة الفخور :

- اقدم لك يا سيدي هذه الهدية المتواضعة ، ثلاثة من افراد العصابة الارهابية التي تقض مضاجعكم ...

.. ويربت الكولونيل على كتفي ، ويعدني بوسام رفيع ، ويأمر بان يجزل لي العطاء فأخرج من بين يديه ، منتفخ الصدر ، وفي جبتي ثمن مناسب ، لرؤوس ثلاثة قد تستريح العدالة الفرنسية من غمها الخائق ، حين تسلمها غدا الى قبضة الجلاد :

.. وابتم بزهو « للمهمة » السعيدة التي ستجعلني انتصر عمسا قريب على الفاقة والتشرد والحرمان .

- ٤ -

الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، والحانة تكاد تخلو من الرواد ، الا بقايا حلقات تنتثر في الزويا الخافتة الضوء الملبدة بضباب الدخان واصدااء القهقهات .

... والثلاثة في زاويتهم . كؤوسهم المترعة بالنبيذ الرخيص ما زالت تتشاب بضعج وخمول . وهم غارقون في نقاش مهموس تنقبض له عضلات وجوههم حيناً ، وحيناً تنبسط .

لقد استطعت هذه الليلة ان اكشف اسماءهم . نجحت اذنباي المشرعان في النقاطا رغم حذرهم ، والرقابة الشديدة التي فرضوها على همساتهم .

ان كبيرهم الاشيب الصدين يدعى « عباس » . سمته وغموضه وسلطانه على زميليه دلالات ترجح انه « الزعيم » .

والثاني يدعى « بن خضير » وهو فتى في الخامسة والعشرين ، له شارب اسود انيق كجناح سنونوة ، وعينان نفاذتان يخيل اليك حين تقعان عليك - عرضا - انهما تخترقان عظمك ولحمك ودمك ، وتشيعان فيك مزيجا من الرعب ، والتهيب ، والاعجاب بالفتوة .

اما ثالثهم ... فيدعونه في تهايسهم « بلقاسم » . وهو افطس الانف قليلا حذر النظرات كالحدأة ، تتحرك كل عضلة فيه حين يتحرك لسانه ، وتكاد الحيوية تتدفق من اطرافه باحثه عن مسيل .

ان « بلقاسم » على ما يبدو لي هو اداة التنفيذ ، وعباس عقلها المخطط ، وبن خضير - برج المراقبة الذي يحدد للاداة لحظة الصفر .



— هي تقديرات يا الفونس ، اوحثها لك مظاهرهم ، فحرب ان تكتشف الحقيقة وراء هذه المظاهر . حاول ان تخرج السلحفاة من درعها العظيم . . . وتصنعت النعاس ، وارسلت دفعة من الشخير ، تكفي لافئاع جبراني بامكانية التحرر الجزئي من حذرهم ، ونجحت الخطة ، بعسد دقائق ، فاذا بابن خضير يخرج من جيبه احدى صحف الصباح ، وينشرها على المائدة ، ثم تتداني الرؤوس الثلاثة ، ويتخافت الهمس ، وتحوم الاصابع فوق صورة تنصدر الصحيفة .

اني اعرف جيدا هذه الصورة . لقد وقفت امامها في الصباح وتاملتها . . . وتاملت مخطط الجريمة ، وكيف وثب المجهولون على سيارة « بن قدور » وافرغوا في الصدر المسكين ثلاث رصاصات فقط ، وكيف سال دمه بعد ذلك ، في خط طويل متعرج تحت قوس النصر :

. . . واذن . . . لقد كانت شكوكي في محلها ، وصح حدسي ، فانا امام خلية ناشطة من خلايا الارهابيين الذين هددوا يوما بنقل الحرب من بلادهم الى ارض فرنسا ، خلية تستغل جو العريضة ، وضياح السكاري في الحانة ، لتضع في هذا الجو خطتها ، وعلى مرأى من شهود ثلاثة صم بكم ، مترعة بالنبيذ الرخيص

ما اشهى هذه الرقاب السمراء الفايزة معلقة على اعواد النخلة . وما اشهاها وهي في قبضة العدالة ، تشدها هذه القبضة فتتوس فيها الحياة شيئا فشيئا ، ثم تنطفئ بعد دهر طويل من العذاب المر . بل ما اشهاها الان مربوطة بخيط غير مرئي تعبت به اصابعي ، خيط يجر ، « الثمار اليانعة » الى مصيرها العادل ، ويجر ثمنها الى جيب . . . جيبى انا الشريد المتسكع الباحث بلا امل عن رغيغ شريف . . . ووثبت من زاويتي ، وفي راسي مخطط واضح لا قرب طريق ، يستطيع ان يضعني امام اقرب مركز من مراكز البوليس .

— ٥ —

بيني وبين مركز البوليس منعطف شارع . ان بضع عشرات من الخطى هي كل ما يفصلني عنه من مدى ، ولكن خطوي التزق المفد ، يتناقل فجأة ، وسبلا من السياط اللاسعة المجنونة ينهال على صدري ، ويكاد يصدني ، صاغرا ، الى الوراء .

— الى اين يا هذا ؟

— ارجوك اني ادعى الفونس

— كلا . . . انك واهم . فانت « شيء » . . . اتسمعي ؟ انت « شيء »

حقير قدر اسمه جاسوس .

— ولكنني فرنسي ، وولائي لفرنسا يفرض على العمل في سبيلها .

— ان ولاءك كإنسان يجب ان يكون للحرية وللإنسان ، ولا ولاء عليك لوطن ينصب نفسه عدوا لكليهما :

— يا للفظاعة : ومن قال لك هذا . . . ان . . .

— ارجوك . ان اسمي هو الفونس :

— ومن قال يا الفونس ان فرنسا هي عدوة الانسان والحرية ؟

— اسال الجزائر .

— ان فرنسا في الجزائر لا تحارب الحرية ، ولا تمتن الانسان ولكنها تحارب التمرد ، وتؤدب الخارجين على القانون وتحاول ان تمد فوقهم ظلال المدنية :

— اجاد انت فيما تقوله ؟ واذا كنت كذلك فمن الذي اعطى امتك هذه حق المولاية على الشعوب ؟ وهل ان ما كنت تراه هناك من « مآثر » جيوشها ، يمثل بعض مظاهر المدنية التي تريدون ان تفرضوها ؟

— . . . . .

— ما بالك تصمت ؟ امن تعاليم مدنيتكم تلك ، احراق الزرع ، وقتل الاطفال والشيوخ ، وتدمير القرى ؟ اهذا هو انجيلكم الذي تبشرون به هناك ؟

— ولكنها الحرب يا صاحبي !

— وما غاية هذه الحرب في عصر يسفه منطق الغزو ويثور على شرائعهمجية ؟

— ان فرنسا تعارب لانها تخشى ان تجوع اذا فقدت الجزائر .

— ولانها تخشى الجوع ، لا تتورع عن اكل لحوم الجزائريين . . . اليس كذلك ؟

— ولماذا تفرعني ؟ انا وحدي المسؤول عن سلوك فرنسا ؟

— كل واحد منا مسؤول عن هذا السلوك ، ثم ها انت ذا في الطريق الى البؤرة اللعينة ، الى الحما الذي تفرق هي فيه .

— ولكنني جائع . . . ولكنني جائع . . .

— واشباعا لجوعك تريد ان تنهش لحم عباس ، وبن خضير ، وبلقاسم ؟

— ولكنهم قتلوا اربابيون .

— انهم عدالة الشعب ، يكافئون بالقتل من يقتل شعبا بكامله .

— اترضى ان يمتنوا كرامة فرنسا في قلب عاصمتها ؟

— اترضى انت ان تمتن فرنسا كرامتهم كبشر في قلب بلادهم ؟

— لكم انت متعصب لهم . . . فلماذا لا تقتل واحد منهم .

— انا اتمتع بالحق ، لذلك لا تستغرب اذا ما رايتني في صف المدافعين عنه .

— ودمك . . . يبدو انه فسيلة من دمهم ؟

— نحن اخوة في الحرية ، واكاد اقول . . . وفي الدم ايضا ؟

— يا خبيث . . . لماذا تريد احرابي ؟

— ما ذنبي في ذلك ، وقد اخرجتك امك من قبل حين اشتتت ، ثم اخرجك ضميرك بعد ذلك وما يزال .

— ولكنني اكرهم واحقد عليهم فصدقني . . . اكرهم واحقد عليهم ، — تلك قشرة على سطح شعورك . . . بسطها الاضطهاد . . . ليفطي بها حقيقةك !

— اذا . . . فانا احبهم دون ان ادري ؟

— اجل . . . . .

— حسنا . . . اما زلت في نظرك ذلك « الشيء » القدر الحقيق الذي اسمه « جاسوس » ؟

— كلا . . . فانت الان الفونس : عد يا الفونس . . . ان الجوع والتشرد والحرمان . . . اخف وطأة على الضمير من ان تظعن في الظهر انسانا ينشد الحرية .

★

. . . وعدت اندراجي لاقف تحت الاضواء الملونة امام الجانة ، فاسند ظهري المتعب الى الجدار البارد ، وارنو ، بمحبة ، الى الثلاث الاسمر وهم يفادرون غار الليل العابق بالدفاء . . . وضباب الاحلام ، وانفاس السكاري .

وهوذا عباس بقامته المديدة ، ووجهه الصارم يقف على العتبة ليهمس في اذن رفيقيه كالعادة :

— الى اللقاء . . .

فتكمل ملامحه المبهرة ولا اتمالك نفسي فأكمل معه :

واتمنى لكما النجاح في المهمة . . .

احمد سويد

بيروت

# فصل الخطاب .. في الفرعونية !

بقلم علي بدور

ان السلطات تؤمن بالحرية ولا تشق احدًا يا صديقي لانها - في اعتقادي - تترك للزمن وحده صلاحية امتحان الافكار وانتخاب الصحيح منها . وانت لست الوحيد الذي يدعو للفرعونية بأكثر من اسلوب .. رغم وضوح رأي اكبر رأس في الدولة .. واقصد به سيادة الرئيس جمال عبد الناصر .. في مسألة الفرعونية . وانا لم استشهد به في ردي عليك لاعتقادي انه لم يحن الوقت لذلك .. اما الان والسلطات في رأيك تنصب المشائق فاني اريد ان أدلك على الطريق لنظمين الى ان السلطات لو كانت حقًا تنصب المشائق لكان قد سبفك اليها عشرات بل مئات من الذين يسئون الى القضية العربية من حيث يدرون ولا يدرون !! هل تريد أمثلة ؟

سأستشهد لك بفقرتين من خطاب سيادة الرئيس ، تعرض فيهما للفرعونية . مرة عندما كان في اللاذقية - آذار (مارس) ١٩٥٩ - فقد نعت الفرعونية بأنها دعوة استعمارية كان يروج لها الاستعمار البريطاني بقصد عزل مصر عن العالم العربي ، ولكن مصر ضربت الطوق الذي أحكمه حولها الاستعمار وعادت الى صف اخواتها العربيات للمساهمة في حمل مشعل القومية العربية .

ومرة ثانية قال من خطاب القاه مساء ٢٢ تموز ( يوليو ) ١٩٥٩ ، احتفالاً بالذكرى السابعة للثورة المظفرة : ( استطعنا نحن ان نرى القومية العربية .. نراها رايا سليما .. نرى القومية العربية التي حاول الاستعمار البريطاني منذ ان وصل الى بلادنا ان يبعثنا عنها . ويحاول الاستعمار ان يبت في انفسنا من الافكار ما يجعلنا نعتقد اننا لسنا عربا ولسنا جزءا من الامة العربية . استطعنا رغم هذه المحاولات التي استمرت - ٧٥ سنة - ان نرى الدعوة الفرعونية التي حاول الاستعمار ان يبثها بيننا ، ضمن الدعوات التي حاول ان يبثها ضمن الامة العربية - انما هي محاولة زائفة يحاول الاستعمار بها ان يحطم الامة العربية ليقتضي عليها جزءا جزءا ويقضي على العرب والقومية العربية لتحل محلها قوميات اخرى . استطعنا نحن ان نعرف مكاننا وان نعرف تاريخنا وشخصيتنا ونعرف اننا عرب ونعلن عروبتنا ، ونعلن في دستورنا اننا جزء من الامة العربية ونعود الى مكاننا الطبيعي الذي كنا فيه . )

هذا هو رأي سيادة الرئيس في الفرعونية ، وهو رأي قاطع في الفرعونية يدحض رأي كل من يقول ان مصر تدخل المجموعة العربية دون ان تفقد فرعونيتها ، وهو رأي مفكر قومي عربي أصيل وضع النقاط على الحروف بصدد الدعوات التي حاول الاستعمار ان يبثها ضمن الامة العربية في المنطقة ليقتضي عليها جزءا جزءا كالاشورية في العراق والفينيقية في لبنان ، والفرعونية في مصر . وسيادة الرئيس لو شاء لمنع الكلام في الفرعونية من اساسه . ولكنه يريد ان تنفس الفكرة العربية تنفسا طبيعيا وان تنمو نموا سليما .. وهي قادرة بذلك ان تحض كل الافكار الاستعمارية الاخرى . ذلك ان الذين يروجون للفرعونية لو عن حسن نية سمعوفون . وهانذا استشهد بفقرات

(\*) قبل ان ابدا حديثي اريد ان اجلو للسادة القراء نقطتين . اما النقطة الاولى فهي ان الاستاذ الصديق غالي شكري في رده المنشور بالعدد الماضي « فرعون من جديد - العدد الثالث صفحة ٦١ » قد اعتبر الكلام منتها من جهته . واني رغم موافقتي على هذا الرأي من ناحيته اعتقد ان الموضوع لو كان شخصيا بحثا لجاز الاتفاق على ذلك . ولكن الفكرة اكبر من كليتنا واعمق بكثير من مجرد مناقشة ورد عليها ، لانها تعني في اعتقادي قضية الوحدة بين الاقليمين والقومية العربية وتصفية الاجواء الفكرية من اثار الثقافات الاستعمارية التي غرسها الاستعمار في المنطقة ، كما تعني ايقاف الدجل الفكري عند حده وفتح صفحة جديدة من صفحات التفكير الحر والوعي الصحيح ، والارادة القوية التي ان امتت بفكرة مشيت الى الامام دون ان ترهب المشائق ولا غرف الفزاز ، لان حرية الفكر منحة من الله وليست من الانسان . وكل ظني ان صفحات مجلة الاداب - بالاذن من صاحب الاداب - ستبقى مفتوحة لكل من يريد ان يبدي رأيه في الموضوع سواء اكان مع العروبة ام مع الفرعونية ، او مع كليهما ، لاعتقادي ان العروبة والفرعونية لا تلتقيان .. وهذا عكس ما يراه الاستاذ غالي وما سوف تعرض له وشيكا !!

اما النقطة الثانية فهي قصة الاستشهاد بفقرة من خطاب ارسله له الصديق الاستاذ عدنان الداعوق يقول فيها ( ان مقالك هذا اثار من حولنا ضجة .. وقد كلف الاستاذ علي بدور بالرد عليك وارسل رده للاداب ) . والواقع انني في عجب اكثر من عجب الاستاذ غالي .. لاني اخبرت الاستاذ عدنان بقصة الرد وارسله للاداب ، وهذا كل ما في الامر بالتحديد القاطع . ولا ادري الان كيف جاءت كلمة التكليف هذه في رسالته ؟ هل يعتبر الحماسة للرد من قبله والتشجيع عليه تكليفا منه الي ؟ انني بكل تواضع اقبل هذا التفسير رغم وقعه المؤلم في النفس ! اما تفسير الاستاذ غالي للتكليف من انني لست صاحب الرد بالمرّة وسؤاله عن كلفني فارجو ان يتأكد ان الذي سوف يكلفني - حسب تفسيره - لم يخلق بعد .. ولن يخلق ما دمت حيا لان الله يحب ان يكثر السادة بين حملة الاقلام وليس العبيد !!

والان نبدا الحديث عن الفراعنة الذين يدافعون عن انفسهم .. وعن الفرعونية !!

يقول الاستاذ غالي انني بكل بساطة استعديت عليه بتهمة عديدة يكفي ان تنصب مشنقة لاقلاها . ولكن بكل يقظة وانتباه اقول له انني كمواطن عربي اؤمن بالوحدة العربية والقومية العربية لا اؤمن باي سلاح يشهر في وجه من حمل قلما يدافع به عن فكرته . وبوحي من هذا الايمان قرأت دفاعه عن محمد وكتبت ردي عليه ، وبوحي من هذا الايمان اقرا رده علي ( فرعون من جديد ) واكتب ردي على هذا الفرعون الظريف !!

(\*) يراجع في ذلك : ( دفاع عن محمد - الاداب - العدد ١٢/١٩٥٩ )  
( عندما تدافع الفرعونية عن محمد - الاداب - العدد ٢/١٩٦٠ ) و ( فرعون من جديد - الاداب - العدد ٣/١٩٦٠ )

واخبار تنشرها بعض صحف القاهرة ومجلاتها ، لو شاءت السلطات ان تحاسب كاتبها لوجدت مادة الجريمة الفكرية - ان صح التعبير - واضحة ولاستعانت بكلام السيد الرئيس في الفرعونية لوضع الانصبة والحدود في حق العابثين . ولكن السلطات لا تريد ان تحارب الفكرة بالعنف ، بل تريد ان تحارب الفكرة بالفكرة !

ان العبارات التي توشح صفحات اكثر المجلات والجرائد ب - اجداننا الفراعنة - كثيرة . واولئك الذين يحيون موات التماثيل كلما اقدمت الجمهورية العربية على مشروع حيوي ليصلوا حاضرا الجمهورية بماضيها الفرعوني .. هؤلاء ايضا كثيرون . فهذا سنوسرت الثالث اول ملك فرعوني شق قناة ينبيغي ان ينقل تماثله ليتربع على قاعدة تماثل ده لسبس في بور سعيد ( الاخبار ٢٢-١-٩٥٩ صفحة ٣ ) . وهذا اول ملك فرعوني بنى سدا ينبيغي ان تعرفه الاجيال الصاعدة في مناسبة بناء السد العالي ( صفحة الفلاف من مجلة المصور ) . وهذا امحنتب الذي حقق الاتحاد بين مصر والاقليم الشمالي لاول مرة في ٢٦ ايار ( مايو ) منذ ٢٤٠٠ سنة عندما وصلت جيوشه الى اراضي الاقليم الشمالي (الاهرام ٢٢-٥-٩٥٩ صفحة ٥) . وهذا رمسيس الثاني الذي حقق الوحدة عندما طرد الحثيين في معركة قادش ( اكثر الصحف والمجلات الصادرة في القاهرة .. ولاكثر من مرة في العام الواحد ! ) . وهذه جريدة ( وطني ) التي اتخذت الشعارات الفرعونية رمزا لها ، ولون العلم في مصر قبل الوحدة لونسا لشعارها . وهي الجريدة التي عناها الاستاذ محيي الدين محمد في مقاله المنشور في العدد الثالث عن النشاط الفكري في الاقليم الجنوبي ، هذه الجريدة تقول حتى الان كلاما مسموما في العرب والعروبة ولو من بعيد ، وكلاما في الفرعونية جد واضح فهي على لسان احد الكتاب فيها تقول ان الفرعونية اثرت في المسيحية والاسلام لانها منحتهم اهتمام الراهب والشيخ بالتعليم ، مثل ما كان يفعل الكهان الفراعنة ! وعلى لسان اخر تقول ان الجلوس في حلقات حول المدرس في الجوامع الاسلامية في مصر ، انما هو اختراع (مسروق) سجلته اول جامعة فرعونية في العالم ! وكذلك فان قرع الطبول للقرع ساعة خسوفه عادة فرعونية قديمة .. ليست معروفة الان الا في الاقليم الجنوبي - رغم انها معروفة - والقصد منها ان المجتمع في مصر لا يزال على عاداته الفرعونية !! واكثر من هذا .. ان الدكتور عبد الحميد يونس نشر كتابا صغيرا عن ( مجتمعا ) لخصته له جريدة المساء عام ١٩٥٩ يقول فيه بما معناه : ان المجتمع المصري وحده خالصة منفصلة عن سائر المجتمعات التي حولها لاربعة اسباب : الجبال المحاذية للبحر الاحمر وللصحراء الغربية - الصحراء - والنيل في وسطها - والشمس التي يصنع المواطنون صورها على الخبز ويلقي اليها الاطفال باسنانهم لتثبت من جديد . وسأترك للقراء التعليق على هذه الخصائص الفريدة التي تميز مجتمعا في هذا الزمان !! وكذلك ما قاله محرر العمود السياسي في ( الاخبار ) يوم زار امبراطور الحبشة القاهرة زيارة رسمية في اوائل صيف العام الماضي ، واصفا العلاقات بانها كانت « جد وطيدة بين الاقليم الجنوبي واثيوبيا ايام المصريين القدماء .. والحكام العرب .. والعصر الحديث » فعروبة مصر هي عروبة حكام لدى السيد السند الفهلوي وليست عروبة شعب بأكمله كما قال سيادة الرئيس اكثر من مرة . ولم تجد ( الاهرام ) من كلام تقوله - بعد الذي قالته عن امحنتب ورمسيس الثاني - في عيد الجيش اكثر من قولها بان جيشنا العربي هو استمرار لجيش عمره اربعة الاف سنة ( جيش الفراعين ) .. الخ ..

ان السلطات لا تشفق احدا يا صديقي الغالي فلا تخش على نفسك.

والحرية الفكرية - التي تصرخ مطالبا بها - في الجمهورية العربية المتحدة مباحة الى هذه الدرجة التي يراها كل ذي ضمير . ولا اعتقد انه يمكن لاية دولة تؤمن بمثل هذه الحرية الفكرية وادباء وصحفيين يتحدثون عن عروبة مصر والقومية العربية ويطعنونها من الخلف بمثل ما يتحدثون ويطعنون .. ويمجدون الفرعونية بمثل ما يمجدون رغم ما تنشره الصحف ويطلع عليه الناس كافة من آراء سيادة الرئيس في الفرعونية ودعاتها . ولكن الدولة تسمح بذلك كله كما قلت - فهي اعتقادي - لايمانها ان الفكرة القومية التي تنتشر هي الفكرة التي تنمو طبيعيا لا اعتسافا ولذلك ارجو من الصديق ان يطمئن .. لان الحرية الفكرية التي يطلبها موجودة ، واقواله التي يقولها هو وامثاله ، دليل هذه الحرية . ولو كان الكلام الذي قاله يستحق الشفق عليه ، وكانت السلطات تشفق احدا لكان من الواجب القومي ان يجد امامه مئة رقبة مدلاة على الاقل . ولكن الاقلام لا تشفق والافكار لا تشفق الا افكار مثلها .. ولكنها اقوى منها !!

فاذا كنت مناسفا لهذا الكلام الذي قلته انا عن الفرعونية وانصارها ، فانني كمواطن التزم باقوال سيادة رئيس جمهوريتنا في الفرعونية والداعمين لها والاستعمار الذي شجع عليها وحماها . ولن اقبل بغير هذا القول الواضح الصريح .. وهو حجة قاطعة على اي كلام اخر يمتدح الفرعونية ويعتبرها من العوامل الاساسية في بناء الوحدة بين مصر وسوريا بخاصة والوحدة الشاملة بعامة . لان الرئيس قال بان الفرعونية دعوة استعمارية كان يروج لها الاستعمار البريطاني بقصد عزل مصر عن اخواتها العربيات . ولا يمكن لنا ان نصدق كلاما اخر يقوله اي انسان

من ان الفرعونية تدعم الوحدة بعد ان كان الرئيس قد قال انها دعوة استعمارية يقصد بها عزل مصر عن شقيقاتها . ولا اعتقد ان دعوة تعزل مصر عن شقيقاتها كما يقول الرئيس ، يمكن لها ان تدعم الوحدة بفتوحاتها الامبراطورية القديمة كما يقول دعاة الفرعونية !!

واذا كان يحق للسادة المدافعين عن الفرعونية ان يتأثروا .. فماذا نقول نحن المؤمنين بالعروبة لبعض حملة الاقلام اولئك الذين يريدون ان يكونوا اساتذة قوميين في الفكرة القومية وهم اجهل الجهلاء . انهم يحدثوننا عن امحنتب الذي حقق الاتحاد وعن رمسيس الثاني الذي حقق الوحدة ... ومثله هراء كثير يستوي وما يقوله اعداء القومية العربية والوحدة من حملة الفكرة الشيوعية او الناديين بالاقليمية الضيقة او الطائفية البغيضة في اي بلد عربي ضد عروبة الجمهورية المتحدة ، متخذين ما تنشره صحف معروفة عن الفرعونية وسيلة الدس على القومية العربية ودرعها الجمهورية العربية المتحدة حاضرا ومستقبلا . ولكن عزاءنا الوحيد ان هؤلاء المنحرفين قوميا ، قلة وانهم لا يمثلون وجه مصر العربي باي حال من الاحوال ولا تلقى دعوتهم اذنا صاغية ، وان كانوا يسيئون للقضية العربية لتناسيهم ان الوحدة بين الاقليمين ليست استمرارا لوحدة الفتح والضم في التاريخ القديم ، ولان العروبة عندما صبغت المنطقة بالصبغة العربية ، وضعت على رف التاريخ القديم ، كل امجاد الفراعين ، وكل خيلاء الفينيقيين ، وكل غرور اشور ، ودفتت الى الابد عربة رمسيس الثاني في الرمال !! وما دام هؤلاء الذين ينادون بالفرعونية لا يمثلون وجه مصر العربي ، فان مصر العربية لا تعترف بامجاد اي فراعون من امحنتب الى رمسيس الثاني .

بعد هذا كله سوف ارد على الفقرات التي ذيل بها الاستاذ الصديق غالي شكري مقاله عن الفرعونية الى المجلة الانجليزية اياها !!

■ هنالك فرق كبير بين الاسلام والعرب . كما ان هنالك فرقا كبيرا

بين ان تدخل اللغة العربية مصر بواسطة العرب كعرب .. وبين ان تدخل بواسطة المسلمين .. ولو كان جميعهم عربا .. او كان اكثرهم من العرب لان العروبة فكرة والاسلام دين . تستمد هذه الفكرة مقوماتها من الحياة الاجتماعية واللغة والتاريخ في التطور العام . وليس للعروبة دين معين . ولكن لها لغة واحدة هي اللغة العربية التي كان يتكلمها العرب قبل الاسلام ونزل بها كلام الله على نبيه العربي .. فلما انتشر الدين الاسلامي انتشرت اللغة العربية . فمن تكلم هذه اللغة العربية ولو لم يكن مسلما واعتبرها معبرة عن احساسه ووجدانه ، واندمج في الحياة الجديدة التي انطبعت بالطابع العربي بعاداتها وتقاليدها ومقومات حضارتها وتراث فكرها الاصيل ، اضحى عربيا بمقومات وجوده الانساني اولا ، وبمقومات وجوده القومي ثانيا ، وبمقومات وجوده الوطني ثالثا . فهو انسان عربي تجاه العالم . وهو قومي عربي تجاه الامة . وهو عربي وطني تجاه الدولة . لان العروبة لا تقوم على الدم اذ يستوى لديها اثنان احدهما عربي بدمه والاخر عربي بوجوده .

والفكرة الاساسية التي اريد ان اقولها الان كما قلتها من قبل هي ان المسلمين الذين دخلوا مصر لم يكونوا جيشا فاتحا بقدر ما كانوا جيشا من الدعاة للدين الجديد استوطن افراده البلد ونشروا لغتهم وعاشوا في تالف مع اخوانهم الاقباط ، وطبعوا البلد بطابعهم العربي دون اكراه او ضغط . وهذا ما حصل في المنطقة العربية كلها . والا فكيف يتكلم اخواننا الاقباط اللغة العربية فيما بينهم وفي كنائسهم دون ان يدخلوا الاسلام اذا لم يكن التمازج هادئا بغير عنف ولا اكراه .. وهلا حصل مثل هذا التمازج في تاريخ الشعوب والدول بين حبشي فاتح غاز وشعب يقاوم الغزاة الفاتحين ؟ لعل الاستاذ غالي يذكر مثالا واحدا ؟ وهؤلاء الانجليز ظلوا اربعماية سنة في الهند دون ان يستطيعوا فرض لغتهم على الشعب يتكلمها في حياته اليومية ومعابده الروحية . كما انه ليس في التاريخ العام نص واحد يدل على انه كان لمصر وقت فهاب المسلمين اليها شخصية دولة او كيان حضاري واضح . ذلك انه بين تقسّوض الفرعونية لآخر مرة كدولة على يد الفرس ، وبين ذهاب المسلمين ، قرابة الف عام ساد فيها الرومان واليونان . والمسلمون اذا كانوا قد حاربوا فانما قد حاربوا بقايا اليونان والرومان . فلما جاءوا كانوا يحملون فكرة عن الدين وفكرة عن الدولة . الدولة لاقامة العدل .. والدين دين الدلة . فمن شاء ان يبقى على دينه دفع الجزية ومن دخل الاسلام اعفى منها . ولا اعتقد ان هذا الحل مناف للعدل ليس في ذلك الزمان .. بل في ظل دولة دينية . فلو كانت المسيحية دين شعب خاص فسي البداية ، ودين دولة ما فيما بعد ، نهجت نفس النهج ولا اريد ان اذكر بعض لحظات التعصب عندما اجبروا مسلمي اسبانيا على التنصر فمن ابي سافوه الى النار !

هذه هي الخطوط العريضة للعروبة والاسلام . فالعروبة الان فكرة الشعب العربي بين المحيط والخليج .. عناصر هذه الفكرة ، وحدة التاريخ العربي - وليس تاريخ العرب قطعا - ووحدة الفكر العربي، ووحدة العاطفة والمشاعر ووحدة الماضي والحاضر والمستقبل . اما الدين فان المسيحية والاسلام معا ، دينان لامة العرب . والجمهورية العربية المتحدة كدولة لم تنص في دستورها الوقت الحالي على دين معين ليكون دينا للدولة ، رغم وجود دول تقدمية جدا في اوربا وامريكا لا تزال تنص على دين معين للدولة . والجمهورية العربية المتحدة دولة من نبت القومية العربية فكرة لا تقوم على عنصرية معينة ، ولا طائفية

معينة كما قال سيادة الرئيس في حديثه لاعضاء الاتحاد القومي بالاذنية خلال زيارته الاخيرة لها .

■ انك لا تزال حتى الان تعتبر ان حياة الدكتور الصديق نظمي لوقا ، قصة . وهذا في رأيي من العجائب - ولعله في رأي الدكتور لوقا ايضا . ؟ - فلو فرضنا انها قصة حقيقية اولا قد اكتملت عناصرها الفنية ، فهل يحق لاي كاتب في العالم ان يدرس هذه القصة دراسة اخناتونية على طريقتك ، لتصل ببطل القصة الشيخ المسلم والتلميذ الصغير الطالب القبطي الى ابي التوحيد اخناتون ؟ هل هذه دراسة نقدية للقصة رغم انها قصة .. ام انها دراسة فرعونية يا صديقي ؟ وهل التحابب والتآلف بين الدينين المسيحي والاسلامي ، كما يعترف به القرآن الكريم والسادة علماء المسيحية والاسلام - واعفنا من العنفات - هو تحابب وتآلف مفتعل ؟ وهل ينبغي ان يكون حب المسلم وحب القبطي في مصر نابعا من صلب اخناتون كي تؤمن انه حب حقيقي ؟ اليس في ذلك اساءة لكل مسيحي يحب مسلما لم يتحدر من صلب اخناتون في هذا العالم .. ولكل مسلم يحب مسيحيا لم يحظ بمثل هذا الشرف العنصري الذي اسبغته على الشيخ المسكين وتلميذه الدكتور نظمي لوقا ؟ اما رايت بان الناقد قد يوافق على تفسير الكاتب او العكس .. فان هذا يصح في قصة .. اما في حياة ، فانه يتوقف على رأي الكاتب ايضا ، بان يقول هل هو موافق على تفسير الناقد .. وخصوصا اذا كان هنا التفسير ، يقصد به اشياء غريبة ، مريبة ، تبطل الغاية من الكتاب وتعتلها .

■ تهمني بصياغة ارائك صياغة مفككة ركيكة . حسنا . انني ارجو من السادة القراء ان يرجعوا لمقالك (دفاع عن محمد - الاداب - كانون الاول ١٩٥٩ - صفحة ١٩ ) لانني على ثقة من انهم سوف يجدون الكثير مما تستحق عليه مناقشة اكثر طولا .. واكثر الحاحا لظهار الحقيقة .

والان فاني اعتقد انه بات على الصديق الدكتور نظمي لوقا ، ابداء رايه في تحليلك لكتابه ، لايماني انه لا يوافقك على كل ما جاء فيه ، لسبب بسيط هو ان وزارة التربية والتعليم قد تبنت الكتاب تقريبا واشترت منه الوف النسخ ، وقدم له سيادة وزير التربية والتعليم المركزي . ولا اظن ان الوزارة بله سيادة الوزير ، يقبل ان يقدم لكتاب ويامر بشراء هذه الالوف منه ، وهو لو فسر حسب طريقتك ، لظهر من الدعاية للفرعونية بما لم يخطر على ذهن بشر . وسيادة الوزير الذي يعرف راي سيادة الرئيس في الفرعونية قبلنا جميعا ، لا يمكن ان يقبل ان يكون في هذا الكتاب - اذا ظل صاحبه صامتا - من العناصر التي تدفع كاتبها لان يشتم العرب والعروبة ويظهر الاسلام بمظهر الدخيل على مصر ويضع العرب الى جانب الغزاة الذين غزوا مصر كالترك والانجليز ! فاذا كان الدكتور لوقا لا يريد ان يتدخل في هذه المناقشة ، فانه من واجب الوزارة ان تساله تفسيرا صحيحا ورايا قاطعا يبعد به عن كتابه الشبهات ، وانني لملى ثقة من ان الوزارة ستفعل ذلك . وهذا كله يبدو ضروريا قبل كتابة الكتاب الثاني ( دفاع عن محمد ) ، لانه من الامتحان للفكر الحر والقصائد السليمة ان تؤلف الكتب عن الرسائل السماوية وانبيائها ، لتفسر هذا التفسير الفرعوني .. الذي يسيء لكل فكرة نبيلة ورسالة سماوية سامية .

■ اما سوء التفاهم بيني وبين اخناتون ، فهو ليس سوء تفاهم بيني وبينك مثلا لا سمح الله ، ذلك انني احترم كل الحضارات القديمة وكل ثقافتها وكل آثارها ، ان كان ثمة ثقافات واثار ، لانها ملك عام للانسانية كلها ولكن عندما يحاول احد ان يتعدى حدود المنطق الصحيح ليدخل على

ولو درسنا الآن بشيء من الدقة ، تطور الحضارات القديمة التي انتهت في المنطقة ومحاولة الاستعمار بعثها من مراقدها وتقييمها على اسس عنصري وعزل العرب كشعب في جزيرتهم ، ومحاربة اللغة العربية محاربة لا هودة فيها بجعلها لغة ثانية او عدم تدريسها بالمرّة وطمس التاريخ العربي في المنطقة واحياء التواريخ القديمة وتدريسها بالتوسع الملموس واستنباط قيم فنية وادبية وروحية منها بقصد تدعيم العزلة، اقول لو درسنا ذلك كله لتبين لنا الطريق الذي اعده الاستعمار للعرب والعروبة .

فما هو موقف الامة العربية وشعبها العربي من هذه التيارات كلها ؟ هل تقبل ما شجع عليه الاستعمار واقامه من بناء فكري في ربوعها ، ام تقومه حسب مفهومها الخاص للثقافة والافكار والحضارات ، وخطط الاستعمار الرهيبة ؟

ذلك ان العرب كشعب ، والعروبة كقضية ، وحدث هذه المنطقة من محيطها الى خليجها .. رغم اساءة بعض الحكام الضالعين مع الاستعمار التركي والانجليزي والفرنسي والاطالي ، فان ذلك كله لم يمنع سكان المنطقة في اكريتهم من التمسك بمقومات حياتهم العربية وثقافتهم العربية وامالهم لخير العروبة .. وان ما يردده الاستعمار ويقوله الاعوان عن اللغة العربية ، هو كلام رخيص ، لانه لا يستطيع شعب في العالم ان يستغني عن لغة يتكلمها اذا قام فيه من يقول ان اللغة ليست من مقومات بناء الامم . لان اللغة اذا اتحدت مع التاريخ فانها تقو قوة لا تقهر . واللغة العربية والتاريخ العربي في المنطقة هما جناحا القومية العربية التي يناهز بها العرب اليوم ضد التجزئة والحدود السياسية التي اقامها الاستعمار ، وضد الحضارات القديمة عندما ارادها الاستعمار استمرارا لتطورنا الحديث مقابل طمس الفترة العربية الطويلة التي تعد بدايا جديدا لحياة شعب المنطقة من المحيط الى الخليج .

والصديق الاستاذ غالي شكري يقول ان الفرعونية في مصر كانت دعوة وطنية ضد الاتراك . وهذا رأي جديد لم يقله احد من المؤرخين . لان بداية دراسة التاريخ القديم لمصر تمت على يدي بعثة نابليون . وزادت حمى البحث عن الآثار في ايام محمد علي الى ان احتل الانجليز مصر . فلما تم لهم ما ارادوا بدأوا يروجون لهذه الآثار في ادمغة الجيل كله.. ولعل الاستاذ غالي لا يجهل ان دنلوب هو اول مخطط لفرعنة مصر - لا بقصد انتفاضها على الانجليز - بل لفصلها عن البلاد العربية وازهاق العروبة في مصر بمظهر الفازية ، بالاضافة الى ما اعتمده من برامج تسحق الشخصية وتبليدها وتقضي على حرية الفرد وحرية امته . وهذا هو سيادة الرئيس جمال عبد الناصر يخطب في ١٧ يوليو ( تموز ) ١٩٥٣ بمعسكر الطلبة في مرسى مطروح فيقول : ( اننا الان لا نعتقد اننا قمنا بنهضة او اننا قمنا بثورة فما زالت تعاليم دنلوب متغلغلة في التعليم ، وسياسته متفشية في بيئاتنا الثقافية ) . فما هي تعاليم دنلوب وسياسته با صديقي ؟ ليست بعث الفرعونية من مراقدها ، وفرض ابطالها وقيمتها - ان كان ثمة قيم - على الشعب، مقابل طمس عروبة مصر واصالة مصر العربية ببضعة فاتحين وبضعة معارك وبعبارة ركبها رمسيس الثاني ذات يوم ! ان مصر لم تستقل لانها كانت تنادي بالفرعونية ضد الاتراك كدعوة رومانية ، او ضد الانجليز كدعوة قومية تعني ان مصر للمصريين ، كما تقول !! ان مصر استقلت استقلالاً حقيقياً عندما وجدت طريقها نحو العروبة .. فلو ظلت ثورة مصر ثورة مصرية بحتة ، لما استطاعت ان تنتصر على الانجليز بهذه المدة.. لقد انتصرت على الاستعمار عندما عسرف

تاريخنا العربي حضارات انتهت ويصلنا بمن ذهبوا الى غير رجعة فاني استطع ان اقول في هذا الوقت للمؤرخين : كفى ! لان رمسيس وامنحتب وسنوسرت واخناتون .. و.. و ، كلهم يمكن ان ندرسهم على انهم يمثلون جزءا من تاريخ الشرق القديم وهذا ما ستسير عليه وزارة التربية في برامجها التاريخية الجديدة . ولكن عندما تشرع الاقلام المسمومة والايدي المشلولة لتبث الحياة في الجثث المحنطة وتزييف حياة شعب بأكمله ، وتسيء الى قضية عربية تخوض معركتها ضد الاستعمار والتبعية وانصار التجزئة والاقليمية والامبراطوريات المقرضة ، فانه يغدو واجبا على جميع العرب ، ان يوقفوا هذا الزحف الخبيء الذي يسم حياة الملايين من اجيالنا العربية ، لانه يفرض عليها ماضيا فارغا قد تلاشى ، لا حياة فيه، ويحقق حلما من احلام الاستعمار واحلام دنلوب في ان تكون مصر فرعونية لا عربية . هذه هي قصة الخصام مع اخناتون ، فلماذا لا تتركون الراقيدين في مراقدهم دون ان تنشروا جثثهم على الناس . آمنوا بتاريخ مصر العربي اولا ، وتحذثوا عنه واستلهموا ابطاله وعباقرته ، ثم تحدثوا عن اخناتون وابي الهول ، وخوف ومنقرع وسنوسرت كما تشاؤون . اما ان تبدأوا من المؤخرة لتطمسوا المقدمة فهذا الذي نحارب ما حيننا . اليس عجيبا ان يستشهد انصار الفرعونية بمعركة قادش التي انتصر فيها رمسيس الثاني ، ويجيوش امنحتب التي وصلت الى اراضي الاقليم الشمالي ، وان لا يتحدث واحد منهم ولو مرة واحدة عن معركة حطين او معركة عين جالوت . مع العلم ان سيادة الرئيس عندما كان يتحدث عن وحدة الماضي لم يكن يرجع لاكثر من التاريخ العربي في المنطقة ، فاذا جاء دور المعارك استشهد بحطين وعين جالوت فحسب !!

والان تعال نناقش في مقالتي الاخير الذي بعثت به لمجلة نيو ستيتسمان البريطانية . وخلصته انك تؤرخ حركة النضال ضد الاتراك وضد الانجليز بالدعوة للفرعونية .. وان مصر لم تفقد جنسيتها عندما آمنت بالعروبة لانها اضافت اليها غنى جديدا .. وتسالني هل يمكن ان يكون قائل هذه الكلمات تلميذا لدنلوب ؟ وجوابي على هذا كله ليس لك فقط بل للسادة القراء ايضا ، لانني لن اناقش الفرعونية الان .. بل سأتارك ذلك للسطور الاخيرة !!

ان الروح العربية ظاهرة في البلاد العربية بنسب واحدة رغم الاستعمار التركي والاستعمار البريطاني الفرنسي الايطالي . وهي لا تتصل بالدم مثل ما تتصل بالمقومات الفكرية والعاطفية ووحدة الماضي والام الحاضر وتحفزه وآمال المستقبل كلها . والمتبع لخطط الاستعمار يجد انها كانت متشابهة في المنطقة ، فقد وجه بعثاته ومؤرخيه وعلماءه الى دراسة الشعب العربي في المنطقة على اساسين :

١ - اساس عنصري يعود بالعرب الى جزيرتهم

٢ - اساس حضاري يهدف الى كشف تاريخ المنطقة القديم وبعث امجاده وفرضها على الاجيال الجديدة لتكون هذه الامجاد القديمة ، بمثابة قوميات تدعم الحدود السياسية التي اقامها او التي سوف يقيمها بين ارجاء الوطن العربي الواحد . فكانت الدعوة للفرعونية في مصر .. والدعوة الاسرائيلية في فلسطين ، والدعوة للسورية القومية في سوريا ولبنان . والدعوة للاشورية في العراق وللبربية في المغرب ، بقصد اظهار الحياة العربية بمظهر الحياة الدخيلة واللغة العربية ، لغة غزاة مستعمرين بالاضافة الى تشجيع الدعوات العنصرية في المنطقة والحديث عن الدم العربي والدم غير العربي... وبذلك استطاع الاستعمار الى حد ما ان يبني قواعده الامامية للهجوم على استقلال هذه الشعوب وحريتها .

الاجانب فحسب دون ان يكون له من المفاخر التي يعتز بها ويجعلها من اسس تماسك الشخصية القومية عندما يلتحم التاريخ الحي باللغة العبرية . فلما قامت ثورة مصر عام ١٩٥٢ وتطورت ، عادت بمصر الى جادة العروبة ، فارتبط النضال بالنضال وتقوضت خطط الاستعمار في الداخل والخارج فكان الجلاء وكان الاستقلال ولما كان هذا الاستقلال يعني تحطيم الحدود والسدود ، التفت الموجة التحررية المنبعثة من سوريا بالموجة التحررية المنبعثة من مصر التقاء حرا كريما فكانت الجمهورية العربية المتحدة في ظلال علم الوحدة والقومية العربية ورئاسة قيادة جمال عبد الناصر المخلصة .

وما يقال الان عن الفرعونية وينشر في الصحف المحلية والاجنبية من ان مصر لم تفقد جنسيتها الفرعونية عندما نادت بالعروبة لانها زادت من ساحة مسؤوليتها واهتمامها ، فهو كلام يحتاج الى مراجعة عميقة ، لان الفكرة القائلة بان الشعب المصري وحدة متماسكة رغم اليونان والرومان والعرب ورغم اليهودية والمسيحية والاسلام . انما هو كلام خرافة لا يصدقه تلامذة رياض الاطفال .. وان كانت الحقيقة المعروفة هي ان مصر مصران : مصر القديمة التي اذاب شخصيتها الفرس واليونان والرومان ، ومصر الجديدة التي كونت العروبة شخصيتها . وليس بينهما من اتصال سوى الارض . وكل كلام يقال سوى ذلك يبقى موضع شك الى ان يقبله العقل والمنطق السليم . لان تاريخ العرب القومي هو امتداد العرب وتفاعلهم ضمن حدود الزمان والمكان . فالكان بين المحيط والخليج ، والزمان منذ بدأ سكان المنطقة يتكلمون اللغة العربية ويعيشون تاريخ الامة العربية بين المحيط والخليج . واذا كانت الارض العربية من المحيط الى الخليج قد كانت في التاريخ القديم ، في بعض اجزاء منها ، مسرحا لحركة تفاعل ادتها شعوب اخرى ليس منها الشعب العربي ، وتمثلت في حضارات متنوعة ليس منها الحضارة العربية ، فان الامة العربية بوجودها الحي قد وضعت على رف التاريخ القديم سير كل هذه الشعوب المنقرضة بتواريخها ولغاتها الميته وعاداتها الاجتماعية التي لم يعد احد يتبناها او يعرفها بعد ان حلت محلها اللغة العربية والعادات العربية والحياة العربية . فتاريخ المنطقة كله اذن تاريخان : تاريخ قديم متنافر مختلف ليس للعروبة علاقة به على الاطلاق ، وتاريخ حديث حي هو تاريخ الامة العربية من محيطها الى خليجها ، فيه مقومات الوحدة الشاملة ليس بين قطرين عربيين كمصر وسوريا فحسب ، بل بين سائر الاقطار العربية .

ومصر العربية - وليست مصر الفرعونية - قد وجدت طريقها العربي الصحيح . وهي لم تفقد جنسيتها الفرعونية - كما يقول المحرر البريطاني معبرا بذلك عن اسف حكومته لضياح ما عملت له طيلة امد الاحتلال - لانها لم تكن لها هذه الجنسية الفرعونية اصلا . وهي لم تدخل ساحة الامة العربية مضيئة الى جنسيتها الفرعونية غنى جديدا كما يقول الاستاذ الصديق غالي شكري ، بل لانها وجدت طريقها الصحيح كما عبر بذلك سيادة الرئيس في الالذقية عام ١٩٥٩ عندما نعت الفرعونية بانها دعوة استعمارية كان يروج لها الاستعمار البريطاني يقصد عزل مصر من العالم العربي ، ولكن مصر مزقت الطوق الذي احكمه حولها الاستعمار ، وعادت الى صف اخواتها العربيات للمساهمة في حمل مشعل القومية العربية .

فاهلا بمصر العربية في ساحة النضال العربي الاصيل  
واهلا بالاقليم الجنوبي في ساحة الجمهورية العربية المتحدة تحت  
راية القومية العربية : رسالة الوحدة والقوة والبناء .

علي بنور

حمص

الاستعمار ان مصر لم تعد وحدها .. لقد اضحت العالم العربي كله .. ذات فيه ، وذاب فيها . فقد اضحى لاستقلال كل قطر عربي استقلالا حقيقيا ان تخلص قيادته لفكرة العروبة وان يصحى شعبه في سبيلها وان يرتبط النضال فيه بنضال سائر اقطار الامة العربية . فالاستعمار اقوى من كل قطر عربي على حدة ، ولكنه اضعف منها اذا اجتمعت . وثورة الجزائر خير دليل على اخلاص القيادة واخلاص الشعب وتكاتف سائر اقطار العروبة لنصرتها . وستنتصر !

ان جريمة الاستعمار ليست هينة لانه المسؤول عن بليلة الثقافة القومية في مصر وعن ضياع الجيل بأكمله . لقد فرض على الجيل ابطلا لا يحس بهم ولا بلغتهم ولا بمشاعرهم .. وانساه كل ابطاله العرب الذين عاشوا وولدوا في مصر او عاشوا وولدوا في سائر البلاد العربية ، وصور له اللغة العربية بصورة كلمات تنقصها الحياة ، اذ تنطقها الافواه فلا تحس القلوب بوهجها ولا العقول بومضها ، وقام من يدعو الى اللهجة العامية - واسمها لغة !! - او كتابة العربية بأحرف جديدة ممسوخة او بأحرف لاتينية صرفة ، وملئت ادمغة الجيل بمعلومات تاريخية وادبية وفنية مستمدة من التاريخ الفرعوني لا يقصد منها اكثر من محاربة العرب والعروبة وعزل مصر نهائيا عن العرب والعروبة ، واضحى الشعب العربي في مصر يوشك ان يتعرف الى شخصيته وهي مرسومة على وجوه السياح



# الحقيقة الواقعة

بريجه لك  
و. كولي سكي

فينزع بها كثيرًا من  
الافكار والمعلومات  
السائرة في عصرنا

نشر: دار الشرق الجديد - بيروت  
توزيع: الشركة العربية للتوزيع

٧٥  
مصر



# هزيرة صغيرة .. الى اخوتي ماريه

عزيزتي

اواه كم اود ان اراك ، ان تضمني  
عينك ، ان اعود  
على جيبني تعب السفر  
وفي يدي بعض ما جنيت من  
مجاهل الوجود  
اواه لو تكون لي هنيهة  
من الامان والظفر  
احملها اليك .. لو تكون لي  
هنية املكها ، اجعل من لهيبها  
ما تطلب الحبيبة السمحاء من حبيبها

عزيزتي

ماذا اقول يا عزيزتي  
هنيتها الصديقة المعطاء ما تزال  
قصائد الرحيل والفراق والامان  
والنضال  
احسها تأخذ ما خبأته  
تمنحه لعابر السبيل .. للرمال  
لساقط على الطريق كان دائم السفر  
يجول - مثلما اجول - باحثا عن  
التخيل  
في الرمال ، والمحار في البحار ،  
والظلال  
في الحدائق القصية اليانعة الثمر  
يجول - مثلما اجول - باحثا عن  
الخطر .

اواه كم اود ان اراك ، ان تضمني  
عينك ، ان اعود  
وفي يدي بعض ما جنيت من مجاهل  
الوجود  
هدية صغيرة لقلبك الودود  
لكنني اخاف يا عزيزتي  
الا يكون لي الهنيهة الخلاقة .. الكبيرة

التي اردتها التي جمعت فيها كل  
روعة الخلود

فمعهذه

لاني على سفر  
دربي البحار والقفار والمرافىء التي  
تعيش في تمرد على القدر  
واخوتي المصابرون كل زادهم  
في رحلة البقاء ، كل ما يحيلهم  
اقوى من الجفاف والغبار والرياح  
والهزال  
شوق الى الحياة والفتوح والظفر

عزيزتي

معهذه والف معهذه  
فربما تلفني الرمال  
وربما اكون من « ذبائح » البحر  
لاننا في كل يوم نطلق الشراع  
الى المجاهل البعيدة التي ..  
لا تعرف الشمس ولا القمر  
لنقطف المحار  
من المهاوي الصاخبات والشعاب والحفر  
نفوس .. نضرب الشباك ثم نجمع  
الشباك  
وليس فيها غير شيء من طحالب  
القرار

والفراغ والضجر  
وعندما يهاجم القرصان مركبا  
من المراكب المهشمت السائرات في  
العواصف  
المصمات ان نعود ، ان تكابر الهلاك  
نهاجم  
وليس في جفوننا سوى السهر  
وليس في قلوبنا سوى الصمود  
حتى تكل اذرع الرجال ، والمراكب .

المزقات تستكين في قرارة الدمار .

عزيزتي

اواه كم نحب .. كم نحن للقاء  
والصفاء والصغار والسمير  
وكم نود ان نعيش دونما سفر  
لكن في عروقنا  
شيئا من الحياة يكره الخور  
شيئا نحسه اشد قوة من القدر  
هو الامان عندما نخاف ، والطعام ..  
عندما نجوع والسلام عندما نداهم  
الخطر

عزيزتي

رحلتنا طويلة وزادنا قليل  
ودربنا تعج بالغبار والصراع  
وكم يموت صاحب منا بلا وداغ  
على مفازة الرحيل  
وصاحب وصاحب  
حتى يظل من جموعنا نفر  
وعندما نخوننا حرارة الرجاء  
وتقرب النجوم من مسالك السماء  
وتزحم المصائب  
كواهلا مثقلة ارفعها الحياء  
يهب في عروقنا الشيء الذي نحسه  
اقوى من الفرار والضجر .

عزيزتي

اواه كم اود ان اراك ان تضمني  
عينك ، ان اعود  
وفي يدي بعض ما جنيت من مجاهل  
الوجود  
هدية صغيرة لقلبك الودود

ناجي علوش

الكويت



## لسان جون بيرس

### تقديم هاني صعب

و « اناباز » Anabase ، و « مغنى »  
Exil و « رباح » ents اخيرا (أمير)  
Amers ، تتحدى تلك الايدي التي

نخاصرت يوما ، لتمعق سبع اخوات لها في قمطها . وتغر على رخامة  
العين مر عثكولة من الاضواء يثقلها غبار الاساطير .  
اخاله قد وفى نذره . بينما اولئك المخربون يلهمهم النسيان ليذر  
في احداهم غبار الكناسات .

خمس قلاند ، تجمعها الكلمة السلطانه ، والصورة الشده ، والنبرة  
الملحمية الفخمة، بطريقة تخالف مجهودة الشعر الفرنسي خاصة والعالي عامة .  
يقولون ان « ر.ب. دوس » وهو عالم نباتي مرموق وصديق عائلته  
في جواديلوب ، كان له بعض التأثير عليه في طفولته . وان احد اساتذته  
من تلامذة الجيولوجي « ادوار سويس » الذي ينتمي ادرسة العلماء  
الرومانتيين التي تغلب احيانا الحدس والرؤية الفنية على الحقيقة  
الاختبارية ، كان يستأثر باصفائه في « بوردو » . وان العصور الصينية  
القديمة ، قد غزت خياله الى ابعد حد . وان تلك الثبرة العظيمة تشير  
في البال نبرة التوراة ، وكتاب الاموات للمصريين القدماء . ولكن ما من  
راي يقطع . لقد هضم بيرس افنديته بشكل عجب . واي مدد يمكن ان  
يصادف عنده ، فمن الصعب ان يهتدي الى منبعه .  
تحديد واحد صح ، وكان في النسق ، هو التجانس القريب نوعا  
في سبك الشعر بينه وبين « بول كلوديل » الشخص الذي كان يعجب  
به ويجله . تجانس لم يطمح ليكون طابعا .

ان طابع بيرس نسيج وحده . خاصته الكبرى لا تقتصر على طينة  
الفصيدة وصورها ولقاها وحسب . بل تنزع الى عطاء في حالة الصفاء ،  
او اشبه ما يكون بلهجة نبوية نكس ابعاد من معناها المباشر .  
يميزه كذلك ، استعمال حروف العطف في اول القصيدة ، والتعجب ،  
والندبة ، والنداء ، والاضمار ، والامر ، والمجهول والضمائر الحيادية .  
وتغير صفة التكلم في وسط الوصلة الشعرية . مما يزيد في سرعه ومد  
نفس القصيدة وحياتها .

انها الذي يبعث على الدهش حقا . هو ان يكون هذا الضرب من الشعر ،  
برغم من صعوبة مادته التي تتخنها الغرابية والرموز الخفية ، صالحا  
للترجمة . حتى انه قد نقل الى معظم لغات العالم الحية ، دون ان يفقد  
روحه ، او ان يوقع ناقله في عدم الامانة او في عقبات لا تذلل ، باعتراف  
ناقله انفسهم . وانني بعد ان قمت بهذه التجربة ، لاضم صوتي اليهم  
محاربا بهذا الاعتراف .

على ان ذلك ، ليس من قبيل الصدفة . فسان - جون بيرس يستعمل  
لغة صافية غنية مليئة بالصور ، تظل وان جردت من عبايتها المحلية ،  
محفوظة بفضل تلك الصور ، بسيطرتها وترفعها عن ان تنزل في نزلات  
النثر بالذات .

# ملاح

تزين عمارة الشعر العالمي المعاصر ، اطلالة ماردة ، متوحدة ابدا ،  
وغائبة ابدا ، تنقل الى الناس بصوت مقنع ، وبإيماء شبه مضادة ،  
ايقاعات كبرى من الطبيعة والنفس والتاريخ ، ملأ بالقوة والاسرار .  
هذه الاطلالة الماردة ، التي تشل الحرف على الكون وكأنه منتزع من  
حنجرة جرس في واد سحيق . هذه الايقاعات الكبرى بل هذه الملحمة  
الرجبة لانها لم ترض بسوى الكون جميعه موضوعا لها ، انما هي لشاعر  
فرنسا الكبير سان جون بيرس .

ولد « ماري - رنيه ، الكسي ، سان - ليجيه ليجيه » - وهذه  
هي كنيته الاصلية - في ٢١ ايار عام ١٨٨٧ في جواديلوب ، احدي  
الجزر الصغرى التي تقع بين اميركا الشمالية والجنوبية . وبعد ان  
امضى قسما من طفولته في جزيرة صغيرة للتنزه تدعى « سان ليجيه  
لي - فوي » Saint - Léger - Les - Feuilles كانت تملكها عائلته التي تحمل  
اسمها . وقسما في مدينة مجاورة وفي مزرعتي عائلة امه : « دار بوا  
ديو » و « دار جوزفين » ، جيء به الى فرنسا عام ١٨٩٨ ، حيث تابع  
دروسه الثانوية في « اليسيه دي بو » والحقوقية في « بوردو » التي  
شهدت مولد قصائده « صور لكروزييه »

وفي عام ١٩١٤ التحق بالسلك الخارجي . وشغل منصب سكرتير  
للسفارة الفرنسية في بكين من عام ١٩١٦ الى عام ١٩٢١ . برهة قام خلالها  
بعدة رحلات في الصين وكوريا ، والى اليابان ومنغوليا وجزر مالميزي  
وبولينيزي .

وفي ختام عام ١٩٢١ ، عين خبيرا سياسيا لقضايا الشرق الاقصى في  
اجتماع دولي في واشنطن . ومديرا سياسيا للخارجية عام ١٩٢٩ .  
وسفيرا عام ١٩٢٢ ثم سكرتيرا عاما حتى عام ١٩٤٠ الذي اهل شؤما عليه  
وعلى الشعر . اذ انهم من قبل حكومة فيشي ، التي اسقطت عنه  
جنسيته الفرنسية ، وحرمت من حقوقه ، وانتزعت منه وسام الشرف ،  
فوق اطلاق الجستابو اثر تفتيش منزله ، لاكثر من سبعة مؤلفات مخطوطة ،  
حصيلة جهد يمتد من عام ١٩١٦ الى عام ١٩٣٩ ، قيل انها اضميم  
خمس من الشعر ودراما وجملة مقالات .

اذن لم يبق له سوى الرحيل .  
ومنذ ذلك الحين ، اي منذ ١٤ تموز عام ١٩٤٠ ، الموعد الذي حظ فيه  
قدمه في نيويورك حتى الان ، لم يرجع الى اوربا ، رغم حصوله مباشرة  
بعد تحرير فرنسا على كامل حقوقه .

ان صانع الملاح « سان - ليجيه » على حد قول محرر «التايم»  
في عدده الصادر في ٢٥ اب عام ١٩٥٨ ، يقيم حاليا في واشنطن بكل  
هدوء ، محاولا ان يعوض الخسارة التي انزلها النازي باعمال سان - جون  
بيرس . اسم استعاره « ليجيه » بحكم الضرورة زمن انغماسه في  
العلوماسية . دون ان يكون لاي مزمع آخر مد اصبع . ولا صحة على الاخص  
للظن الذي يربط هذه الاستعارة باعجاب سابق بالشاعر اللاتيني «بيس» .  
اخاله قد وفى اكثر نذره . فقصائده الطوال: « مدائح » Eloges

يقودنا هذا ، الى نعت بيرس بشاعر الصورة الاول ، ولكن من طراز مغاير لم نعهده عند شعراء الصورة .  
بعض التقارب فقط ، ظهر لي باقوى حال ، موزعا على « مدائح » وقصائد ل.ت.س. اليوت الذي حول « اناياز » الى لغته .  
واليك ترجمة هذا المقطع الاول ، على سبيل المثال ، من قصيدة لاليوت بعنوان « مطالع » :  
« المساء الشتائي يهبط  
مع روائح الشواء في الازقة .  
الساعة السادسة .  
اعقاب طفاة لا يام مدخنة .  
واذا برخة عاصفة من المطر  
تلف تنسف الاوراق  
الذابلة الوسخة حول قدميك  
وبجرائد تنهال من بقع خاوية ،  
وزخه المطر تخبط  
على شعريات الشبايك وقرميد المداخل ،  
وفي زاوية من الشارع  
حصان عربية وحيد ، ينثف البخار ويرفس .  
ثم تشتعل المصاييح . »

اما اذا كان اليوت قد تأثر بالتصويرية الى مقدار ما . فان بيرس هو شاعرها المبدع - ولكن من طراز مغاير كما قلت - الى غاية انه اختصها باليوم كامل يجمع سلسلة من الصور تلبس الجمال كلسان من نار .

هذا الالبوم ، هو « مدائح » . نشره اولاً في ثمانية عشر نشيداً - يرى القارئ ترجمتها فيما يلي - بامضاء « سان - ليجيه ليجيه » في « المجلة الفرنسية الحديثة » عام ١٩١٠ . ثم في مجلد اضيفت اليه بعض القصائد بامضاء « سان ليجيه ليجيه » ايضا عام ١٩١١ ، ثم في طبعة اخرى عام ١٩٢٥ ، مع قبضة قصائد جديدة تحت امضاء سان-جون بيرس هذه المرة .

مداره ، طفولة في جزيرة ، ذكريات تكر كالتواني . ثوان في صومر . وشعر ياخذ بالاندر والانبل . همه ان يحرك النفس ، وان يرفع الفارئ خطوة خطوة الى مستواه فاقد اللهاث . شعر لا يقص ، لا يشرح ، انه يعبر ، بل هو لا يعبر . انه يعرض .

لوحات من « برانتايشر » مدينه في جواديلوب ، حيث سجلت ولادة الشاعر ، هذه « المدائح » .  
يسال بيرس ببراءة الصبي :

« لقد احببت حصانا ، ترى ايا هو كان ؟

لقد تفرس في وجهي اكيدا من تحت عرفه . »

وببراءة الصبي يصرخ :

« لاتشدي هكذا بشعري »

او يستيقظ لئلا بالف مشهد ومشهد من النبات والحيوان :

« ايها الافق اللآزورد ! ان حيواننا محشوة بالصراخ !

استيقظ مفكرا بثمر « انيب » الاسود ، بازهار في باقات تحت

ابط الاوراق . »

او يجلس وحيدا في صداقة ركبتيه ماخوذا بفكرة وحدة الوجود على

مايسو :

ساخرج ، لان لدي عملا : حشرة  
تنتظرنني لافاوضها . او بالحري  
فان لدي تحالفا مع الحجار ذات العروق الزرقاء .  
وانت ستتركينني كذلك جالسا في صداقة ركبتي . »  
كل شيء ملموس ومرئي في هذه اللوحات المجلوبة من ارض الهزات البركانية : الاحداث اليومية ، الاطار العائلي والطبيعي تتوالى بوفرة هنا وهناك :

- « كامواج من قاع الارض يسحبون صفائح كبيرة مرنة من المعدن ..  
- واما هنا يعزم النزول معطرات بعشبة مدام - لالي ...  
- عندنا اكليس من الكلس ، موتى الفيضان مثل حيوانات  
محلوجة ، في تلك الصناديق القصديرية التي يحملها الوجهاء . »  
انت دوما مع الصبي « ليجيه » تلعب بسلاحف تتدحرج كنجوم  
سمراء ، وشراع كنفس كبيرة مضطربة ، وتلك الاسماك التي تنسل  
كالفكرة في مدى التشديد ، وخشاخيش بين يديكما كمارشة جلبان ، وقطعة  
صغيرة من السماء ترق على حدر اظافرهما .  
وبعد ، فهذه « مدائح » في ثوبها العربي ، بامانة كلية ولا ازيد .  
ان كل شرح او تاويل لمثل هذا الشعر ، هو نوع من التجديف والتنديس .

قد تكون خسرت ايقاع ابياتها المنشورة .

قد تكون خسرت التزاوج المحكم والرنه الفخمة لبعض مفرداتها  
في لغتها الام ، شأن كل شعر منقول ، ولا سيما اذا كان لشاعر كبيرس .  
الا اننا مع ذلك ، نظل بفضل صورها - كما جاء سابقا - اعز من ان  
تسقط في مهاوي التثريالذات .

## مدائح : لسان - جون بيرس

- ١ -

اللحوم تشوى في الهواء الطلق ،  
المرقة تهيأ

والدخان يصعد الدروب بشدة  
ويلحق ذاك الذي كان يسير .

آنسد . يفر الحالم ذو الوجنتين الوسختين  
من حلم عتيق موشح بالقساوة والمكر  
والبهاء ،

وينزل

مزخرفا بالعرق ، نحو رائحة اللحم  
كأداة تجر بثاقل . نسائجها ، وكل بياضاتها  
وشعرها المبعثر .

- ٢ -

لقد احببت حصانا - ترى ايا هو كان ؟ -  
لقد تفرس في وجهي اكيدا ، من تحت عرفه .

كان ثقباً منخريه الحيان ،

شيئين جميلين للنظر - مع ذلك الثقب الحي  
المتنفخ فوق كل عين .

كان عندما يركض ، يعرق : اي يشع

بالضوء ! - وكنت أعصر أقملا على جانبيه

تحت ركبتي في الصباء ...

لقد أحببت حصانا - ترى أيا هو كان ؟ -  
وأحيانا « لأن الحيوان يعرف جيدا  
ما هي القوى التي تمجدنا »  
كان يرفع الى آلهته رأسا من نحاس :  
رأسا لاهتا ، تخططه شبكة من حروق .

### - ٣ -

ايقاع الكبرياء يهبط التلال الحمراء .  
السلاحف تتدحرج في المضائق  
كنجوم سمراء .  
ومرافئ كبيرة تصنع حلما مليئا  
برؤوس الاطفال ...  
كن رجلا ذا عينين هادئتين يضحك ،  
رجلا صامتا يضحك تحت جناح  
الحاجب الهاديء ، كمال الطيران « وبطرف من  
هدب ساكن يرجع الى الاشياء التي رآها ،  
مستعينا بدروب البحر الخادعة ...  
وبطرف من هدب ساكن  
يكون قد صنع لنا اكثر من موعد في جزر ،  
مثل ذاك الذي يقول للاصفر منه :  
« سوف ترى ! »

فانه هو الذي قد يتفاهم مع سيد المركب .

### - ٤ -

ايها الافق اللازورد ! ان حيواناتنا محشوة بالصراخ !  
أستيقظ مفكرا بثمر « آنيب » الاسود  
في كؤيسه المثائل الابتر ... آه حقا ! لقد نهشت  
السرطين شجرة بأكملها ذات ثمار طرية . هناك شجرة  
ملاءى بالندوب ، نمت على جذعها ،  
ازهار كثيرة العصير . وأخرى  
لايمكن مسها باليد ، كما يمكن ان تفعل ،  
دون ان تمطر على الفور  
من ذلك الذباب ، الالوان ! ... النمل تركض  
في وجهتين ، ونساء يضحكن وذهن  
في ازهار الاسفندان ، تلك الازهار الصفراء - المملخة -  
بالسواد - الارجوان - في الاسفل التي تستعمل  
في اسهال الحيوانات القرناء ... والجنس  
يعبق شذاه ، والعرق يشق له طريقا رطبا .  
ان رجلا وحيدا قد يضع أنفه في  
طية ذراعه . وتلك الضفاف تنتفخ ، تنهار  
تحت ركام من الحشرات في أعراسها  
المجنونة . لقد برعم المجذاف في  
يد الجذاف . وكاب حي في طرف  
كلاب هو خير طعم للتماسيح ...  
- أستيقظ مفكرا بثمر « آنيب » الاسود ؟  
بازهار في باقات تحت  
ابط الاوراق .

### - ٥ -

... اما تلك المياه الهادئة ، فهي الحليب بعينه

وكل ما يندلق كذلك في خلوات  
الصباح الطريضة .

الجسر المغسول ، قبل النهار ، بماء  
يشبه في الحلم مزيجا من فجر ، يصوغ  
خبرا حلوا عن السماء . والطفولة معبودة  
النهار ، عبر عريش من المظال المدحرجة  
تنزل الى مستوى أغنيتي .  
أيتها الطفولة ، يا حبي ، ألم يكن  
غير ذلك ؟ ...

أيتها الطفولة ، يا حبي ... ذاك الحلقة  
المزدوجة للعين ، والسهولة في الحب ...  
هدوء كبير يخيم ، ففتور ،  
واستمرار كبير ايضا ،  
حتى ليبدو غريبا ان نكون هناك ،  
مشبوكي الايدي الى  
ليوننة النهار ...

أيتها الطفولة يا حبي ! لاشيء  
غير الازعان ... وهل قلت ذلك يومئذ ؟ انا لا أريد  
حتى تحريك هذه الثياب  
في القنوط ، في خلوات الصباح  
الخضراء ... وهل قلت ذلك يومئذ ؟  
لا شيء غير ان نخدم  
كجبل عتيق .. وذلك القلب ، وذلك  
القلب ، هناك ! فلينجر على الجسور ،  
أحقر وأقفر وأرث  
من مسحة عتيقة ...

### - ٦ -

ويصعد آخرون ، بدورهم ، على  
الجسر  
وأنا اطلب ، مازلت ، الا ينشر  
الشرع ... أما ذلك الفانوس ، فيمكنكم  
بصواب ان تطفئوه ...  
أيتها الطفولة ، يا حبي ! ها هو الصباح ،  
ها هي  
أشياء عذبة تتوسل ،  
كالبيض للغنساء ،  
عذبة كالخجل ، الذي يرتجف على  
الشفاه ، أشياء مقولة عن عرض ،  
يالها أشياء عذبة ، وتتوسل  
كصوت ذكر لا أعذب ، اذا رضي  
ان يحني نفسه البهاء نحو التي تحني ...  
والان فأنا أسألك ، أليس  
الصباح ... سهولة في النفس  
وطفولة النهار الهاجمة ، العذبة  
كنشيد يسط العيون ؟

### - ٧ -

قطعة صغيرة من السماء تزرق على حذر

أظافرنا . النهار سيكون حارا حيث تتكاثف  
النار . وها هي الحال كما ستكون :  
تشنج في اللجج القرمزية ،  
الهوة مداسة بجواميس الفرح ( يا للفرح  
الذي لا يوصف الا بالضوء ! ) والمريض  
في البحر ، سوف يقول  
لنوقف المركب كي يستطيع الاصغاء  
الى ضجيج صدره .

وفراغ كبير اذ ذاك لكل الذين  
في المؤخرة ، ورفس الصمت يرتد  
الى جباهنا .. الطير الذي كان يتبعنا ، يحمله  
طيرانه الى فوق رؤوسنا ، فيتجنب الصاري ، ويمر  
عارضا لنا رجليه الورديتين كالحمام ،  
متوحشا مثل همبيز ورقيقا مثل  
أحشويروش .. ويقول اصغر المسافرين ،  
الجالس بكله تقريبا على الدرابزون : « أرغب في  
ان احدثكم عن الينابيع تحت  
البحار .. » ( ويطلب اليه ان يقص )  
— سوى ان المركب يصنع ظلا  
أخضر — أزرق ، ساكنا ، نفاذا ، يستولي  
عليه الغلو قوز حيث ترعى  
كقطعان رشيقة متعرجة  
تلك الاسماك التي تسل كالكرة  
في مدى النشيد .  
.. وانا ، كلي صحة ، أرى ذلك  
واروح

قرب المريض اقصى عليه ذلك :  
وها هو يبغضني

— ٨ —

للتاجر الرواق على البحر ،  
والسقف لصانع التقاويم ! .. اما الآخر  
فله المركب الشراعي في قعر خليجان صغيرة من الخمر  
السوداء ، وتلك الرائحة ! وتلك الرائحة الشرهة  
للخشب الميت ، التي تبعث على التفكير بيقع  
الشمس ، بالفلكيين ، وبالموت ..  
— هذا المركب هو لنا وطفولتي  
ليست في نهايتها .

لقد رأيت كثيرا من الاسماك  
التي علمت على تسميتها . رأيت اشياء اخر  
كثيرة ، لا تشاهد الا في عرض المياه ،  
واشياء اخر ميتة ، واخر  
خادعة ... ولكن لا

طواويس سليمان ، ولا الزهرة المرسومة  
على حمالة الرا ، ولا الهر — النمر المشبع  
من اللحم البشري ، امام الالهة النحاس ،  
لمنتزوما

تفوق بالوانها

ذلك السمك الدغل ، المتسلق

ظهر المركب ليفرح أمني الشابة

والتي تتنأب .

... وكانت تنهرا أشجارا في قعر

خارجان صغيرة من الخمر السوداء

— ٩ —

... آه انتهى ! اذا تحدثت بعد

عن النزول الى البر ، فأنا أفضل ان اخبرك ،

اني سأرتدي هناك تحت عينيك .

الشراع يقول كلمة جافة ، ويساقط

ما العمل ؟

الكلب يرتمي في الماء ويدور حول

الفلك .

الاذعان ! مثل جبل قلع .

حالي الزورق

أو لا تحليه ، أو قرري

ان نستحم .. فذلك يوافقني ايضا

.. صداقة الماء كلها تحام ثانية

بصمت على نواحي الشراع

امضي ، فان حكاية حلوة

تنظم هناك

— يا له من سبوندي (١) للصمت مطوط

على مداه !

.. وانا الذي يكلمك ، لا اعرف شيئا

قويا أو عاريا

مثل الشراع الضخم النزق

بلون الدماغ

ذي الطيات التي تهدبه ،

والممتد بجانبنا ، في وسط مركب

.. الاعمال ، أعياد الجبين ، وأعياد

العنق ! ..

وذلك الصخب ، وذلك السكون !

وتلك الاخبار في السفر ، وتلك الرسائل في المد والجزر

يا خمور النهار المراقبة ! .. ومنظر الشراع ،

النفس الكبيرة المضطربة ، الشراع الغريب ،

هناك ، والدافيء الموحى ، مثل منظر

وجنة .. يا

نفحات الريح .. ! انا حقا اسكن في

حجرة اله .

— ١٠ —

كي تنزل الإبقار والبغال الى البر ،

يعطون المياه ، من على ظهر السفينة

تلك الالهة المسبوكة بالذهب ، والمفروكة بالراتينج .

المياه تزهو بها ! تتجسس !

ونحن ننتظرها على رصيف الشاطيء مع

قدر من الخشب مرفوعة بشكل مشاعل

(١) Spondée في الشعر ، جزء مركب من مقطعي كلمة طويلين

واعيننا مسمرة على نجمة تلك الجباه - اذ كان  
هناك جمع معرى بكامله ، مؤتزر برونقه ،  
وقنوع

#### - ١١ -

مسنة صغيرة عجفاء ، ذات يدين بيضاوين  
من البرص .  
والكلبة الوردية تجر قبالة الفقير  
كمية من لحم الضروع  
وبائعة الحلوى  
تطرد الزنابير التي يشبه طيرانها  
لسعات النهار على ظهر البحر  
وولد يرى ذلك ،  
جد جميل ،  
حتى انه لم يعد يستطيع اطباق اصابعه . .  
غير ان الجوز الهندي المستنزف والمرمي هناك ،  
كرأس اعمى يصرخ منعثقا من الكتف ،  
يرد عن المجرى  
بهاء المياه الارجوانية المصفحة  
بالدهن والبول ، حيث يحوك الصابون  
نسيجا كنسيج العنكبوت .  
على الطريق العام الحقيقي ، فتاة  
مرتدية كملك ليدي

#### - ١٤ -

بصمت تنسل المائية وتخرج  
من اطراف الورقة الرقيقة  
ها هي سماء من القش يرمى فيها ،  
يا للرمي ! المشعل بكل قوة !  
اما انا فقد سرت القهقري  
يا اصدقائي الذين لا اعرف اين ؟ . .  
الن تروا ذلك ايضا ؟ . . موانيء تزفر ،  
ومياه حلوة من النحاس الرخو  
حيث الظهيرة مفتتة الصنوج تثقب  
وهج بشرها . . يا عجا ! هذه هي الساعة  
عندما ، في المدن المسخنة بكثرة ، في قعر  
الباحات اللزجة تحت العرش المجاودة  
عندما يجري الماء الى البرك المسدودة تهتكه  
ورود الظهيرة الخضراء . . والماء العاري  
هو اشبه بلب حلم ، والحالم  
يضطجع هناك ، مثبتا الى السقف  
عينه الذهبية المقاتلة . .  
والولد الذي يعود من مدرسة  
الاباء ، ودودا لصق مودة الجدران  
التي تنث رائحة الخبز السخن ، يرى عند طرف  
الشارع حيث يلف  
البحر الخاوي اكثر جلبه من  
مزاد للاسماك . وبراميل السكر  
تسيل على الارصفة المركشيت  
التي دهنها النفط بمشجرات كبيرة  
وزنوج حمالو بهائم مسلوخة  
يبحثون على خزف دكاكين الجزارين النموذجية

كأمواج من قاع الارض  
يسحبون صفائح كبيرة  
مرنة من المعدن : صفائح جافة ، مرتعشة  
تريق سفحا من السماء ، مسبيا باسره .  
كي ترى ، قف في الظل . والا فلا .  
المدينة صفراء من الحقد . الشمس  
تقذف في احواض المرافيء شجارا  
من رعود . وقدر من الطعام المقلي تسهيل على  
طرف الشارع ، الذي ينعطف من الطرف الاخر  
اليفا لغبار القبور .  
( لان المقبرة هناك ، هي التي تسود  
عاليا ، بجوانب من خفان : مشكوكة بالغرف ،  
ومغروسة بأشجار كظهور الكزوار (١)

#### - ١٢ -

عندنا اكليس من الكلس  
أرى النيران تشع في معسكر  
لعمال اللحم . . .  
- موتى الفيضان ، مثل  
حيوانات محلوجة  
في تلك الصناديق القصديرية التي يحملها  
الوجهاء ، والعائدة من دار البلدية  
في الشارع الكبير المسدود بالمياه الخضراء ( ايتها الرايات  
الدموغة كظهور الاسابع ، والطفولة  
في السواد مشنوقة بشراريب من ذهب ! )  
كانوا مكومين ، لحين ،  
في المكان المسقوف من السوق :  
حيث يقف  
ومرتديا كيسا عتيقا يعبق  
برائحة الارز ،  
زنجي ذو شعر كصوف  
خروف اسود يلوح كنبي  
يوشك ان يصرخ في صدفة - بينما  
تنبئ السماء الرمادية البيضاء  
بزلازال اخر في ذلك المساء .  
- ١٣ -  
رؤوس السمك تتهانف  
بين اطباء هر ميت منفوخ  
- أخضر او خبازي ؟ - وبره ، ذو لون الحرشف ،  
رديء ، لبد  
كخصلة شعر تمتصها عانس

(١) نوع شبيه بالنعام ، من الطيور العداة في استراليا يستعمل  
ريشه للزينة



ليخطوا ثقلاً من العظم واللهاث  
وعند مفرق الطرق في السوق البرونزية  
الدار الشامخة المحنقة حيث يتدلى  
السّمك ، والتي يسمع اليها تغني في  
صفيحتها الحديد ، رجل امرء ،  
في ثوب قطني اصفر ، يصيح : انا الله !  
واخرون : انه مجنون !  
واخر مأخوذ بالرغبة في القتل  
يتوجه الى مستودع المياه  
مع ثلاثة اكر من السم : وردية ، وخضراء ، ونيابية  
اما انا فقد سرت القهقري

#### - ١٥ -

ايها الطفولة ، يا حبي ، لقد احببت كثيرا  
المساء كذلك : انه ساعة الخروج  
خادماتنا دخان في تويجات  
الفساتين .. ونحن ، ملتصقين الى درفات النوافذ  
تحت ضفائرننا المجلودة ، كنا نرى  
كم هن بملاسة ، وكم هن بعري  
يرفعن اطواق الفساتين الناعمة الى اطراف اذرعهن  
وامهاتنا يعزمن النزول ، معطرات  
بعشبة مدام لالي .. اعناقهن  
جميلة . تقدم وعلن : امي  
هي الاجمل ! - وفي الحال اسمع  
الثياب المنشأة

التي تجر بين الغرف  
زمزمة رقيقة .. والمنزل ! المنزل ؟  
نخرج منه !

للرجل المسن حتى ، قد يغبطني على  
زوجي نواقيس  
وخشاخيش بين يدي  
كعارشة جليان ، كالبندق الهندي  
واولئك الذين شاخوا في البلد يسحبون  
كرسيا الى الباحة ، ويشربون البونش  
بلون الصديد .

#### - ١٦ -

... اولئك الذين شاخوا في البلد  
نهضوا بكرة  
ليدفعوا درفات النوافذ وينظروا الى السماء  
والبحر المتلون  
والجزر ، قائلين : سيكون النهار جميلا  
اذا احتكنا الى هذا الفجر .  
وفورا يطلع النهار ! ويشتمل حديد  
السقوف المصفح في الرعب ، ويسلم المرفأ الى القلق ،  
والسما الى سورة النشاط  
ويرتمي الراوي في اليقظة !  
والبحر ، بين الجزر ، ورد كالشبق ،  
لذته مادة للمنازعة ، كانت له

لقاء حصنة من اساور النحاس !  
واولاد يركضون الى الشواطئ ! وخيول  
تركض الى الشواطئ ! .. مليون  
من الاولاد يحملون اهدابهم  
كخييمات الزهر .. والسباح  
له فخذ في ماء فاتر ، واما الاخرى  
فتثقل في مجرى رطب ، والزر الحبشي ،  
وقنب سيام  
والقراص ذو الزهور الخضراء وذاك الفطر  
المتبد ، لحية الجدر العتيقة  
جميعها تهيم على السطوح ، عند جفاف الميازيب ،  
لان ريحا من ابرد رياح السنة ،  
ترتفع ، عند برك الجزر التي تزرق  
وتجري منبسطة حتى بيوتنا ، تلك المفاتيح  
المسطحة ، نحو صدر الرجل المسن  
عبر مرفأ الثوب الى المكان المليء  
بالشعر بين الثنلوتين  
والنهار قد حز منه القليل . والعالم  
ليس جد عتيق اذ لم يضحك فجأة ..

★

حينئذ تصعد الدرج ثانية  
رائحة القهوة

#### - ١٧ -

« عندما ستكونين قد انتهيت من ترتيب شعري ،  
سأكون قد انتهيت من بغضي لك . »  
الولد يحب ان يمشط على  
عتبة الباب  
« لا تشدي هكذا بشعري .  
يكفيني الان انه علي ان امس ، عندما  
ستكونين قد ربت شعري ، سأكون  
قد ابغضتك . »  
بينما حكمة النهار تأخذ  
شكل شجرة حلوة  
والشجرة الميود  
التي تفقد قبضة من العصافير  
تقشر لبحيرات السماء خضرة  
جد بهية ، لا تفوقها غير بقعة الماء خضرة  
« لا تشدي كثيرا بشعري .. »  
دعيني الان ، فانا ذاهب وحدي  
سأخرج ، لان لدى عملا : جشرة  
تنتظرني لافاوضها . انا اقترح  
بالعين الكبيرة ذات الوجيحات : العين المقرنة ،  
غير المنتظرة ، مثل ثدرة السرو  
او بالحري فان لدى تحالفا مع الحجار  
ذات العروق - الزرقاء : وانت ستتركينني كذلك ،  
جالسا ، في صداقة ركبتني  
ترجمة : هاني صعب

# مدينتنا لكل الحبيبة

الى صاحب ديوان « مدينة بلا قلب »

طرقت ابوابك في الظلام .. والدروب

تعج بالايدي التي تمتد للرغيف ..

كقلبي اللهيـف ...

سألت .. والرفاق مثلي يسألون :

هل هكذا يضيع في المدينة الغريب؟!

يلفه الضباب .. والدخان .. والشحوب ؟!

ويختفي .. كذلك اللحن الكئيب ..

يعزفه شيخ على ربابه ..

في جانب الطريق ..

يكي على احبائه ..

بصوته الرقيق ..

والناس يعبرون .. يعبرون ..

وليس من يعيره انتباه !!

★

اختاه هل رأيت ما جمعت في يدي ..

من ثروة المدينة العمياء ؟!

رجعت يا اختاه فارغ الجيوب !!

لأنها ارض بلا سماء

سياطها لا ترحم الغريب ..

★

سمعتها تقول وهي تمضغ الدخان واللهيب ..

والحق .. والسباب .. والوعيد ..

« انا .. راقصة زنجية ..

رقصتها نارية خفية ..

الزمن المسعور في اهابي ..

معلق .. يمتص من قرابي !

وتركض الايام والليالي !  
لكنني ارقص .. لا ابالي !

آكلكم ان جعت يا جيع ..  
فلحمتكم للذتي متاع !! «

فهل سمعت يا اختاه كيف تنشد المدينة ؟!

هلعت من احقادها الدفينة ..

ولذت بالجدار احتمي ..

والناس يركضون ..

فبعضهم مسافر .. وآخرون ..

في ظلمة الحانات يختفون ..

ورحت اطرق الابواب في جنون ..

وبين اضلعي خريف ..

يمتص ما تبقى في سراجي الضعيف ..

والليل تنين مخيف ..

يفتالني .. والف ظفر .. الف ناب ..

تمتد في الظلام ..

ولا ازال اطرق الابواب ...

متى .. متى يارب يطلع الصباح ؟!

فانني حزين !!

كذلك اللحن الذي يعزفه شيخ على ربابه ..

في جانب الطريق ..

يكي على احبائه ..

بصوته الرقيق ..

والناس يعبرون .. يعبرون ..

وليس من يعيره انتباه !!

احمد محمد صديق



انها لا تستبعد منه ان يفعل ذلك ... لم لا تنزل عند الموقف القادم فتتخلص منه ؟ .

قبل ان تحاول اقناع نفسها بهذه الفكرة ، تمطت في رأسها فكرة جديدة . ماذا تفعل اذا لحق بها وحاول ان يتحدث اليها خصوصاً وان بيت صديقتها يبعد عن هذا الموقف ؟ لا ، انها ستنزل عند الموقف الذي لا يبعد كثيراً عن بيت صديقتها ، فبإمكانها وقتها مهما حاول الاقتراب منها ان تهرب منه .. لن تعبأ به اذن ، ستدع ارجل الاخطبوط مدفونة في شعرها ، وتتجاهل كل شيء .. وستنتظر النتيجة .. ماذا سيكون بعد ذلك ، انها لا تعرف ، فلم يسبق لانسان ان تحرش بها من قبل .

اجل .. ستنتظر النتيجة ، وان كانت تخاف منها ، تشعر ان بها رغبة لان تعرف ما يريد منها ، بل ان بها شوقاً اكثر لعرفته هو . تراه من يكون ؟ ما شكله ؟ تتمنى لو كانت لديها الشجاعة لأن تلتفت اليه ، لان تنظر اليه دون ان تبسّم . ومدت يدها الى مقبض المقعد الذي امامها ، فتحسسته برفق ، وضغطت عليه بشدة كأنها تريد منه اشياء كثيرة ..

\*\*\*

كانت تعلم بأنه لن ينزل عند الموقف السابق ، فقد كانت ارجل الاخطبوط لا تزال عائمة على شعرها ، لكنها لم تكن تسبح كما تفعل الان ، لقد اصبت بحيرة شعرها عكرة ، انها لن تستطيع ان تبقى متجاهلة هذا التحرش ، يجب ان تفعل اي شيء .. فتلمعت في مقعدها ، وسعلت .. ثم راحت تتطلع من النافذة ، دون ان ترى بقلها ما كانت تراه بعينيها . انها تستطيع ان تلتفت وراءها نصف الالتفاتة كأنها تحاول ان تستدرك رؤية شيء تركه الباص وراءه ، علها بذلك تتمكن من رؤيته .

شعرت ان رقبته قد التوت عندما استدار رأسها بسرعة الى جانبها واحسّت بثقل يضغط على عينيها عندما كانت تحاول ان ترى اقصى ما تستطيع رؤيته ، وعاد رأسها الصغير الى مكانه .

انها تجزم بان الشيخ الذي يتكلم الى جانبها قد قرأ افكارها ، لقد كان الوحيد الذي استطاعت ان تراه وهو ينظر اليها ، انه لا شك يتابع دبيب الاخطبوط على شعرها الان .

وهزت كتفها .. انها لن تهتم به .. فهي تكره كل شيء عندما يكبر .. غير انها استطاعت ان تلمح الى جانب الشيخ عموداً اسود لا تستطيع ان تميزه عن قطعة مستطيلة من اللوح الخشبي الذي يستند على حائط صفها .

انه يرتدي بذلة سوداء اذن ، تراه يريد ان يعر لها عن تشاومه وحزنه ، ام انها ليست اكثر من مصادفة ؟ .. ومالت برأسها كأنها تسخر من تفكيرها هذا .. اتريد ان توهّم نفسها بأنه تعمد ان يرتدي بذلة سوداء ، وان ينتظرها امام منزلها ، وان يتحرش بها عندما تخرج منه ؟

لم تشاهد اخطبوطاً في حياتها ، ومع ذلك ففي رأسها صورة غير واضحة له ، لقد حدثها اخوها عنه في احدى المرات ، قال لها بأنه كرة لحمية لزجة ، تمتد منها ارجل كثيرة لا يعرف عددها .

وهي على يقين في هذه اللحظة من ان للاخطبوط الذي يزحف على مقبض مقعدها الخلفي خمس ارجل قصيرة ، لا تشعر الا باثنتين منها مدفونتين في شعرها الطويل ، لقد شعرت بهما بعد قليل من قعودها ، احسّت ان شيئاً ما قد استقر على شعرها ، وكادت تعتقد انها مصادفة ، لولا ان هذا الشيء راح ينقل في شعرها بشكل ايقظ انتباهها ، حتى انها لتزداد يقيناً ، مالت برأسها الى جانبها ، وعندها تأكدت من كل شيء ، لقد لحقت بشعرها ارجل الاخطبوط ، وراحت تنقل من جديد كما كانت تفعل في المرة الاولى .

اذن انها ليست مصادفة ، ان انساناً ما قد تعمد هذه الحركة .. اتراه يمتحن استعدادها لتحرشه بان مد يده الى مقبض مقعدها الخلفي وغرز اصابعه في شعرها ، ام انه يهدف من وراء ذلك الى اشياء اخرى . ؟ انها لا تنكر بان صاحب هذه الفكرة ذكي بطريقته هذه ، لم يلفت اليه الانظار .

ولكن ما ادراها ان يكون هناك انسان ما يراقب حركاته ، بل ما ادراها ان يكون بين ركاب هذا الباص احد رفاق اخيها ؟ ورقصت عيناها دون ان ترى من تعرفه ، ومع ذلك لم تطمئن تماماً ، فهي وسط الباص ، ووراءها اناس لم تر وجوههم ، ربما كان بينهم من يعرفها فيظن بانها راضية عن مداعبة ارجل الاخطبوط لشعرها .. ماذا تفعل ؟ . هل تلتفت اليه فتعجب في وجهه ، او تسمعه بعض الكلمات التي تمنعه من متابعة تحرشه بها .. ماذا يقول هؤلاء الناس ان سمعوا كلماتها ؟ ربما يظن احدهم بانها هي التي شجعت على ذلك ، ثم تنكرت له ، بل ما ادراها ان يتحسّس لها احدهم فيضربه .. ستكون وقتها هدفها لنظرات جميع الركاب ، وهي تكره ذلك ، لانها ستشعر بالحرج ، وستضطرب ، وتجد نفسها في موقف لا تحسد عليه .

تمنت لو ان صديقتها لم تهتف لها وتدعها لزيارتها في هذا الصباح وتمنت لو انها اعتذرت منها ولم تذهب اليها ، اذن لما تعرضت لهذا التحرش الذي لا يستطيع الافلات منه ، ولانقضي يومها كغيره عادياً ، لا شيء جديد .

ولوت شفتيها .. ما شأنها به ؟ انها تستطيع ان تتجاهله ، وان تحسب ان شيئاً ما لم يحدث اذا اكتفى بملامسة شعرها ، وهي على يقين من ان ثمة شيئاً اكثر من ذلك لن يحدث ، فالباص مليء بالناس ، وبإمكانها ان تنتقل الى مقعد امامي ان ارادت ان تهرب منه ، فالموقف القادم لم يعد بعيداً ، ولا بد لاحدهم ان ينزل عنده .

وتوقفت افكارها فجأة كأنها اكتشفت فراغاً لم تشعر به من قبل .. الا يحتمل ان ينتقل هو الآخر من مقعده فيقعد وراءها او قريباً منها ..

اية فتاة تحاول مقاومتها ..

لقد ظننا سهلة اذن ، رآها تصعد الباص ، فلحق بها ، وقعد وراها ، ثم مد يده الى المقبض الخلفي لمقعدها ، كانه يريد ان يوهم من حوله انه يرتكز عليه ، بينما كانت اصابعه تنفل في شعرها الطويل وكان شيئا ما لم يحدث ..

تمنت لو انها تستطيع ان تهزأ منه ..

\*\*\*

عندما نهض الصبي الصغير من جانبها لينزل عند « موقف النجمة » كانت تخاف ان ينتقل الاخطبوط اليه ، حتى انها فكرت ان تنتقل الى المقعد الامامي ، لولا ان الباص تحرك دون ان يشاركها احد في مقعدها . كان بإمكانه ان يقعد الى جانبها ، وان يتحدث اليها ، او يسالها شيئا ما ، وان كان لا يجزم بانه سيسمع صوتها ، انه لن يلفت اليه الانظار لو فعل ذلك ، فالامر يبدو طبيعيا لن ينتبه اليه احد .

ومالت برأسها .. لكنه لم يفعل .. اتراه يشئ منها عندما ابعدت شعرها عن اصابعه ، ام انه نزل عند موقف النجمة بعد ان تأكد من انها لن تهتم به ؟

انها لم ترى بين الذين نزلوا من الباص احدا يرتدي بذلة سوداء ، كانت تراقب كل من مر بجانبها ، لانها كانت تخاف ان ينتقل الى مقعدها .. امن العقول ان يكون قد هرب من الباب الخلفي حتى لاتتعرف عليه . احست في هذه اللحظة بثقل يجثم فوق كتفها ، ان ظهرها يمسد عن مسند المقعد ، وهي تخاف ان تزحف ارجل الاخطبوط على شعرها من جديد لو انها اسندت ظهرها وازاحت الثقل عن كتفها .. لن تستطيع ان تصبر على ذلك ، تكاد تشعر ان عمودها الفقري اصبح ليئا يكاد يطوى . ستلتصق بالمقعد ، ان في رأسها احتمالا لان يكون قد هرب من الباب الخلفي ، ثم انها ستنزل عند الموقف القادم الذي لايبعد كثيرا عن بيت صديقها ..

لقد هرب .. خيل اليها بانها لم تستند الى المقعد لترج ظهرها وترج الثقل عن كتفها كما توهمت ، كانت بها رغبة لان تتأكد من انه لا يزال وراها ، وانه ينظر شعرها ان يعود الى اصابعه ، حتى انها كادت تفتح نفسها بانه لم يهرب ، وانها اذا ماعدت بشعرها ، فستركض ارجل الاخطبوط اليه .

اجل ، لايد انه قد هرب ... هل تلتفت وراها لتتأكد من ذلك ؟ ربما اثار فضول من يراها اذا التفتت ... ومسحت شعرها ، ثم اصلحت من جلستها ، انها لن تأسف عليه ، تعرف بانها كانت ترغب لو انتهت هذه الحادثة بشكل اخر ، انها لاتريد ان ترسم حدود هذا الشكل يكفيها ان يكون موضوعا طريفا يطول حديثه اذا ماحتته لرفيقاتها ، انها الان لاتجد في كل ماحدث لها غير كلمات قليلة : « بعد ان ركبت في باص « المشروع » شعرت ان يدا تداعب شعري ، فابعدت رأسي عنها ، وفهم صاحبها بانني لارحب به ، فهرب قبل ان انظر اليه » .

لاشك بان رفيقاتها سيسخرن منها اذا اخبرتهن بذلك ، ستقول لهما احداهن بان الدجاج اذا مرح بعيدا عن القرية فهو معرض للذئاب ... وقد تضيف اخرى بخبت : ان الذئب لا يهمه ريش الدجاج ..

وفكرت قليلا .. لم لاكذب عليهن فتقول بان الذئب لم يتحشش بالدجاجة الا لانه مجب بريشها . انها لن تخسر شيئا ، فحياتها خالية من كلمة اعجاب ، لم يسبق لها ان نامت وفي يومها شيء جديد ، ومع

من اخبره انها ستذهب الى بيت صديقتها في هذا الصباح ، لا شك بانها واهمة ، او انها تحاول اقناع نفسها بخرافتها هذه .

كانت ارجل الاخطبوط هادئة عندما زحفت الى رأسها كل هذه الافكار ، كانت كائنات معصوب العينين يحاول ان يتجنب سيارة تكاد تهدسه ، ومع ذلك لم تستطع ان تسكت تساؤلها ، لم تقدر ان تززع في نفسها محاولة لتجاهلها له ، طالما ان ارجل الاخطبوط ما زالت عالقة بشعرها . ماذا يريد منها ، ما شأنه بها ، انها تجزم بانها لا تعرفه ، ولم تره في حياتها ، حتى انها لا تعلم من يكون ، فلماذا يحاول ان يدخل الى حياتها من باب ضيق ، تمنى لو انها تستطيع معرفة قصده منها .

كانت اصابعها في تلك اللحظة متشابكة كارجل الاخطبوط ، تضغط .. وتضغط .. وكانت تعلم انها تكذب على نفسها ، ولا تريد ان تعترف بالحقيقة .

ما معنى ان يتحشش شاب بفتاة ؟ .. صحيح انها ليست مجربة ، ولا تعلم من هذه الامور الا ما تسمعه في مدرستها من بعضهن ، لكنها ليست صغيرة لتضلل نفسها وتتجاهل كل شيء .. عليها ان تكون واقعية حتى لا تفاجأ بالتناج ، ولكي تكون مستعدة لان تثبت انها ليست ضعيفة ، او انها تنقاد بسهولة دون مقاومة .

ستكون صريحة مع نفسها ولن تتجاهل اي شيء .. كانت يدعها تمتد الى « الجاني » عندما كان تفكيرها يحاول ان يرسم صورة للشباب الذي يرتدي بذلة سوداء ..

انه يريد اذن ، يريد منها اشياء محرمة لم يحاول احد غيره ان يناهها منها ، امن العقول ان تهبا له بهذه السهولة ... انها ليست فتاة عادية حتى ترحب بصداقة اول طارق لا تعرف عنه شيئا ، كما انها لم تنس تعصب اهله ، انها لا تستطيع ان تتصور موقف احد منهم اذا علم بالامر ، من الصعب عليها ان تبرر سير شاب وراها دون ان يتهموها بانها شجعت على ذلك ، والا لما فعل .. كان اخوها يقول لها دائما بان الرجل لا يحاول التقرب من فتاة الا اذا شجعت بسكوته ، فالسكوت معناه الاجاب .

وهي ساكنة امام تحرش صاحب البذلة السوداء لها ، لم تفعل اي شيء ، معنى ذلك ان اخاها كان صادقا ، انها تشجعه على التماذي ، وانها راضية ، ومستعدة لان تستمع اليه ، بل ربما يعتقد بانها لا تمنع في ان تسير الى جانبه ، طالما انها لم تحتج على تحرشه بها . شعرت فجأة بانها صغيرة تستطيع ان تختبئ في زجاجة عطر ، فانتفضت كان احدهم دفن في ظهرها قطعة ثلج صغيرة ، وابعدت رأسها عن ارجل الاخطبوط .

كان عليها ان تفعل ذلك عندما احست بشيء يدب على شعرها دون ان تدع له فرصة لان يعتقد بانها عادية تتقبل اعجاب اي رجل بها ، ومع ذلك فقد استطاعت كما خيل اليها ان تكسب الجولة وان تنتصر عليه .

سيقول في نفسه لا شك ، بانها اعقل من ان تستجيب لرغبة غابرة وسيحترم شعورها ، حتى انها على يقين من انه سيندم على محاولته هذه ، وربما فكر بان يعتذر منها ويعني ان ملاسة يده لشعرها لم تكن الا صدفة لم يتقصدها .

ومطت شفتيها .. لن تغفر هذه الاكثوبة تحرشه بها ، سيقبلى في نظرها شابا احق يبحث عن مفاخرة معتقدا ان باستطاعته ان يضم اليه

ذلك فانها لاتريد ان تكون فتاة تعرف كل شيء ، او ان تكون محاطة بعدد من المهجين كما تدعى بعضهن ، تمنى فقط لو كان لها انسان من غير اهل بيتها تستطيع ان تتحدث اليه .. انسان تتعرف اليه عن طريق اخر ، غير هذا الطريق .

ثمة صعوبة كما يخيل اليها ستتدحرج مع كلماتها عندما تحاول ان تبدأ حديثها عنه ، فهي تعلم بانها لن تقول الحقيقة ، وهي تعلم ايضا بانها ليست اول فتاة تكذب ، انها لن تنطوي على نفسها هذه المرة كما كانت تفعل ، ستدق علامة استفهام على شفة كل واحدة منهن ، وتزيح اعتقادا بليدا من رؤوسهن بانها ليست فتاة جذابة حتى تستميل اليها الرجال .

ستقول بان صاحب البذلة السوداء قعد الى جانبها بعد نزول الصبي عند موقف النجمة ، وبدأ حديثه بان سألها عن الساعة ، لكنها لم ترد عليه ، ولم تنظر اليه ، بل بقيت في عبوسها كأن شيئا ما لم يحدث وعند ما رأى اهمالها له راح يعتذر بكلمات مضطربة ، ويقول لها بأنه يريد ان يتعرف عليها لغرض شريف يفكر فيه منذ زمن ، وأنه حاول من قبل ، اكثر من مرة ان يلت نظرها اليه ، لكنها لم تكن تشعر بوجوده .. وأنه سيكون سعيدا ان كانت راضية عن تصرفه هذا ..

ستقول لهن اشياء كثيرة ، وانها بقيت صامتة عندما كان يثرثر اليها بصوته الخافت دون ان تجيبه على اسئلته ، لانها تكره هذا النوع من الرجال ، ولان طريقته بالتعرف عليها لم تعجبها .

وفكرت فيما لو سألتها احداهن عن اسمه ، هل تجيبها بأنه لم يقله لها ، ان اول لفظ ينطق به واحد من هذا النوع هو اسمه ، ستقول لهن بان اسمه حافظ .. حافظ عبد الوهاب ، واذا سألنها عن شكله ، فستزم شفتيها وتميل برأسها ، ثم تقول كانها لايهما من امره شيء ، بانها لم تنظر اليه طويلا ، لكنها استطاعت ان تتأكد عندما ادهشها تصرفه بأنه اسمر جذاب يرتدي بذلة سوداء .

انها على يقين من انهن سيلمنها لاهمالها له ، قد تقول لها احداهن بانها قد اضاعقت فرصة لن تعوض ، وانها لن تخسر شيئا لو انها تحدثت اليه ، وقد تصيف اخرى بانها ستندم في يوم ما على تصرفها هذا لكنها ستجيبهن بكبرياء بانها انسانية تثق بنفسها ، بانها لايهما ان كان هنالك من يفكر فيها او لايفكر .

وضففت برجليها على الارض ، وشدت ظهرها الى مسند المقعد ، ثم مالت ومسحت شعرها كانها تريد ان تحصد السنبلة التي ترقص على جبينها .

لايها ان كان هنالك من يفكر فيها او لايفكر ..

هل تستطيع ان تغفر لنفسها هذه الاكلوبة ؟ الا تمنى ان يفكر فيها انسان ما ، لو ان صاحب البذلة السوداء لم يهرب منها ، اترأها لاترد عليه اذا قعد الآن بجانبها وسألها شيئا ؟

لايها ان كان هنالك من يفكر فيها او لايفكر ...

ووضعت على جانب من شفتيها نصف ابتسامة مهزوزة .... لقد تذكرت قصة مدرسية كانت قد اعجبت بها عندما كانت في الصفوف الاولى ، ان القصة تقول بان ثعلبا حاول عبثا تسلق دالية لاقتطاف عنقود عنب منها استهواه منظره ، وعندما لم يستطع الوصول اليه قال في نفسه : « هذا حصرم رأيته في حلب » .

كانت شفتها السفلى محبوسة بين اسنانها ، بينما كانت اصابع يدها تتحسس شعرها الطويل الذي يستريح على كتف المقعد ... لماذا

جعلته يهرب منها ، لماذا تسرعت ، كان عليها ان تنتظر النتيجة ، وتعرف من يكون قبل ان تجزم بأنه تافه ، مادراها انه حاول ان يتعرف عليها منذ زمن دون ان تشعر بوجوده ، وأنه يس من محاولاته الصامتة ، فاراد ان تضحك بصوت مرتفع ، فسمعت ... ومسحت وجهها .. ثم نفست فستانها ، وذهبت نظراتها بين الركاب ..

بعد قليل ستكون في بيت صديقتها ، ان الموقف الذي ستزول عنده لم يعد بعيدا ، انها تستطيع ان ترى اشخاصا بينهم امرأة منتفخة يقفون بالنظر الباص .. من تراه سيقعد في مكانها ، تمنى لو انها تستطيع ان تأخذ مقعدها معها ، اذن لاحتفظت به في غرفتها وعلقت عليه قصيدة جميلة .

\*\*\*

انها تجزم بان هذه المرأة المنتفخة قد رأت رجل الاخطبوط ، والا لما تجمدت نظراتها على مؤخرة شعرها ، لقد التفتت اليها كانها تريد ان تقول لها شيئا ما ، انها لاتريد ان تستمع اليها ، بل انها لاترتاح الى حديث انسان لاتعرفه ...

اتراها لاترتاح اذا تحدث هو اليها ؟

عندما تطلعت الى المرأة المنتفخة استطاعت ان تتأكد من ان نظراتها لاتزال متجمدة على مؤخرة شعرها كانها تنتظر حدوث شيء لاتريد ان يفوتها منظره ، حتى انها ادارت رأسها الى المقعد الخلفي ، وكانت نظراتها تتجمع في نقطة واحدة ، ومع ذلك لم تبعد رأسها عن ارجل الاخطبوط ، رغم انها لم تعد تشعر بشيء ينغل في شعرها ، انما تكومت على نفسها عندما تلملمت المرأة المنتفخة كانها تحاول ان تلبس المقعد ، او كانها لاتريد ان تترك موضع اصبع منه دون ان تملأه مؤخرتها ، ثم مالت عليها قليلا وقلت : « ما اضيق مقاعد هذه السيارة ، انها لاتتنسج لشخصين .. »

تمت في هذه اللحظة لو ان دبوسا ينفذ في ظهرها ويعلق فيه ... بينما كانت تشعر ان ارجل الاخطبوط تزحف نحو شعرها من جديد . لم يهرب منها كما توهمت ، لقد بقي ورامها طوال تلك المدة دون ان يشعرها بوجوده ، اترأه خجل من نفسه عندما ابعدت رأسها عن اصابعه ؟

كانت قد عزمت على ان تنزل عند الموقف السابق الذي لايعمد كثيرا عن بيت صديقتها ، كانت بها رغبة لان تطلع الى مقعده عندما تنهض ، ربما تريد ان ترى من جلس في مكانه ، فمدت يدها الى فستانها عندما توقف الباص واصلحته ، ثم مسحت شعرها ، واستندت الى مقبض مقعدها لتنهض .. انما سرعان ماتأكدت ان اصابعها قد يست على المقبض عندما احست بشيء ينغل في شعرها .

انها لاتعرف اي شعور سيطر على نفسها في تلك اللحظة ، كان خلية نمل تدب على ظهرها ، كان قلبها يضبط على رثتها فيمنع عنهما الهواء كانها عارية الا من ورقة توت صغيرة .. هو الاخطبوط اذن ؟ .. مادراها ان يكون شعرها عالقاً بشيء ما ، لا .. لا يمكن ان يكون ذلك ، ان اصابعه تكاد تصل الى رقبته ، انها لم تكن واهمة ، فخلية النمل ما زالت تدب على ظهرها ببطء .

كانت تعتقد ان ذلك الخدر اللذيذ لن يهرب منها ، لانها لم تكن تتصور ان تقعد الى جانبها امرأة منتفخة كالخنزير ، كانت تعلم ان الباص سيتحرك ، وانها ستترك بيت صديقتها ورامها ، وانها لن تحاول ان تندم على ذلك ، لكنها لم تكن تفكر في تلك اللحظة بمن سيقعد الى جانبها

# الكتاب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

★

## الادارة

شارع سوريا - راس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

## الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجننتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

## الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الاداب ، بيروت ص.ب ٤١٢٣

ربما كانت تنتظر ان يقوم هو ويستبدل ببعده عنها قربه منها .  
كان الباص قد تحرك عندما تملكت المرأة المنتفخة ومالت عليها قليلا  
وقالت : « ما اضيق مقعد هذه السيارة ، انها لاتسع لشخصين » .  
ليست هذه اول مرة تقعد فيها الى جانبيها امرأة من هذا النوع ، لكنها  
تعترف بان هذه هي المرة التي لم تهرب فيها ، فهي لاتستطيع ان تتحمل  
ملاصقة مثل هذه الكتلة العجيبة ، انها تشعر بالقرف والقشيان عندما  
تتصور واحدة من هذا النوع عارية .. لكنها ستحاول ان تتحمل كل  
شيء ، فارجل الاخطبوط كما يخيّل اليها ستنسبها كل شعور لها  
بالقرف .. انها لن تفكر الا في نهاية لهذه التجربة .

تتمنى لو انها تستطيع ان تفهمه بطريقة لانتبه اليها احد بانها على  
استعداد لان تقدم له خصلة من شعرها اذا ما ابعث اصابعه عن شعرها ،  
انها تخاف ان يكون هناك من يراقبه ، فيفسد عليهما كل شيء .  
واغمضت عينيها ، ثم مدت يدها الى بطنها ، فصفطت عليه بشسدة  
بينما كانت رجلاها تنبسطان باسترخاء تحت المقعد الذي امامها .  
كانت تعلم ان الموقف القادم لم يعد بعيدا .. ومع ذلك لم تكن تعرف  
ماذا تفعل ، هل تنتظره حتى ينزل فتلق به . انها لن تصير السي  
هذه الدرجة من الضعف وهي لم تعرفه بعد ، انه من المحتمل ان يكون  
انسانا لا يلبق بها .

اذن ستنزل عند الموقف القادم .. وقبل ان تغادر مقعدها ، ستسرق  
نظرة اليه ، فهي تؤمن ان حكم النظرة الاولى صادق ومجرد عما يمكن  
ان تتأثر به فيما بعد ، انها اذا شعرت بضربات قلبها عندما تنظـلـسـع  
اليه ، فستخصه بطرف ابتسامة تشجعه على النزول ورائها دون ان  
ينالها شيء في كبريائها ، والا فان نظراتها اليه ستكون قاسية تقطع عليه  
كل تفكير له يرتبط بها .

انها لن تفكر في اكثر من ذلك ، لانها تخاف ان تندم فيما بعد .  
عندما وقف الباص ، كانت تشعر بانها غير طبيعية ، وان من المحتمل  
ان يلاحظ اضطرابها جميع من حولها ، ومع ذلك فقد كانت متأكدة من  
ان يدها لم ترتجف عندما مسحت عينيها ، وقبل ان تنهض كانت ارجل  
الاخطبوط قد تراجعت عن شعرها ، كانه عرف بانها تعتزم النزول عند  
هذا الموقف ..

ووقفت مستندة على مقبض المقعد الذي امامها ، بينما كانت تشمر  
ان نظراته تخترق ظهرها ، ثم استدارت باتجاه المر ، ومع اول خطوة  
لها التفتت برأسها اليه .... وكانت على يقين من ان كلمة « على  
مهلك » التي سمعتها من السائق كانت تخصها ، عندما كادت تقع لسرعتها  
في اجتياز المر .

★ \* ★

في اليوم التالي روت لصديقاتها هذه الحكاية :

« بعد قليل من قعود احدهن على مقعد من مقاعد الباص ، احست  
بان يد من يجلس ورائها تداعب شعرها ، ولما تاكدت من ان هذا  
التحرش مقصود ، صممت على ان تهين ذلك الذي ظن بانها فتاة عادية  
تتقبل اعجاب اي رجل بها ، وعندما وقف الباص استدارت اليه لتصفه  
لكنها فوجئت بان اليد التي تداعب شعرها هي يد طفل صغير يقعد في  
حجر امرأة تلتف بالسواد ، وقد خيل اليها وقتها بانها قد اهينت ، فتركت  
مقعدها ، واسرعت تجتاز المر ، حتى انها عندما كادت تقع ، استطاعت  
ان تسمع السائق يقول لها : « على مهلك » ... »

خالد الشريقي

اللاذقية



# لحاح الدرر

- ١ -

اعلم من تجاربي  
من جرح قلب لانسب  
مغامر ، وخائب ..  
من مقلّة ينداح في اغوارها التلهف  
والحب ، والتخوف ..  
اعلم من كتائب العناكب  
تمتص عمر اوجه ليس لها وطن  
صديقة للطرق البعيدة ..  
ينسل من اوصالها الزين ..  
اعلم من كابة البيارق  
منصوبة الاشباح كالشائق  
من طفلة كسيرة جائعة العروق  
ترعش . في جبهتها جنازة الشروق  
منبوذة .... شريده  
تلفظها الطريق للطريق  
ياكلها الذباب في الطريق  
تسجى بلا كفن ..  
اعلم ان الارض في رطوبة العفن .

- ٢ -

اعلم في الجزائر  
مقالع للدم ، للمصائر  
ولعنة راعفة ، محرورة الخواطر  
وجثة مصالوبة « لناصري » ..  
وفي مدى الموانئ ..  
سفائن مشحونة بالزنج . بالقواقع  
باعين جوفاء كالقواقع  
وبالردى ، والذل ، والالاء ..  
ومنتهى الشواطئ ..  
سواعد تميمس كالمناثر  
ومن بحور الصمت ، في المقابر  
من قرة المغائر ..  
ينهض اهل الكهف كالشائر  
فتفرق الابعاد في المحاجر  
وتهدر التلال بالحناجر  
تبحث عن سحائب  
عن نخلة وجدول مسافر ..  
ترود في الدروب والمسارب  
في كل نبع غائر

وتسأل القدر  
عن نخلة منسية لثمر  
مباحة الضفائر ...  
عن منبع ، عن حفتي مطر  
عن دهعتي ندى لى السحر ..  
فينعق القدر :  
لاء في الجزائر .

- ٣ -

اعلم . في مفارز مخزوقة المشاعل ..  
هوادج تحصبها زوابع القدر  
تفرق في مجاهل .  
ومتكا مضارب مذلولة الصور  
يسومها ليل بلا قمر .  
وفي دجى اقبية ملتاعة الحجر  
موائد للرعب ، من افئدة البشر  
تمد للبشر ...  
وحول نهر مرهق ينسمل في ضجر  
ماتت لديه نخوة الطوفان ، فاستقر  
موكب للعار في سعر  
تمد في مدينة السلام  
موئدا آخر  
لا تعرف السلام .

- ٤ -

على التراب مقلّة تقص في الظلام  
حكاية ترسبت في لونها حقيقة الظلام :  
اعلم من تجاربي ..  
من لعنة المحارب ..  
في هضبات الثلج ، في الخنادق  
من رهبة المشائق ...  
من ادمع ، ذبايح تصلبت اكر  
يلهو بها القدر ...  
من متكاً مضارب مذلولة الصور  
هاذية كأنها مطالع المطر ..  
... ومن دجى اقبية ملتاعة الحجر  
وهـن بقايا طفلة تسجى بلا كفن  
اعلم .. ان الارض في رطوبة العفن .

ظافر الحسن

بيروت

# مفهوم العمل الأدبي

بقلم الطبيب الشريف

القضية بالقاء المسؤولية على عاتق جهات غير مضمونة ، نسلم بقصورها وتقصيرها في هذا المجال من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهي طريقة عشوائية لأنها لم تتمثل بعد الوضع الطبيعي للمشكلة حتى تتمكن من اتخاذ الوسائل الضرورية الموائمة للحل الاساسي كما يجب ان يكون ..

واما الخطأ في تصور المشكلة فيتصل في رأيي بمفهومنا الشائع « للعمل » .. لانه في هذا المفهوم تكمن ادواؤنا . ولكي نتمكن من بلورته بما فيه الكفاية ، ارى استعراضه مع القارئ في وضعه الذي ينطبع به على سلوكنا العام افرادا وجماعات ..

— فنحن نرى قطيعا ضائعا من الشباب المستنير الذي يقتات الجوع ، ويعاني مذلات الحرمان وعذابات الالام ، والذي يحاول بالرغم من كل هذه الحواجز التي تتحدى مصيره ، ان « يعمل » ويقدم للمجتمع « انتاجا » ، جاهدا من نقطة الصفر في سبيل تحقيق انسانيته بالآخرين ومعهم ، الا انه لا يجد من يؤازره بايجابية بناءة تمكنه من دعم ذاته ، وتوسيع رحابها بغية انجاز تكاملها الضروري مع المجتمع والحياة ، باستثناء حالات نادرة من التأثر الفردي او المؤقت الذي يرضخ لما يشبه الصدف والحظوظ ولا يحل المشكلة في نطاقها الكبير اعني قضية اجتماعية مرتبطة بالاجيال على مسار التاريخ ..

— كما نرى ان مفهوم « العمل » الفكري — ( بوصفه « جهدا » انسانيا حيويا ، و« نتاجا » اجتماعيا ضروريا ، لا يقل في قيمته — من حيث الكم والكيف — عن اي جهد وانتاج اخرين ، مما تقوم عليه حياة المجتمعات ومطالبها المعيشية والحضارية ) — نرى هذا المفهوم لما يتخلص بعد في اذهاننا من ذلك الاعتبار المتلبس بمنطقتي اللا شعور والشعور في نفسيتنا ، وهو الاعتبار الذي يرى في كل « عمل فكري » مجرد « ترف عقلي » ليس بكبير غناء فسي الحياة « العملية » او هو في احسن الاحوال « حاجة كمالية » قد يلوذ بها من يجدون من اوقاتهم فراغا يملأونه بهذا المكمل المسلي اذا ما توافر هذا الفراغ ، على انه في كل مظهره لا يبدو ان يكون مشغلة لفريق من الناس الحاليين التأمليين الذين يمتلكون قدرة سحرية على ابتداع « قصور » خيالية يخدعون بها انفسهم ليتعزوا بها عن « اكواخهم » في واقع الحياة ، ويخدعون بها الاخرين اذ يلهونهم بها عن كل ما يثبت اقدامهم في الارض ... انهم تجار فاشلون لانهم يبيعون ازهد بضاعة في هذه العمورة

لقد تقادمت هذه الاسطوانة المكرورة التي ما فتىء مديروها يقلبونها على وجهيها . ليعيدوا على اسماعنا اغنية دامعة جعلوا عنوانها : « ازمة الادب » في البلاد العربية .. وهي اغنية تصف واقعا مشاهدا بلاريب .. ولكن اصحابها عندما يحاولون تحليل « الازمة » . ويسعون الى ايجاد حل لها ، يعمدون الى النظر اليها بمعزل عن وضعها الحقيقي . فلا يتناولونها كظاهرة اجتماعية مرتبطة بالانسان المنتج في علاقته المختلفة بالبيئة التي يقدم لها انتاجه الفكري ، وبموقف هذه البيئة من انتاجه ونظرتها اليه . فهم يقررون بحق ما هو واضح من ان ادب الشيوخ من ادباء الجيل الماضي قد اصبح لا يفي بكل مطالب المرحلة التاريخية الراهنة التي يجتازها العالم العربي اليوم .. كما يلاحظون ضروب القصور المتباينة التي تتضمنها نوعية الانتاج الفكري الذي يقدمه الشباب من ادباء هذا الجيل .. فينوهون بهذه المعطيات ويطلقون التنويه ، ولكنهم عندما ينتقلون الى الشطر الثاني من المسألة واعني الشطر المائل في وضع حل لها ، نراهم يتخذون من القضية موقفا غريبا ينم عن السلبية من جانب ، وعن الخطأ في تصور المشكلة من جانب اخر .. اما السلبية فتتمثل في اتجاههم الى هذا النوع الفريد من الاستجداء واستجلاب العطف ، السذي يتلخص في دعوة « الحكومات » و « الجهات الرسمية » الى ما يدعونه « بتشجيع » الادباء والمفكرين ، ورصد « جوائز » و « معونات » للمتفوقين منهم ، وكأنهم يريدون بمثل هذه الدعوة ان يلقوا بعبء المسؤولية على تلك الجهات وحدها ، وان يبرئوا ساحتهم من مسؤوليتهم الحقيقية في هذا الصدد .. ومن هنا الى ان يسخر الله الجهات المدعوة الى تقديم الاحسان المطلوب ، تظل المشكلة معلقة ، ويظل الادييب على نظاره الامل متدعرا بصبره على شقائه ان كان من ذوي الصبر والجلد — « وكثيرا ما يكون ... » — او هو يلوذ بالصراخ ، فلا يملك غير اللجوء الى ادارة تلك الاسطوانة القديمة المكرورة التي ما فتئت تدور حول نفسها على محور ثابت ، لتستأنف من جديد — وربما الى الابد — اغنيتهما الناحبة المازومة ..

وبما ان « الجوائز » و « المعونات » المقترحة — ( على فرض وجودها ، وعلى فرض خلوها من المجاملات والتحيز والخطأ في التقدير ) — لا تقدم حلا شاملا وجذريا لضايقة الادباء والمفكرين جميعا ، فلا ممدى لنا عن الحكم عليها بانها طريقة سلبية في جوهرها لانها تكتفي بالتخلص من

هي الالفاظ ...! واضح ان هذا المفهوم ينطوي في جوهره على احتقار دفين « للكلمة » ، واتخاذها على انها النقيض الحاسم « للفعل » ، الامر الذي يفرغ الكلمة من فعاليتها ويجعلها مجرد شكل فاقد لمحتواه ، اي فاقد في الحقيقة لعنصر الحياة فضلا عن الاحياء: كالجثة بغير روح او الكلمة بغير معنى . وما دامت الكلمة على هذا المدى من الهوان ، وما دام الفكر يتخذ سبيله الى الآخرين متذرعا بالكلمة ، فقد اصبح الفكر مهانا هو الآخر لهذه العلاقة ، وبالتالي اصبح « الفكر » في تقابل حاسم مع « العمل » .. حتى اني عمدت اكثر من مرة الى سؤال الكثيرين من الطلبة الجامعيين عما يفهمونه من عبارة « العمل الفكري » ، فأجمعوا على انه مجرد « تعبير مجازي » ليس المقصود منه ان الفكر عمل او جهد كغيره من الاعمال والجهود الاخرى ، وانما هي تلك الظاهرة « البلاغية » الصرفة ، التي تصنف اللفظ قسمين : حقيقة ومجازا ، فاما الحقيقة فهي : اللفظ الدال على موضوعه الاصلي ، واما المجاز فهو : ما اريد به غير المعنى الموضوع له في اصل اللغة كما يقول اساتذتهم البلاغيون ..!

وهذه نظرة جد خطيرة في انطوائها على تصور خاطيء في جذوره « لمفهوم العمل » في كليته ، وكأنني بها تبلغ من السذاجة مبلغا يجعلها تنظر الى عملية التفكير والتعبير بمعزل عن اي نشاط عضوي حيي ، في مقابل نظرتها للعمل على انه عملية آلية توشك ان تتم بمعزل عن كل ديناميكية الكيان الالهي الماثلة في الدماغ والجهاز العصبي في علاقتهما المتكاملة بسائر البنية العضوية الحية . وهكذا ( « فالعمل » : آلية جثمانية تنتج محصولا كيميا و « التفكير » : لهو تأملي ينتج محصولا لفظيا ) .. وربما مثلت هذه النظرة اقصى ما يمكن ان يبلغه الانحطاط العقلي في هذا المجال لاي جماعة بشرية حضرية حيثما تكون . وانا لا انوي ان استطرد فادفع بتحليل هذه الظاهرة - على خطورتها واهميتها - الى آحاد مقتضيات التحليل ونتائج الضرورية .. ولكن القاريء اذا اراد ان يربط هذا المنحنى الفكري بعلاقاته ومؤثراته في الفرد والمجتمع ، والحضارة التي تكتنفهما ، لا شك بعثر على نتائج ذات اهمية بالغة ..

فاذا انتقلنا بهذا المفهوم ، واخذنا احدي صور انعكاسه المعوق الهدام بمثابة مثال توضيحي ، وجدنا له تطبيقا نموذجيا في موقف « دور النشر » و « المجلات الفنية » ، من المفكرين الشبان .. فقد كان من الطبيعي ان يؤدي ذلك المفهوم الشائع ، الى « مجانية » العمل الفكري : اننا نسلم جميعا بان ( لكل « عمل » - « مقابل » ) ، ولكن هذه المسلمة تلتوي لتؤول الى « رفض » مطلق ، كلما كنا بصدد « عمل فكري لاشبان » ، ففي هذه الحالة يكفي الشاب المفكر كمقابل لعمله ، ان تتكرم عليه المجلة اودار النشر « بالتشجيع » ، ويعنون بالتشجيع هنا : التفضل عليه ، بعد لاي وعلى مضض باخذ هذا العمل منه « مجانا »

وترويه في شكل اوراق مطبوعة من أرخص اصناف الورق ! .. اما التفكير في ان هذا الشاب محتاج لتحضير ذلك العمل الى شراء مراجع ، والى اقتناء كتب توسع من افق دائرة اختصاصه ، بما هو محتاج لكي يتفرغ بكليته لعمله الى لوازم حيوية تتصل بضمان نفاذه المعيشي ولا يجدها في هذا المجتمع بدون مقابل .. فهذه كلها امور « مادية » لا شأن لها بالموضوع ما دمنا هنا من حيث المبدأ امام مفهوم اسطوري لعمل الفكري : وهل النهو لتأملي « عمل » كالمثل ؟! .. ومتى اصبحت المحاصيل « اللفظية » معادلة في قيمتها للمحاصيل الزراعية او الصناعية مثلا ، من حيث الكم والكيف ؟! ..

- لا تحاولوا ايها الشبان « العباقرة ! » ان تلوثوا المعطيات الروحية بادران المادة ، وانتم المنسوبون على الزهد في المادة لانكم تنتمون الى عالم المعنى والروح ! .. ولا تسفوا بمستواكم السماوي الرفيع الى درك « الشفيلة » في المزارع والمصانع .. لانكم من زمرة الملائكة والارواح ! وحتى اذا ما قرصتكم لذعات المسغبة فلكم من الالام خير كليل يشحذ قرائحكم ويصهر عقولكم الخلاقة ! .. او تشدون عن قانون الزهد المائل في روعة الماثور الحكيم : « جوعوا تصحوا » ؟! .. ثم الم يمت معظم المفكرين في العالم العربي معوزين ؟! .. اسمعوا قول الشاعر :

« في مصر عاش « ابن حيان » على شظف

يقتات بالعشب في مصر « ابن حيان » ( ١ ) واحمدوا لعصركم المحظوظ انكم لما تبلغوا بعد هذا المدى الارتفاع من تحقق « وحدة الوجود ! » التي تتلاشى فيها الفوارق - ( من حيث القوت على الاقل ) - بين الانسان والحيوان ، وهي خطوة سامية ولا ريب من خطي تحقيق المساواة بين البهائم والبشر ، كما هي احدي المظاهر الدائمة لما تنادي به نظرية « المدرسة الداروينية » العلمية من قرابة عريقة بين الادميين واجدادهم القروء ! ..

لقد قصدت الى التعبير عن جو نفسي معين تمثله عقلية خاصة ، وليس من الضروري بطبيعة الحال ان تكون التعابير هي نفسها ، اذ من المفهوم انها صورة رمزية تعبر عن منطق خاص لمفهومية معينة ، قد تختلف مستويات التدرج مع منطقها من واحد لآخر في التعبيرات والجزئيات والسطحية والعمق ( في التفاهة والسذاجة بطبيعة الحال ! ) ولكنها تظل بعد كل حساب تشف عن جو واحد ، وتصدر عن عقلية مفردة لن يهتم في الصورة بالدلالة التي هي الجوهر واللباب ..

لذلك يكثر في الدرب سقوط الضحايا الذين يضطرون لذلك المفهوم الشائع للعمل في كليته الى التخلي عما آمنوا

( ١ ) البيت لمحمود ابي الوفا من قصيد طويل بعنوان « امواج » نشر في مجلة الاديب اغسطس ١٩٥١ العدد ٨ المجلد ٢٠ السنة ١٠ الصفحة ١٤ - ١٥ ويلاحظ ان محمود ابا الوفا وهو من اكبر شعراء الجيل الماضي ، ياتي في طبيعة من ذهبوا ضحية لهذا المفهوم ، وهو لعزة نفسه لم يجد حتى الان من يضمه في مكانه كشاعر عربي عظيم .

# ستظل جزائرنا خضراء

★

خضراء .. جزائرنا الخصبة ..  
خضراء .. يوشيه العندم ..  
بالدم ...  
وترفر فوق روايها  
رايات المعركة الفراء ..  
ويغنيها ...  
ويزغرها .. في الجو رصاص ..  
من فوهة بركان ثائر ..  
في الف شهيد .. مبتسم الثغر ..  
مخضوب .. من دمه الطاهر ..  
قد كحل عينيه .. بسنا الفجر ..  
والتف .. برايته البيضاء ..  
ووميض .. يلمح في الظلمات ..  
خلف الاسوار ..  
من عين آلاف الشوار ..  
من عين آلاف النجمات  
حلفت .. ان لن ترقد ..  
ما دام استعمار اسود ..  
ما دام عساكر « هولوكو » ..  
والطاعون القتاك !!!  
وعهود .. يقطعها الاحرار ...  
ان لن يحيا الاشرار ..  
ما دام هنالك الف جميلة بوحيرد ..  
ما دام هنالك الوف من « عقبة »  
يفدي شعبه  
بالروح .. وينتظر الموعد ..  
ستظل جزائرنا .. خضراء ..  
خضراء كفص الزيتون ..  
كمروج بلادي .. في نيسان ..  
خضراء .. ستنبث حريه ..  
رغم القضبان الدمويه ..  
وتفتق ازهارا حمراء ..  
كجراح ضحايا الفراء ..  
كشائق نعمان .. فتحها نوار ..  
لتوشي ارض جزائرنا الخضراء ..  
بالغار .. وبالا زهار ! ..

محمود محمد كازي  
« جمعية الادباء العرب »

القامشلي

بجدوا ، لينغمسوا في بالوعة التفاهة ، وليسخروا اقلامهم في الصحافة التي تروج في مجتمعنا « الناضج » : « للكواكب » واخبار « السباحات الفاتنات » ، او على الاكثر لهذا الضجيج من الحماس الهوج الذي ندعوه « مقالات سياسية » او « ادبية » ونحو ذلك من الكلام المعاد صباح مساء .. وذلك لكي يضمنوا مجرد الابقاء على الرمح . ان هذا الجيل من الشباب المفكر مهدد بالانقراض ، بل ان الثقافة العربية مهددة بالانحطاط اذا استمرت هذه الحال .. ولذلك ينبغي علينا ان نواجه المسؤولين ابتداء من انفسنا لنعطى للاخرين القدوة والمثال ، فنسعى الى القيام بانقلاب جذري في مفهومنا « للعمل » ، فلا يظل المجتمع يعيش على ترهة تمثل انفصاما مرضيا في مفهومه المتفسخ لتعوده تسمح بصنفين من العمل ، كلاهما لا يمثل غير خرافة تصورية لمجتمع متخلف الغى عقله واصبح يعيش على الهرطقة .. ان هناك « عملا انسانيا واحدا » يختلف في الدرجة ، والوسيلة ودائرة الاختصاص ، ولكنه بظل هو ذاته من حيث النوع والقيمة التي هي ضرورته للحياة .. ومن ثم يتعين علينا ان نخلص « المثيقف » من احتقاره التقليدي للعمل اليدوي ، ونعلمه ان العمل اليدوي ملازم للفكر ودليل على التفكير ، والا اصبح مجرد الية لا توجد في غير الآلات ، او هو في الاكثر نوع من الالية الحية في جثمان آدمي فاقد لعقله في حالة الجنون .. كما يجب ان نخلص الصانع الرامي والانسان الشعبي عموما من احتقاره « للكلمة » ، بان نعلمه ان حياته تتردى الى منحدر العجماوات لو شيدت على غير الفكر الذي هو العمل معبر عنه بصورة اخرى لا تعني ضرورة تقابلها كالاضداد ..

كما يجب القضاء نهائيا والى غير رجعة على « مجانية » العمل ، لان مسلمة : ( لكل : عمل - مقابل ) بديهية مطبقة في كل عالما - باستثناء العالم العربي والاسلامي طبعاً - كما هي مطبقة في كل العوالم المحتملة ، واعني المبتايفيزيقية منها بالنسبة لمن يؤمنون « بالآخرة » ، فالاله نفسه سبحانه - قد جعل ضروب النعيم الاخروي مرصودة من حيث المبدأ « كمقابل » سخي ، « للعاملين » عليها من عباده الذين قدموا في « دنياهم » ما يبرر احرازهم عليها في « اخرهم » من صلاة وصيام وزكاة ...

ولا ينبغي ان ننسى ان هذا « المقابل » يجب ان لا يتضمن معنى « العملة النقدية » فحسب ، وانما يتعين ان يقتصر بعنصر « الاعتبار » الذي هو التقدير والمحبة ، لانه « ليس بالخبز وحده .. يحيا الانسان » ..

ان الملتزمين بشرف الكلمة ، وجميع المسؤولين على الثقافة في العالم العربي : هيئات ودور نشر ومجلات ، افرادا وجماعات ، مدعوون الى تجديد كل الكفاء والى البحث عنهم في تلك الامكانيات والطاقات البشرية المهدورة التي تعاني الياس والقنوط ، وتمزق انسانيتها اللامبالاة والاحتقار .. تلك هي القضية ، فهل من سميع ايها السادرون ؟! ..  
الطيب الشريف

# ستظل جزائرنا خضراء

★

خضراء .. جزائرنا الخصبة ..  
خضراء .. يوشيه العندم ..  
بالدم ...  
وترفر فوق روايها  
رايات المعركة الفراء ..  
ويغنيها ...  
ويزغرها .. في الجو رصاص ..  
من فوهة بركان ثائر ..  
في الف شهيد .. مبتسم الثغر ..  
مخضوب .. من دمه الطاهر ..  
قد كحل عينيه .. بسنا الفجر ..  
والتف .. برايته البيضاء ..  
ووميض .. يلمح في الظلمات ..  
خلف الاسوار ..  
من اعين آلاف الشوار ..  
من اعين آلاف النجمات  
حلفت .. ان لن ترقد ..  
ما دام استعمار اسود ..  
ما دام عساكر « هولوكو » ..  
والطاعون القتاك !!!  
وعهود .. يقطعها الاحرار ...  
ان لن يحيا الاشرار ..  
ما دام هنالك الف جميلة بوحيرد ..  
ما دام هنالك الوف من « عقبة »  
يفدي شعبه  
بالروح .. وينتظر الموعد ..  
ستظل جزائرنا .. خضراء ..  
خضراء كفص الزيتون ..  
كمروج بلادي .. في نيسان ..  
خضراء .. ستنبث حريه ..  
رغم القضبان الدمويه ..  
وتفتق ازهارا حمراء ..  
كجراح ضحايا الفراء ..  
كشائق نعمان .. فتحها نوار ..  
لتوشي ارض جزائرنا الخضراء ..  
بالغار .. وبالا زهار ! ..

محمود محمد كازي

القامشلي

( جمعية الادباء العرب )

بجدوا ، لينغمسوا في بالوعة التفاهة ، وليسخروا اقلامهم في الصحافة التي تروج في مجتمعنا « الناضج » : « للكواكب » واخبار « السباحات الفاتنات » ، او على الاكثر لهذا الضجيج من الحماس الهوج الذي ندعوه « مقالات سياسية » او « ادبية » ونحو ذلك من الكلام المعاد صباح مساء .. وذلك لكي يضمنوا مجرد الابقاء على الرمح . ان هذا الجيل من الشباب المفكر مهدد بالانقراض ، بل ان الثقافة العربية مهددة بالانحطاط اذا استمرت هذه الحال .. ولذلك ينبغي علينا ان نواجه المسؤولين ابتداء من انفسنا لنعطى للاخرين القدوة والمثال ، فنسعى الى القيام بانقلاب جذري في مفهومنا « للعمل » ، فلا يظل المجتمع يعيش على ترهة تمثل انفصاما مرضيا في مفهومه المتفسخ لتعوده تسمح بصنفين من العمل ، كلاهما لا يمثل غير خرافة تصورية لمجتمع متخلف الغى عقله واصبح يعيش على الهرطقة .. ان هناك « عملا انسانيا واحدا » يختلف في الدرجة ، والوسيلة ودائرة الاختصاص ، ولكنه بظل هو ذاته من حيث النوع والقيمة التي هي ضرورته للحياة .. ومن ثم يتعين علينا ان نخلص « المثيقف » من احتقاره التقليدي للعمل اليدوي ، ونعلمه ان العمل اليدوي ملازم للفكر ودليل على التفكير ، والا اصبح مجرد الية لا توجد في غير الآلات ، او هو في الاكثر نوع من الالية الحية في جثمان آدمي فاقد لعقله في حالة الجنون .. كما يجب ان نخلص الصانع الرامي والانسان الشعبي عموما من احتقاره « للكلمة » ، بان نعلمه ان حياته تتردى الى منحدر العجماوات لو شيدت على غير الفكر الذي هو العمل معبر عنه بصورة اخرى لا تعني ضرورة تقابلهما كالاضداد ..

كما يجب القضاء نهائيا والى غير رجعة على « مجانية » العمل ، لان مسلمة : ( لكل : عمل - مقابل ) بديهية مطبقة في كل عالما - باستثناء العالم العربي والاسلامي طبعاً - كما هي مطبقة في كل العوالم المحتملة ، واعني الميتافيزيقية منها بالنسبة لمن يؤمنون « بالآخرة » ، فالاله نفسه سبحانه - قد جعل ضروب النعيم الاخروي مرصودة من حيث المبدأ « كمقابل » سخي ، « للعاملين » عليها من عباده الذين قدموا في « دنياهم » ما يبرر احرازهم عليها في « اخرهم » من صلاة وصيام وزكاة ...

ولا ينبغي ان ننسى ان هذا « المقابل » يجب ان لا يتضمن معنى « العملة النقدية » فحسب ، وانما يتعين ان يقتصر بعنصر « الاعتبار » الذي هو التقدير والمحبة ، لانه « ليس بالخبز وحده .. يحيا الانسان » ..

ان الملتزمين بشرف الكلمة ، وجميع المسؤولين على الثقافة في العالم العربي : هيئات ودور نشر ومجلات ، افرادا وجماعات ، مدعوون الى تجديد كل الكفاء والى البحث عنهم في تلك الامكانيات والطاقات البشرية المهدورة التي تعاني اليأس والقنوط ، وتمزق انسانياتها اللامبالاة والاحتقار .. تلك هي القضية ، فهل من سميع ايها السادرون ؟! ..  
الطيب الشريف

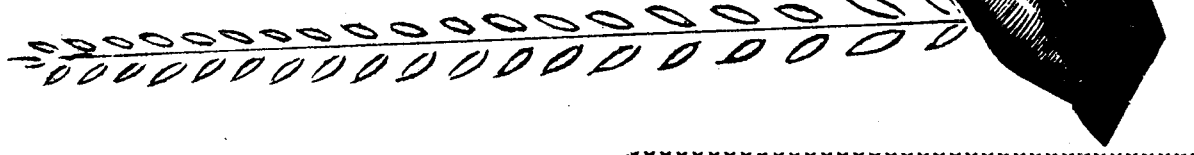
# نبوية

في قلب الحانة كانت ترقص  
عارية الا من اشربة حول النهدي  
حول الردين المجنونين  
كانت نارا اشعلها زنجي في الغابه  
كانت طيرا برياً لم يستأنس بعد  
الجسد الثعباني الافيويني اللون  
وبريق العين الوحشي  
والغمارة في الخد القمحي  
- بارعة كالشيطان !!  
- راقعة كمياء الينبوع ..  
- حلوه !!  
احدى عشرة رقصه  
شدت اعيننا في الراقصة النورية  
في الجسد المتلوي بين حبال الجاز  
في النهدي الغماز ..  
وصحونا في اخر شوط كانت تلهث  
وتمد المنديل على مقعد  
وامتدت ايدي الرواد المسحورين  
كل يطمع ان يرجع بالفوز  
ان يمسي فارس ليلتها  
كانت انثى ..  
عابقة النكهة كالزهره  
ناضجة كثمار الموز ..  
همس رفيقي دعها ..  
قد تمسك نجما من شبك الحانه  
لكنك لن تمسك نبويه  
اسمع قصتها هي ما زالت عذراء  
فارسها كان فتى يعمل في البحر  
ودعها من زورقه ذات مساء

وانتظرت ان يرجع ما عاد  
لبثت تهواه ..  
والنوريات يغشن بحب واحد  
الف عشقوها بعده ..  
الف سكبوا بين يديها الآه  
نثروا الذهب على قدميها  
ابدا ما حاد القلب العابد  
ومضت ترقص ..  
ما فعلت الا غرقت في انفاسه  
كانت في الليل القمر ترقص له  
وهو يرافقها بالناي  
انظر هاهي تنفلت من الكل  
شائقة كفراشة حقل  
فارعة كالرمح ..  
ستعود الى الخيمة قبل الصبح  
وستنتظر فتاها عند الباب  
لكن ايعود ؟؟  
تحلف نبوية سيعود ..  
في قلب الحانة صمت  
ما زالت نبوية في ادمغة الرواد  
ترقص احدى عشرة رقصه  
بالقد المصقول ...  
والعين الثابتة على مجهول  
وعبير الانثى الصارخ بالاجساد !!  
لما كنت اعيد القصة  
واراجع احلام العاشقة النورية  
هتف رفيقي « في صحتها »  
وقرعنا الكاسين برفق  
في صحة نبويه ..

كامل أيوب

# النتائج الجديدة



١٧) ووضعه ضد « الجبرين » ولعله لجأ الى ذلك خشية ان يفهم القارئ ان « القدرية » من القدر ، مع انها من القدرة وتنفي القدر . فانه لفظ الاختياريين من الاختيار ، ولكن تجنبه هذا في الصفحة ١٧ وقع فيه في الصفحة ١٠٢ ، وظن واهما ان القدرية هي من الاتكال على القدر فقال : « الانسان الذي نسي ان قدره ليس في قدرته » الخاملة بل في جهده الخالق مع ان « القدرية » في عرف اصحاب المذهب هم القوم الذين يجحدون القدر !

ويرى الدكتور صعب ان قوة الاقتناع تحل من النظام الديمقراطي محل قوة التأثير في الجماهير التي هي من متطلبات القائد في النظام الاستبدادي . وفي اعتقادي ان قوة التأثير في الجماهير هي من مستلزمات النظام الديمقراطي كذلك وان المعارك الانتخابية تستند الى جميع وسائل التأثير في الجماهير .

ويستعمل الدكتور صعب مصطلحات يفرض ان كل قارئ يعرفها ، مع اننا حديثو عهد بهذه البحوث ، فليتسه عرف بايجاز ما يعني بالاوليفاركية والديمقراطية والتكنوقراطية ، اذن لتبسّط الموضوع امام القارئ المتوسط .

وابدع المؤلف في حديثه عن الديمقراطية والحكم الاسلامي ، وفي تخطيطه طريقة اثارة موضوع ديمقراطية الحكم الاسلامي ، « وهي طريقة عكست وجود افتراض عام بان الديمقراطية هي النظام الامثل لحكم الانسان فان كان الحكم الاسلامي ديمقراطيا كل الديمقراطية كان حكما صالحا والا فهو فاسد ، » وقد وفق كذلك في ايضاح اعتقاده من مفهوم الديمقراطية .

وفي الكتاب بحوث اخرى جلية الفائدة هي : المفهوم العربي لعلم السياسة ، وابن رشد وجمهورية افلاطون ، وابن خلدون الفكر السياسي ، والمفهوم العلمي الحديث للعمل العام .

واخص بالتنويه فصله الختامي عن « نزعات التحرر في المجتمع العربي » وفي هذا الفصل الرائع يبرهن الدكتور على ان الحق الطبيعي في الحرية لا يعني بالضرورة نزعة الى التحرر ، ويعرفنا بمفكر جزائري مبدع هو محمد عزيز الخبابي في كتابه « احرة ام تحرر » ، وفي هذا الفصل روعة في الحديث عن التحرر الكلي يقول : « نعم ان التحدي الماركسي هو تحد كلي الابعاد ، وتجاهلنا لحقيقته الاولى هذه هو الذي يفجعنا الان بعنف الصدمة . والمؤدي المنطقي لهذه الحقيقة الاولى بالنسبة لنا والى سوانا ، هو ان ما هو كلي لا يجابه بما هو جزئي ، وما هو مركبي لا يستبدل بما هو تجزيئي ، وما هو انساني لا يقابل بما هو محلي وما هو عملي لا يقاوم بما هو بدائي ، وما هو مجتمعي لا يحارب

## المفهوم الحديث لرجل الدولة

تأليف الدكتور حسن صعب

منشورات المكتب التجاري ، بيروت - ١١٠ ص

تفضل الصديق الدكتور حسن صعب فاهدي الي كتابه الجديد « المفهوم الحديث لرجل الدولة » واغرائني عنوان الكتاب ، ومعرفتي شغف مؤلفه بالتعمق في بحوثه بالمبادرة الى مطالعته ، فوجدته محشوا بالفائدة ، ولا احاول تلخيصه ، لانه في ايجازه ودقته لباب يعني عن مجلد ضخّم ، وما اعتقد ان مشتغلا بالسياسة او متقلدا ولاية مستقن عن قراءته .

لقد خلط الناس بين « رجل الدولة » الذي يقود ، وبين السياسي الذي يتقاد ، وجعلوا الفرق بين القائد الخلاق وبين القائد التمثيلي ، فجاء هذا الكتاب بين الفرق ، ويعلم الناس كيف يختارون القائد ، وما يجب ان يتوافر فيه من مزايا واهليات ، والتوكيد ان اهم اختبار للقائد هو قدرته على ان يشبع في مريديه الايمان بشخصيته ، والاشارة الى ما في وسع القائد الفرد تحقيقه بقرارات حاسمة في اللحظات العصبية من التاريخ مما لا تستطيعه ازمان ولا تقدر عليه رجال !

وليس اصح من قول المؤلف : « ان معيار القائد الافضل هو في اختياره للامكان الافضل في الساعة التاريخية الحاسمة » ، وهذا تصحيح للوصف الشائع للسياسة وكونها « فن الممكن » .

ويذكرني حديث الدكتور صعب عن مزايا القائد او الزعيم بابيات من قصيدة للشاعر العربي الجاهلي لقيط بن يعمر الايادي ، وكان كاتباً في ديوان كسرى سابوري ذي الاكتاب فارسلها الى قومه ينذرهم فيها غزو كسرى اياهم ويحثهم على الاستعداد والحذر ثم يقول :

وقلبدوا امركم لله دركم

رحب النزاع بامر الحرب مضطلما

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده

ولا اذا حل مكروه به خشعا

مشهد الليل تعنيه اموركم

يروم منها على الاعداء مظلعا

وليس يشغله مال يثمره

عنكم ولا ولد يبغى له الرهما

وقد اطلق المؤلف اصطلاح « الاختياريين » بدلا من القدرين ( صفحة

بما هو عشائري أو اقطاعي أو طائفي ، وما هو حركي لا يصد بما هو سكوني ، وما هو تنظيمي لا يقهر بما هو ارتجالي ، وما هو إثاري لا يعلى عليه بما هو اناني ، وما هو بناء تفاؤلي خالق لحد اسعد لا يحول عنه بالتذكير الرومانتيكي بماض اسعد ، وكل هذه متناقضات ردودنا وردود الآخرين على التحدي الشيوعي . والرد الوحيد الحقيقي عليه هو في تحقيق التحرر الكلي لشعبنا ولكل شعب .. »

والدكتور صعب يجيد ويجلي ويسكب الحقائق في عبارات محكمة بليغة هي فصل الخطاب في هذا الباب قال : « ان الشيوعية تحاول اجتثاث الانسان من جذوره الالهية ، وهي اعمق وانبل واخلد ما فيه . وهي تفسر التاريخ بالحرب الطبقة ، فتبسطة لان التاريخ هو اوسع واشمل من مجرد حروف طبقة ، وهي تفسر تركيب المجتمع ، والتركيب المادي لهذا التركيب من خلال نوعية وسائل الإنتاج السائدة ، متجاهلة كافة وسائل الخلق النفسية والاجتماعية التي تؤثر في هذا التركيب . وهي تصور الانسان مسيرا بجوانبه المادية فتجرده من كلية حاجات وعيه الروحية والعقلية والنفسية وهي اذ تعد الانسان بتحريره من الشئسية التي انزلته اليها الانظمة الاقتصادية الرجعية تحيله الى الة ايدولوجية مادية صماء . لهذا فهي ان ظهرت في الامد القصير الفوري محررة والا انها في الامد الاطول مستعبدة والانسان متجاوز لها عاجلا او اجلا حتى في مواطنها الاولى . »

اكرم زعيتسر

## من مذكرات قومي متأمر

بقلم الدكتور شاكر مصطفى سليم

منشورات دار الطليعة ، بيروت - ١٣٠ ص

ليست هذه مذكرات سياسي يهوى السياسة او يمتنها ، ولا هي مذكرات حزبي يعمل في اطار معين ، ولا هي مجموعة اعترافات او تفاسير شخصية ، بل انها سجل لفترة في تجربة فرد ولتجربة فرد في اطار فترة . انها صفحات من يوميات استاذ جامعي عرف بميله للبحث العلمي ودراساته الاجتماعية القيمة ، وعرف بجده في العمل ، كما عرف بروحه العربية وبايمانه بالحرية الشاملة .

وجاءت الثورة المباركة ، ثورة ١٤ تموز ، فهل لها مع من هلل من المواطنين الاحرار وواكبها قلبا وعملا ، وراى فيها مع غيره بداية عهد من الكرامة والبناء الايجابي ومن التضامن الوثيق مع البلاد العربية . ولم تمض فترة طويلة حتى بدت في الافق سحبات ثم غيوم ، وكان الثورة جاءت دون خطة ، فهناك اتجاهات تصطرع وكتل تتصادم ، واذا بالحزب الشيوعي يستغل كل وسيلة ، ومنها ثورة الشواف في الموصل ، لينكل بالقوميين وبكل من لا يسر في الركاب ، واذا الشعب يشهد وسائل وافانين في الارهاب والكتب ، واذا العراقيون في دوامة رهبة .

ويقف كاتب المذكرات يرقب هذا التطور في وزارة المعارف والجامعة اولا فيري بوادر الانحراف ، ويتحسس الزحف الشيوعي حتى يشهد وسائل وافانين في الارهاب والكتب ، واذا العراقيون في او لحملات قلبية ، بل لانه قومي يؤمن بمبدئه ويتمسك به . ويفتح عينيه على الخطوط المعرصة للمخطط الشيوعي ، ويختبر بنفسه وبمشاهداته اساليبه في معتقله في الكوت وفي منغاه في العمارة وبعبقوبة ويشهد

مفاهيم جديدة للديمقراطية والتحرر لم تخطر ببال . واحس بمسقى التجربة وبدلائلها البعيدة للعراق فدون يوميات احتفظ بها لفترة ، ثم اتيح له نشر هذه الصفحات مبدئيا في جريدة الحرية ببغداد وهي قومية متزنة ، ثم جمعها في كتابا خاص .

وقد كتب الدكتور شاكر مصطفى سليم بأسلوب ادبي ساخر واورد ما يعرف مثله وأكثر منه جماعات كثيرة من العراقيين ، ومن هنا كانت قيمة مذكراته ، فهي تعبير صادق عن الجو الذي عاشه العراق وعن احساس الناس في تلك الفترة . وهي دقيقة في وضوح الصورة وبعدها عن المبالغات صادقة بما تضمنته من خبرة عملية . بل ان المذكرات المنشورة في هذا الكتاب اكثر تحفظا في بعض اجزائها مما نشر منها في جريدة الحرية وهي في ( الحرية ) اكثر تحفظا من الاصل .

واكب المؤلف فترة زحف شيوعي منظم ، وادرك غفلة الكثيرين عن اساليبهم فاراد ان يسجل ، فدل بذلك على نظرة عميقة واعية . ولعل من يؤرخ هذه الحقبة في المستقبل يرى صلة الخطوط الكبرى للاحداث بخطط الحزب الشيوعي وبالخطوات التي قطعها وما رافق ذلك من مشاكل وارهاب ومصائب .

وعى الكاتب خبرة شهور مرت فوجد « في الشعبوية والشيوعية والفوغائية والانتهازية معاول هدم في كيان جمهوريتنا تعرقل زحف الركب العربي » وراى في الشيوعية خاصة قوة تريد « لهذا البلد وتاريخه وتراثه وتقاليده ومثله وقيمه » النسف والتدمير . دون ملاحظاته في كراس ضخمة ، ولكنه لا يرى امكان نشره كله فطوى وشذب واكتفى بنشر نصف منه ، اذ يقول :

« فانا اقلب صفحاته ( الكراس ) فاترك منها الكثير واضطر على حذف وتشذيب اجزاء معينة مما استطيع تقديمه لك ، وقد ياتي الوقت .. من يدي . »

ولا يريد الكاتب ان يقدم لنا نظريات وتعميمات عن المسيرة الشيوعية الشعبوية ، بل يكتفي بعرض « حوادث ومصائب وتجارب رأيته وعشتها خلال الاشهر العشرة الاخيرة » ، يقدمها بأسلوب رائق ساخر ، فهو يتحدث آنا بلهجة ( الحزب الطليعي القدام ) ويتكلم حيناً بلسان ( المناضلين الشرفاء ) ، ثم يعود الى تحليل ونقد للمفاهيم والاساليب ، ويرجع الى تقدير الواقع بامنه وملابساته ، وينسج من كل ذلك نسيجا حيا للواقع . وهو مرة باحث اجتماعي ، ومرة ( جاحظي ) ، ساخر ، ومرة ( حريزي ) يعطي صورة حية اخاذة ، وهو بعد ذلك - شعرت او لم تشعر - يجعلك تعيش في جوه وتنقل معه بين الكلية والدار والمعقل والمنفى ثم في جو العراق الواسع المكفهر .

## مجموعة اعلام الشعر العربي

تعرض حياة عابرة الشعر مع مقتطفات من شعرهم

ق.ل

- |                 |                          |     |
|-----------------|--------------------------|-----|
| ١ - بيرون       | ترجمة : بهيج شعبان - - - | ٢٢٠ |
| ٢ - فيكتور هيجو | « : فرنسوا سركيس         | ١٧٥ |
| ٣ - بوشكين      | « : الدكتور فؤاد ايوب    | ٢٥٠ |
| ٤ - بودلير      | « : « « «                | ٢٥٠ |

الناشر : دار بيروت



وحين تقرأ المذكرات تذكر ان المؤلف استاذ جامعي واديب شعبي في آن واحد ، يبدأ بالبدايات ويتدرج معك في تجاربه . يبدأ فيعرفك بنفسه بلهجة ( المناضلين الشرفاء ) اثر ثورة الشواف في الموصل ، فيقول : «انا قومي متآمر خائن .. وعميل وذنب استعماري ، وانا من اقطاب مؤامرة الشواف القدرة ، وشديد الصلة بـ ( الرجعيين والاقطاعيين ) وقد زرت مصر قبيل حركة الموصل » ، واخترن في داري مختلف الاسلحة والمتفجرات ومنها رشاشات بور سعيد ورصاص دمدم ( .. ) . وبهذا يوجز الكاتب اصناف التهم التي وجهها الشيوعيون لاعتقال القوميين وغيرهم بعد ثورة الشواف . ولا يكتفي بهذا بل يقدم لك صورة قلمية نموذجية للخطر الشيوعي في كلية الاداب بجامعة بغداد ، وانت في غنى عن الاستفسار عن مقاومة ( المناضلين الشرفاء ) لامثاله وعن سبب اعتقاله ، فها هو يعترف ويقول « كنت مجرماً بحق الشعب والوطن » ، وجريمته متشعبة ومعقدة بنظر ( الرفاق ) ولكنه يوضحها لك فترى محنة العلم وتقدير مصير الحرية الجامعية وتذكر مهمة موجهي النشء بمنظار الحزب الجماهيري . يقول « انني لم اعترف بمادة الرقيق ( العبقري ) مهدي المخزومي - عميد كلية الاداب الجديد - .. ولا بالاتحاد الشيوعي لطلبة كليتنا الذي ولد بتوجيه الحزب الشيوعي .. ولا بنقابة المعلمين واجهة الحزب الاحمر .. ولم ابارك حملة الدعاية في كليتنا للحزب الشيوعي ولم اشارك فيها لا بالخطب ولا بالترغبات ولا بالمسيرات والمظاهرات والتهافتات ... ولم اشجب رغبة الزعيم في تجميد النشاط الحزبي ( والحزب الشيوعي ضد التجميد ) ولم اؤيد الجهة الوطنية ( وهذه اصبحت تقتصر على الشيوعيين واقصى اليسار والحزب الديمقراطي الكردي ) او ادع لاشراك الحزب الشيوعي في الحكم . » وهكذا يريك التعبئة الجديدة في الكلية ويعترف بموقفه السلبي من كافة تنظيمات وتوجيهات الحزب الشيوعي فيها . ولكن جريمة امثاله لا تنتهي هنا ، فهو رجعي في نظره الاكاديمية لم ير النور الاحمر الجديد ولم يهتد بضوئه في تدريسه للانثروبولوجي في الكلية ، اذ يقول : « وانا خائن بحق الشعب والوطن لاني لم استغل محاضراتي .. لشرح وتدعيم النظريات الشيوعية والمادية والتبشير بمبادئ ماركس وانجلس ، ولتسفيه الدين ( افيون الشعوب ) ، وهدم العائلة ( الخرافة البورجوازية ) ومهاجمة الرجعية ورأس المال » ، بل انه خائن ايجابيا ، فهو يدري « ان القومية ... جريمة عظمى ، وتأمصر صريح » ولكنه لم يتورع عند المناقشات التي يدفعه اليها (الرفاق الشرفاء ) ان يصرح : « باني كنت وسابقي قوميا اومن بان هذا البلد جزء طبيعي من البلاد العربية واني اعترت وافخر بتاريخ العرب ولقنهم وتقاليدهم وحضارتهم وامجادهم .. » الا ترى معي انه قدم لك صورة جلية للتوجيه المستنير في الحياة الجامعية وانه رسم لك السبل الكفيلة والتنظيم اللازم لذلك ؟ ولكن هذه الحالة لم تات فجأة فهناك مرحلة تمهيدية للحزب الشيوعي بدأت من اول يوم للثورة للاخذ بتوجيه ثقافة البلد وناشئته . وكانت الخطة الشيوعية في حقل الثقافة - كما بان بعدئذ - على درجات تبدأ بالسيطرة على وزارة المعارف وعلى الجامعة ، يتلوها تكوين اتحاد طلبة شيوعي ونقابة معلمين شيوعية ، ثم التصفية الاتية لمنسوبي المعارف والجامعة ولبرامجها التعليمية .

وبدا الزحف الشيوعي هادئاً خفياً ، وسط الحماس الثوري ، فاحاطوا بوزير المعارف يزكي بعضهم بعضاً وحاصروا الرؤوس الكبيرة في وزارة المعارف وافهموها ان بقاءها منوط بتخليص الوزارة من جماعات معينة ، فنجحوا في اخراج العناصر القومية من الوزارة او تجميدها ، وزكوا

« طغمة انتهازية » ، وفي غفلة من الدهر اخلوا المناصب الرئيسية واعطوا الباقي الى جماعة انتهازية تسير امامهم لا عقيدة لها ولا مبدأ ، واتخذوا خطوات مماثلة في الجامعة متجاهلين كل المقاييس الاكاديمية فجاءوا « بشلة من الرفاق والانتهازيين للعمادات » وراى الناس العجب . وعمل الشيوعيون عن طريق ممثلهم في الكليات لتبديل الاوضاع . ويتخذ الدكتور شاكر مصطفى وما شاهده في كلية الاداب مثلاً واضحاً . هنا رأى العميد يحيط نفسه بشلة من الرفاق مستلهماً وحيه من الحزب العتيق مستنداً الى الطبقة الشرفاء والى تأييد رفاق بيدهم زمام وزارة المعارف والجامعة ، وبدأ تنفيذ المخطط الشيوعي ، في تغيير قواعد القبول الى الكلية فالباب مفتوح لا امتحان ولا نظر للدرجات ، وتتدفق جموع الزاحفين من الطلبة الذين رسبوا في الثانويات فعبروا بمرسوم جمهوري وجلهم من المناضلين الشرفاء وبعضهم ممن قضى سنوات في السرايب والسجون فجاء ليستأنف نشاطه في الكليات . وبجنب هذه التعبئة توجيه جديد ينقذه الحزب الشيوعي . فقد جاء الطلبة « بروح الخروج عن كل نظام والسيطرة على ما في معاهدهم . فالدوام والتزامه خرافة ، وكثير من المواد والمحاضرات رجعية يجب الكفر بها ، واحترام الاساتذة ( طبقية مقبنة ) ، والحياة في الكلية ليست الا تصفيقا وخطبا ومظاهرات وقراءات صحف معينة ، وكتابة شعارات وتشجيع جنازات ، ثم نجاح اما بالزحف او على اساس تقدير الخدمات » . وانهار الاعداد العلمي ، فالمحاضرات حية ونيرة ان كانت وقفا على شرح النظريات المادية والشيوعية وتدعيمها وتسفيهها للدين وهدمها للقيم العربية « واذا رافقها سخرية من التاريخ العربي ومن مثله » ، وهي مملة ورجعية وتافهة اذا كانت اكاديمية او علمية . ولم يبق لمجلس الكلية اثر ، بل انها زمرة تتحكم وتقرر ، بيدها القبول والجدول واللجان ورسم الخطط وعقد الاجتماعات ، وليس لها هدف الا متابعة الخطر الشيوعي . ووهبت رئاسات الاقسام وسكرتارياتها الى هذه الزمرة .

وحاربت الخطوة الثانية في المخطط الشيوعي ، فكانت حكاية انتخابات اتحاد الطلبة ثم نقابة المعلمين . فالحزب الشيوعي يريد واجهات تعمل علنا لتحقيق تخطيطه ، وللطلبة اهمية بالغة . وكان واضحاً ان الشيوعيين والديموقراطيين اقلية فنظموا الحملة من فتح باب القبول الى تهديد للطلبة او اغرائهم الى اخراج الطلبة العرب من الانتخابات الى انحياس وتدخل واضحين من الادارات ، وانتهت القصة بانسحاب القوميين وتقديم قائمة واحدة هي القائمة الشيوعية - الديمقراطية . وهكذا ولد اتحاد الطلبة ليصبح ركيزة اساسية للحزب الشيوعي ولتتحكم في سياسة الكلية ( اية كلية ) تعليمية وادارية واجتماعية وليوجه نشاط الطلبة في خدمة الحزب الشيوعي .

وبدا الاتحاد بفرض هيمنة ، فباسم الحرية وباسم ( السهر على مصالح الجمهورية ) اتخذ من اعضائه ( حراساً للجمهورية ) يرقبون كل داخل الى الكلية وخارج منها ، ويرقبون حركات الطلبة والاساتذة في المرات وقاعة الدرس ، وباسم الديمقراطية اربعوا من يخالفهم في الراي حتى اتخذوا غرفة خاصة لاستجواب خصومهم وضربهم والتكيل بهم ، وشغلوا انفسهم بلافتات للمسيرات والمواكب والاجتماعات ، ولافتات كبيرة يعلنون عليها مطالب الحزب الام على مدخل الكلية . وباسم حماية الجمهورية كانت فرق منهم تسهر في الليل تراقب الناس في الشوارع والدور ، وجماعات توزع المنشورات . وصار الاساتذة والوقفون تحت رحمة الاتحاد ، ويكفي ان يصيح احدهم بان فلانا متآمر او رجعي ليجد

نفسه رهن الضرب او التوقيف او الطرد . وهذا الاتحاد نفسه وضع خطة لاتهم اثنين من المدرسين ، غاب احدهم صدفة وهو صاحب المذكرات فتعرضت حياة الثاني ، الدكتور محمد حامد الطائي ، للخطر ، وتدخل الجيش واستجوبه طويلا . وكان للاتحاد دوره في ارسال هذين الاستاذين للسجن بعدئذ .

وكان انتخاب نقابة المعلمين في نفس الاتجاه دبره الشيوعيون عن طريق ممثليهم اقطاب وزارة المعارف ، فوضعت لائحة النقابة من قبلهم ، ونظمت حملة جهنمية سداها الاغراء ولحمتها التهديد ونقل المعلمين ، وزورت ثمانية (هوية) لانايس ليسوا من سلك التعليم ليشاركوا ، ونظمت زمر تسلك كل سبيل لانجاح القائمة، ورشح المدراء العامون انفسهم ونجحت المحاولة بعد مقاومة عنيفة. وراحت النقابة تتعاون مع الوزارة في التوجيه الجديد واقطاب النقابة هم اقطاب وزارة المعارف طبعاً . وبدا التوجيه الجديد بنقل مئات من المعلمين وفصل الكثيرين منهم ووضع زمرة من الموالين والاتباع في مديريات المعارف والكلديات .

وعمل الحزب الشيوعي ، مستغلا الظروف والاضواء ، وباسم الحريات الديمقراطية وصيانة الجمهورية ، على ان يخلق « واجهات ذات قيادات شيوعية صرفة مغلقة باغلقة الخدمات الاجتماعية او المهنية . » واداد - بواسطتها ان يثبت نشاطه في كافة نواحي المجتمع وان يتخذ منها ادوات لظهار قوته ولتحقيق اهدافه . فعمل على تنظيم ( الشبسية الديمقراطية ) و ( انصار السلام ) و ( رابطة الدفاع عن حقوق المرأة ) ، ونقابات المعلمين والاطباء والمهندسين والاقتصاديين و ( اتحاد الطلبة ) و ( اتحاد نقابات العمال ) و ( اتحاد الجمعيات الفلاحية ) او غيرها ، وحاول السيطرة على الشارع بواسطتها وبطرق اخرى .

وجاءت ثورة الشواف فرصة ذهبية للحزب الشيوعي ، وهو الذي اعتاد افتعال الازمات وكهربية الجو بالتحدث عن مؤامرات وهمية ليستغلها لاغراضه ، فما احراه بان يجعل من هذه الثورة طريقا الى سحق كل من خالفه والى الوصول الى الحكم في مسيرة اراهابية عجيبة . ولن نتحدث هنا عن دور هذا الحزب في الاستعداد والتعبئة لجزرة الموصل قبل ان تحدث حركة الشواف بعد ان اوضح ( الرفيق ) رائد في مذكراته جانبا خطيرا من ذلك ، ولن نتحدث عما رافق ثورة عسكرية صرفة من سحل وقتل وحرق ونهب ، ومن تشكيل ( محاكم بروليتارية ) ابرز اعضاءها قصاب وتلميذ ومحام ، او ان نذكر التقديرات للقتلى وقسدت تجاوزت ثلاثة الاف ، لن نتحدث عن اسبابها وبرزها الارهاب الشيوعي ومحاولة فرض الشيوعية بكل سبيل وتحطيم العناصر العربية القومية واتهام الحايدين باعتبارهم عقبة في طريق مسيرة التحرر ، فهذه اشهر من ان تذكر .

ولنكتف بالاشارة الى ما تلا الثورة من اعتقال جماعي ، فقد فسر الشيوعيون مصلحة الجمهورية حسب وجهتهم ، وراوا انها « تتقن تجميد كافة العناصر الرجعية الخائنة المتآمرة ، والتي لا تتجاوب مع الثورة » ، فان حصلت الثورة فعلا في معسكر خارج الموصل فان العناصر الرجعية منتشرة في العراق من اقاصه الى ادناه . ولنا دفع بعشرات الألوف الى المعتقلات لحد متباينة وكان في هذا الخضم سبعة من الاساتذة احدهم كاتب المذكرات .

وقد بدأ الكاتب يومياته المنظمة كما يبدو من هذا الحادث ( ١٧ اذار سنة ١٩٥٩ ) وانتهى - فيما نشر - يوم ٢٢ اب سنة ١٩٥٩ . وقد اعطانا صورة ناطقة لما لاقاه منذ ان ترك داره حتى وصل سجن

الكوت . اخذ في جوف الليل مع زمرة من الاساتذة ، وقضوا ليلتهم تلك في مكتب ( مكافحة الاجرام ) ثم نقلوا الى سيارة لتأخذهم السى السجن الموعود ، ولاحظ شرطة تحيط بالسيارة وعرف انهم « ليمنعوا عنا اذى المناضلين الشرفاء » ( الذين يتجمعون ) ليظهروا تعلقهم بالجمهورية باهانتنا وايدائنا » ، ولئن افلتوا بقليل من ذلك بفقدان فان المناضلين اوصلوا الخبر الى ( شرفاء الكوت ) فاستقبلوهم استقبالا حافلا رغم تأخر سيارتهم ليلا . استقبلوهم عند باب السجن حيث تعرضوا لانواع الشتائم والهتافات المثيرة ، وحيث صبت عليهم القاذورات صبا حتى غمرتهم ، وضربوا بالهراوات وتعرضت حياتهم لخطر محقق - خطر السكاكين والفؤوس - في الفجوة بين السيارة وباب السجن - كل ذلك على مرأى من الشرطة !

وبعد ان يستقر الكاتب في سجن الكوت يعطينا صورة عن نسوع المعتقلين ، فهم « خليط عجيب من مختلف الوبة العراق ومختلف الاعمار والثقافات والمهن والامزجة . . » ، ويعود بسخرية مرة ليقول « كنا جميعا نشترك باننا جئنا الى السجن لاننا ( لا مناضلين ) و ( لا شرفاء ) ولاننا خونة متآمرون ولاننا لم نواكب الركب الزاحف نحو مشرق الشمس . . » واذا كان استاذ الانثروبولوجي يفهم سر الاعتقال ، فانه يتصف غيره حين يقول « الاغلبية الساحقة لا تعرف غير انها اخذت من الشارع او من بيوتها ومقرات اعمالها وهي حتى الان لا تعرف لاعتقالها سببا » .

ويبقى المعتقلون في حيرة من امرهم ويطلب بعضهم اجراء التحقيق معهم دون جدوى ، واخيرا جاءت لجنة تحقيق قصت في مهمتها اقل من ثلاث ساعات بين مائة وستة وثلاثين معتقلا ، وتكون حصته حوالي دقيقتين من الوقت لا يفهم منها الا ان الترشيح في انتخابات نقابة المعلمين على القائمة القومية يدخل في احتمالات التأمر .

وباتيك حديث عزل المعتقلين - لا صحف ولا راديو ولا سبيل للاتصال الخارجي ، ومضايقات مأمور السجن ، وهو شيوعي يعلن ذلك ويخط على جدار السجن (الموت لاعداء الحزب الشيوعي ) ، وهو يحرم حتى الجلسات المسائية للمعتقلين ، ويهدد دائما بان الشعب خارج السجن لا يريد هذا التصرف ولا يرضى عن ذلك .

ويقضي المؤلف حوالى شهرين في سجن الكوت لينفى الى العمارة ومنها الى بعقوبة ، ليشهد اعمال الحزب الشيوعي في ارجاء العراق . وقد رأى من الاذى والاضطهاد ما جعله يقدر لطف الشرطة - وحسن معاملتهم وينذكر الصورة القاتمة التي كونها الشيوعيون عنهم ، بل ويراهم « درعا حصينا ضد الطاعون الاحمر » ويشي عليهم فيقول « وكنا مع بالغ الاسف لا نقدر تلك النعمة بل كنا بلهاء لدرجة صدق بعضنا الكثير من دعايات الشيوعيين الفوضويين وكاذبيهم فيهم » .

وينظر حوله ليرى تحكم الشيوعيين وجو الارهاب الذي خلقوه واساليبهم . فهم يطلقون الاشاعات حول كل شخص غير شيوعي ويشرون حوله الشكوك ويحيطونه بدوامة من الكاذب والاراجيف « وهل أسهل في تلك الفترة من ان يتهم الانسان بالخيانة والوقوف ضد الجمهورية ! » وسعوا لنسف القيم والمثل وخلقوا جوا من الشكوك والرعب ، حتى تخلى الصديق عن صديقه والقريب عن قريبه ان لم يهاجمه امام المناضلين ليتظاهر بما يرضيهم . ويدرك استاذ الانثروبولوجي بتحليله ان الشيوعيين يريدون ان يعصفوا بالمجتمع القائم بتفكيك روابطه ، اذ « حطمو كل القيم الخلقية وعصفوا بكافة المفاهيم الاجتماعية ودمغوا بتحللهم واباحهم وغوغائيتهم وعدم التزامهم بسنن المجتمع وقواعد السلوك والتقاليد الى

أزمة اجتماعية حادة » .

ويحاول الشيوعيون تحطيم معنوية خصومهم ، فيدفعونهم الى طريق خبيث وهو اعلان البراءة من معتقداتهم السابقة ونشر ذلك على صفحات جريدتهم الحزبية ليضمّنوا بذلك اخلاء سبيلهم او رفع الضيق عنهم ، كما فعلوا مع سجناء الكوت .

ويرى الدكتور شاكر مصطفى في مدينة العمارة مثالا لسيطرة الشيوعية فالمدينة يحكمها ثلاثة من الشيوعيين لاسطة لاحد سواهم ، مدير الشرطة الشيوعي ومعلم ريفي هو رئيس اللجنة المحلية للحزب الشيوعي ورئيس جمعية المعلمين واربعمهم انتهازي جعلوه مدير معارف اللواء .

ويقف الاستاذ متاملا ، فيرى ظروف مدينة العمارة ملائمة لهذا التغلغل . فهي « مدينة يتمركز فيها الاقطاع بشكل شاذ مرعب ، وتسكنها اقلية وافدة لا عراقية ولا عربية ولا ترتبط بتربة الوطن .. واقلية اخرى مواترة » فانتشرت الشيوعية بسرعة ، « وسرى الاضطراب والخراب سريان النار في الهشيم وعمت الريف الفوضى وساد الارتباك بشكل لا يستطيع انسان معه ان يتخيل وجود حكومة او دولة !! وهم سمع الناس عن انجازات اهل العمارة في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي دون انتظار « الروتين الفكومي » ، وحين فحص صاحبنا هذا النجاح وجد امامه دكتاتورية البروليتاريا ، فقد « شاخ ( تزعم ) عدد من جياح البروليتاريا فاستولوا على الاراضي وطرّدوا اصحابها واحتلوا قصورهم .. وتصرفت عصابة الاصلاح الزراعي في اللواء - وكافة افرادها شيوعيون في مساحات شاسعة من الاراضي بيما وتاجروا دون سبر قانوني ودون ان يدخل ذلك في سجلات حكومية او يسجل في دوائر رسمية » . وهكذا تشهد العمارة ثورة فلاحية خارج قوانين الجمهورية واتجاهها المعروف . اما مدير معارف اللواء فحدث عنه ولا حرج . فهو يعمم منشورا للحزب الشيوعي في اطار كتاب رسمي على مدارسه ، ويخطب في المعلمين قائلا « ان من واجبات المعلمين ان يعلموا الطلاب المبادئ الماركسية وينشروها على الفلاحين » ، وهو يكره المعلمين والمعلمات على حضور مؤتمر انصار السلام في البصرة . وهو نفسه يرتدي ملابس المقاومة الشعبية ويشارك اعضاءها في تفتيش السيارات والتعرض للناس بالاذى وانتهاك الحرمة . واستدعى الدكتور شاكر مصطفى سليم في اواخر الشهر الثالث الى وزارة الدفاع ليقابل مدير الاستخبارات العسكرية آنذ ، ليجهده لولب حركة الاعتقالات ومهندس صيانة الجمهورية - في تلك الفترة ، فيرى بحضرته جمعا من ارجاء العراق ويستمع الى اقوالهم فيخرج بنتيجة واضحة ، وهي « انهم اعتقلوا واحتجزوا بتدبير الحزب العميل وواجهاته بتهم ملفقة وحوادث مفتعلة » .

ثم يحدثنا من حوارهِ الطريف مع ذلك المسؤول الكبير ، وخطر ما فيه انه يسمع تهليلا رائعا لفهوم حماية الجمهورية ولفلسفة الاعتقالات ، يقول المسؤول الكبير « بعد كل ثورة تتكون لدى الشعب حساسية قومية ، هذه الحساسية تستطيع ان تعين وتحدد بصدق وبدون ادنى تحفظ كل متآمر وخائن وموتور ورجعي وكل من لا يساير الثورة ويستجيب لها . وعلى السلطة ان تفسح المجال امام الشعب ليستغل هذه الحساسية في تعجيد عزل كل هؤلاء . » اذن فالامر للشعب ولحساسيته ، وعلى السلطات الحكومية ان تنمر للشعب ليقوم بمهمته . ولم يكن اعتقال الاساتذة الا عن هذا الطريق اذ يستمر المسؤول « ولا بد ان يكون اتحاد طلبة كليتك او جهة شعبية ادنى سوهذه ولا شك منظمات شعبية مخلصت شعرت انك من هذا الطراز فاعتقلوك . » وعاد المسؤول بعد فترة صمت

ودهشة من الكاتب ليؤكد « الشعب حر في شل العناصر الرجعية والتآمرة وفي تجريد الخونة وسحق نشاطاتهم . » وهكذا كانت الحساسية الشديدة للمنظمات الشعبية ، واجهات الحزب الشيوعي ، وراء تلك الاعتقالات الواسعة .

وكان من انشط تلك المنظمات ( المقاومة الشعبية ) ، فقد قامت بالدور الاساسي في التكنيل باهالي الموصل ، وفي الحراسات الليلية المشبوهة في المدن الكبيرة ، وفي تفتيش الدور بحثا عن اسلحة مزعومة ، وعن مستمسكات ووثائق او منشورات قومية تدّين المشبوهين لاعتقالهم . وكانوا يفتشون دون تخويل في كثير من الاحيان وينتهكون حرمة المنازل ، هذا الى تفتيشهم كافة السيارات المارة في الطريق وقيامهم باعمال هي من صميم اختصاص رجال الجيش والامن ، فلم يبق امن او هدوء . وهي حرية بذلك ، فالمقاومة الشعبية ( من اكبر مكاسب ثورتنا الخالدة ) وهم - طليعة حماة الجمهورية و ( الجيش الاحتياطي لها ) و ( الميون اليقظة الحارسة لهذا الوطن ) . ولم يحرم الوطن من حرصهم وجهودهم الا في الصيف الماضي وبعد ان بلغ السيل الزبى .

وما جاء شهر ايار الا واصاب الحزب الشيوعي نجاحا ساحقا في كل مكان ، « فهذه المقاومة الشعبية مسيطرة تفتش وتلقي القبض وتتحرى البيوت » ، وهناك ( حماة صيانة الجمهورية ) التي نظمها الشيوعيون من صفار الموظفين والمستخدمين ، تتحكم في الموظفين و « تعيث في دوائر الدولة فسادا » فتتهم من تريد وتشل من تريد وكانها لا سلطة فوقها ، واحتجبت الصحف عن الصدور او حجبت « غير الصحف الحمراء العميلة » واصبحت الاذاعة « حمراء صارخة مسخرة للحزب العميل بشكل مخجل » مناهج التلفزيون وقف على ابطال المناضلين والمنظمات الشعبية .

وبعد ثورة الشواف اتم الرفاق ( تعبئة كبرى ) لكافة منتسبي وزارة المعارف فكسحوا كل مدرء المعارف واحلوا رفاقا محطهم واسندوهم بمعاونين ومفتشين على شاكلتهم ، ولم ينسوا تحدي لواء الرمادي لهم في انتخابات نقابة المعلمين ، فشتتوا معلميه ومعلماته الى زوايا الوطن وابدلوهم برفاق شرفاء ، ثم جمدوا عددا واسما من المعلمين والمعلمات في ارجاء العراق حسب توصيات اعتمادات الطلبة واللجان المحلية للحزب الشيوعي وفروع نقابة المعلمين ومدرء المعارف ، واخضعوا الباقيين لرقابة شديدة ومتى بدرت اية بادرة فهم اوعزوا باعتقالهم وعلى اتحاد الطلبة والمقاومة الشعبية التنفيذ فورا .

وترادى للحزب الشيوعي انه مهد بما فيه الكفاية وانه اصبح متنيا لاختذ السلطة . فطلب المشاركة في الحكم وطرح شعاره « حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيم » ، و « سبع ملايين تريد حزب الشيوعي بالحكم . » وهنا يدخل الكاتب في عملية حسابية - تذكر بقصة النحوي مع حرف الجر - ليرى سلامة الاحصاء وينتهي بعد جهد الى نتيجة منطقية واحدة وهي سلامة الادعاء مع بديهية حتمية وهي ان شعب العراق ١٤ مليون لا سبعة ملايين .

ولا اراني بحاجة لتابعة الفترة بعد ايار ويكفي ان اقول ان طلب المشاركة في الحكم سحب في الظاهر ليتخذ شكلا اخر واستمرت مسيرة الحزب الشيوعي الظفر حتى ١٤ تموز سنة ١٩٥٩ حين حصلت مجازر كركوك الدموية الفوضوية وظهرت مخططات في نفس الاتجاه الدموي لانحاء متعددة من العراق اوقفت في حينها ، ومنها ما وجد في مقر اتحاد الطلبة العراقي في بغداد من خرائط ومخططات لبيوت تنسف وتحرق وتهدم وقوائم باسماء الالوف في بغداد يجب ان يقتلوا ويسخّلوا ويدفنوا احياء .

لا تتفق اراؤهما ، فيودعه ملاخي ، ويفادر الدار ، في حين ينبعث صوت الصدى ، يحدث نثنائيل ، انقسمت شخصية نثنائيل حتى تجسد ذلك الانقسام بشخصية جديدة هي .. « الظل » . وتدخل سارة ، الى بيت حبيبها نثنائيل .. تحدثه .. تعرض عليه قلبها .. ولكنه يرفض . يريدنا صديقة تصفي اليه . الى حديث عقله . يقول لها : « سارة تشبه بي عيشي بعقلك . » فتجيبه « انعرف ماذا تطلب مني .. ان اكون صخرا يطحن من يفيء الى ظله .. آه .. قلبي معك . كلبي معك وانت غائب لاتعي كلمة مني .. لا تشعر بوجودي . »

في الفصل الثاني يتجسد الظل حقيقة ثانية لبطل المسرحية . انه الانسان الآخر ، الشرير ، الشهواني ، الانتهازي ، يفري سارة ويحتضنها .. ثم يخرج ، ويدخل نثنائيل .. الحقيقة الاولى للانسان بطول المسرحية ، فتكاد سارة تصعق وتجن . تهرب منه . بعد ان تياس ، وتلتصق « بعاد » الشخصية التي لا تظهر على المسرح بينما تثر في الفصول كلها حركة نشيطة . « عاد » هذا يأخذ سارة ويقتصبها . ثم يعود الى بيت نثنائيل ، فيلقي الخادمة ، فيفلق الباب عليها ويقتصبها هي الاخرى ، انه الذئب يفترس الضحايا دون وازع ولا ضمير . انه انسان اللذات . الانسان الوحش ..

وفي الفصل الثالث ، يفادر الجميع بيت نثنائيل . ملاخي يفادر الدار ليأخذ سارة بعد ان عرف بخطيتها . وصفينا يأخذ الخادمة راحيل ويرحل . ويبقى الانسان نثنائيل يحاور ظله .. دون ان يجد اي مخرج على الاطلاق . وبذلك تنتهي المسرحية لتقول لنا ان اصل للانسان الوحيد ، ان صخرة سيزيف ستظل تتحدر ثانية وسيظل الانسان يحملها الى الابد .

وشخصيات المسرحية « الهاوية » هي شخصيات نمطية ، عكس شخصيات مسرحية سارتر ، التي تقدم لنا شخصيات مريضة ، « فساراجان » جيان هرب من خطوط القتال ، و « استيل » امرأة تخون زوجها وتقتل طفلتها ثم تصاب بالسل . اما « انيز » فهي امرأة منحرفة « لا تهوى الرجال » تقتل ثلاثة اشخاص . كل هؤلاء اصناف من « الكلاب الملعونة » فهل كانت شخصيات مسرحية « الهاوية » من الصنف نفسه ؟ ان شخصيات الهاوية كما قلنا نمطية ، ليست شاذة ولا مريبة ، ولا منحرفة . نثنائيل في الحوار كله لا نستطيع ان نتبين ماضيه ، كل ما نعرفه ان مشكلة الوجود تثقله . مما يجعلنا نعتقد انه مقطوع الجذور . وكذلك الامر مع « ملاخي » و« سارة » .

وقد رسمت الشخصيات بواسطة الحوار دون ان يكون للمواقف التي يقفها الابطال ما يفسرها .. وذلك يرجع الى طبيعة الموضوع الذي تعالجه المسرحية ، الذي هو في الحقيقة موضوع فلسفي والفلسفة كما نعرف تدرس الكون بوجه عام دون نظر كبير في الحياة الانسانية . وليس من المصادفة ، ان يختار المؤلف اسماء اسطورية لابطاله . ان الشخصية الاسطورية لها من السمات المعروفة العامة ، ما يجعل القارئ يتقبلها ويفهمها مع اضافة المحتوى الفلسفي لها ، بالطبع .

شيء اخر تنفرد به « الهاوية » عن الجلسة السرية ، هو المكان . فال معروف ان جان بول سارتر اختار الجحيم مكانا لمسرحيته والجحيم الذي اعد سارتر هو غرفة صغيرة ليس فيها نار موقدة انما بعضى الاثاث البسيط . لا نوافذ .. لا مرايا .. اما المكان الذي اختاره صلاح كامل فهو مكان ما في هذا العالم ، وغرفة بسيطة تفرق زاويتها الخلفيتين في الظلام . وقد اختار صلاح كامل شخصيات حية ، لم يختار

واهتز العراق كليا وكان رد الفعل شاملا وقويا ، وبان صدهاء في تراجع شكلي للحزب الشيوعي في بيانه في اب سنة ٥٩ وعادت بعض الصحف القومية للصدور وكان مجال نشر هذه المذكرات ..

وقد يتساءل القارئ بعد هذا : وأين المنظمات القومية ، وكيف وقفت من الحركة الشيوعية ؟ وأين عروبة العراق وهل صمدت القومية العربية؟ والكاتب يعرف انها قوية في العراق وان القسوى في غنى عن تعريفها بنفسها . انما اراد ان يعرض جوانب من الخطة الشيوعية ، واراد ان يفهمها الناس كما ادرکها هو ، يكفي انه قدم اول محاولة جديده من نوعها ، ومعرفة الخصم بداية طريق جديد .

ع. د

## الهاوية

بقلم صلاح كامل

مسرحية في ثلاثة فصول - دار الطليعة بيروت - ١١٢ صفحة .

« الهاوية » مسرحية فلسفية جديدة ، صدرت حديثا عن دار الطليعة بقلم الناقد الفنان « صلاح كامل » وقد اضاف بها الى القالب لقباً جديداً هو « الكاتب المسرحي » . والذي يكسب هذه المسرحية قيمة في ادبنا المسرحي ، انها اول مسرحية فلسفية توضع باللغة العربية حتى اليوم .

والمسرحية الفلسفية بين فنون المسرح اصعبها جميعا لأنها لا تعتمد على الحدث والصراع ، بل تعتمد عنصري الحوار والشخصية . وفي مسرحية صلاح نتبين هذه الخصائص بوضوح . ان المسرحية تسير في خط مستقيم واحد ، دون ان ترتفع الاحداث الى قمة ، ودون ان تنأزم المواقف ، لتنفضي من ثم الى النتيجة او النهاية . لذلك فالمسرحية الفلسفية تتناول اول ما تتناول مشكلة انسانية تعالجها على الصعيد الفلسفي . ويتقضي ذلك دراسة عميقة لشخصية الابطال وعملية اغناء واسعة للحوار . تعالج مسرحية الهاوية مشكلة لها اهميتها البالغة . الا وهي مشكلة الآخر l'autre اعني ذلك « الغير الذي نحيا معه ونعمل له حسابا ونميل الى تحقيق ضرب من المشاركة معه » وهي المشكلة نفسها التي اختار الجحيم مكانا لمسرحيته ، اما صلاح فقد اختار « غرفة بسيطة .. زاويتها الخفيتين غارقتان في الظلمة ! » اشخاص المسرحية خمسة ثلاثة منهم رئيسيون هم نثنائيل بطل المسرحية المنقسم الشخصية ، الذي يبحث دون جدوى ، عن معنى الوجود والحياة ، وملاخي صديقه الطيب الوفي .. وسارة ، الفتاة التي تحب نثنائيل ، ولا يشعر هو بمجرد وجودها ، اما صفنيا وراحيل ، فهما خادمان عند نثنائيل ..

■ يقدم لنا الفصل الاول من المسرحية مشكلة نثنائيل الانسان المنقسم الشخصية الذي تعذب الحيرة ، في حوار مع صديقه ملاخي ..

■ يقول ملاخي سائلا نثنائيل : « ما يربطك بالحياة ؟ »  
يقول نثنائيل : « ايماني بالقيم علة وجود الانسان » .

وبذلك الحوار الممتع ترسم لنا شخصية نثنائيل ، وهي الشخصية ذات الاستقامة الذهنية العنيدة ، الشخصية التي تقس الاخلاق ، وفي الوقت نفسه تقف مشدودة امام احداث الحياة ، لا تدري لها تعليلا ان نثنائيل يرفض الآخرين ، لانه لا يستطيع ان يفهمهم . لكن هل عدم الفهم هذا هو الذي يبرر الكراهية ، هل يحتاج الحب الى الفهم .. ذلك ما يبحث عنه نثنائيل بطل المسرحية . وتجري الاحداث ، ملاخي ونثنائيل

# الحب والمطر

احسن ان درينا	وربما ستجهض السراب ..	احسن ان في دهي الهة
موله بحبنا ...	احب يا رفيقتي ان باكل الشتاء من	تسكن في عروقي . .
وربما احسن ان الرمل سرف	اعناب وهمنا	لذيذة نكهتها ..
يورك ...	احب ان يسحقه الضباب	احسن ان مقلتي سارتا كجرتي
وانه في بعده ، على هوانا	ان تصلبه المطر	نبيل
يشفق ..	لنلتقي ..	وانني سرقت من عينيك خصلة من
وان تموز الذي للمنا	واتقي بقلبك الجدول من حنين ..	الجمال
يبكي على آهاتنا ..	عريضة الضياع .. والانيين ..	وان زورقي حائرة اضلاعه
تموز عندنا حكاية تغلي على الشفاه .	رفيقتي	تحلم باللال . .
تموز خصب ..	احسن ان بيتنا الصغير قد غدا	تبحث عن شواطئ عميقة عميقة
تموز حب . .	جزيرة	طعامها المحال ..
ونسغه النضال ..	مغروسة باضلع المياه	كمقلتيك يا رفيقتي ..
فمزقي آهاتنا ..	واننا نوزع الحياه ..	احسن ان وهمنا ، جرحنا
واورقي في الرمال	لاخوتي الصغار موجة ..	وربما رؤاه عنبت ،
يا رفيقتي ..	وموجة للارض امنا ..	وعسلت . .
	وللرفاق الف موجة وموجه	وان خطوك الوسيم يهصر العنب .
	شفاهها لا تتعب . .	بخيلة اعناب وهمنا

جامعة دمشق عدنان كيلاني

تحتوي كثيرا من الالوان .

«لكي نفهم الانسان ، يجب ان نحب الانسان» هذا هو هدف المسرحية .  
ولفظه « الانسان » مطلقة هكذا .. لا تفيد معنى محددا . ان الانسان  
انواع . ونوعية الانسان تحددها في الغالب ظروف الفرد الداخلية  
والخارجية . لذلك « فملاخي » هنا في مسرحية الهاوية نموذج نادر .  
وقد اغفل المؤلف ان يبين العلاقات البشرية والظروف التي كونت هذا  
النموذج للانسان الطيب المحب . اننا لا نطلب من الانسان في عصرنا ان  
يكون قديسا ، او ان يرفض الحياة ، كل ما نطلبه منه ان يكون عنوانيا ،  
ان لا يكون شعار « عاد » كن ذنبا والا اكلتك الثياب .  
ولا يستطيع اخيرا الا القول بان الهاوية قد سدت فراغا كبيرا في  
مسرحنا العربي . وتلك اقل كلمة يمكن ان تقال فيها .  
سمير قنبر

شخصيات ميتة كما فعل سارتر . لان سارتر يعتقد ان الاخر لا نستطيع  
القضاء عليه لانه ميت بالفعل ، وهو خالد في عدميته ، واقف بالمرصاد .  
وتقديم الهاوية لشخصيات حية عكس لهذه النظرية « ففي كل مرة  
تزاو الانا انيتها ، تجد ذاتها جبرا حيال الاخر ، ان الانا تدرك ذاتها  
في ذات سواها ، عن طريق الاخر ، حينما تحتضن الام طفلها انما تحتضن  
ذاتها في ذاته . تحضن جسم جسمها . وهكذا حين يقبل العاشق  
ممشوقته . »

ولكن من هو « الاخر » .. هل هو فرد قائم بذاته ؟  
ان الاخر في مسرحية الهاوية ليس « ملاخي » الانسان الطيب فقط ،  
بل انه ايضا « عاد » . لذلك فاذا كان « الجحيم هو الآخرون » كما  
يقول سارتر ، فليس الاخر دائما هو الانسان المحب الطيب . انه مزيج  
من هذا جيمما . والحقيقة ليست صورته واحدة بيضاء او سوداء ، انها

# الحب والمطر

احسن ان دربنا	وربما ستجهض السراب ..	احسن ان في دهي الهة
موله بحبنا ...	احب يا رفيقتي ان باكل الشتاء من	تسكن في عروقي . .
وربما احسن ان الرمل سرف	اعناب وهمنا	لذيذة نكهتها ..
يورق ...	احب ان يسحقه الضباب	احسن ان مقلتي سارتا كجرتي
وانه في بعده ، على هوانا	ان تصلبه المطر	نبيل
يشفق ..	لنلتقي ..	وانني سرقت من عينيك خصلة من
وان تموز الذي للمنا	واتقي بقلبك الجدول من حنين ..	الجمال
يبكي على آهاتنا ..	عريضة الضياع .. والانيين ..	وان زورقي حائرة اضلاعه
تموز عندنا حكاية تغلي على الشفاه .	رفيقتي	تحلم باللال . .
تموز خصب ..	احسن ان بيتنا الصغير قد غدا	تبحث عن شواطئ عميقة عميقة
تموز حب . .	جزيرة	طعامها المحال ..
ونسغه النضال ..	مفروسة باضلع المياه	كمقلتيك يا رفيقتي ..
فمزقي آهاتنا ..	واننا نوزع الحياه ..	احسن ان وهمنا ، جرحنا
واورقي في الرمال	لاخوتي الصغار موجة ..	وربما رؤاه عنبت ،
يا رفيقتي ..	وموجة للارض امنا ..	وعسلت . .
	وللرفاق الف موجة وموجه	وان خطوك الوسيم يهصر العنب .
	شفاهها لا تتعب . .	بخيلة اعناب وهمنا

عنان كيلاني جامعة دمشق

تحتوي كثيرا من الالوان .

«لكن نفهم الانسان ، يجب ان نحب الانسان» هذا هو هدف المسرحية .  
ولفظه « الانسان » مطلقة هكذا .. لا تفيد معنى محددا . ان الانسان  
انواع . ونوعية الانسان تحددها في الغالب ظروف الفرد الداخلية  
والخارجية . لذلك « فملاخي » هنا في مسرحية الهاوية نموذج نادر .  
وقد اغفل المؤلف ان يبين العلاقات البشرية والظروف التي كونت هذا  
النموذج للانسان الطيب المحب . اننا لا نطلب من الانسان في عصرنا ان  
يكون قديسا ، او ان يرفض الحياة ، كل ما نطلبه منه ان يكون عنوانيا ،  
ان لا يكون شعار « عاد » كن ذنبا والا اكلتك الثياب .  
ولا يستطيع اخيرا الا القول بان الهاوية قد سدت فراغا كبيرا في  
مسرحنا العربي . وتلك اقل كلمة يمكن ان تقال فيها .  
سمير قنبر

شخصيات ميتة كما فعل سارتر . لان سارتر يعتقد ان الاخر لا نستطيع  
القضاء عليه لانه ميت بالفعل ، وهو خالد في عدميته ، واقف بالمرصاد .  
وتقديم الهاوية لشخصيات حية عكس لهذه النظرية « ففي كل مرة  
تزاو الانا انيتها ، تجد ذاتها جبرا حيال الاخر ، ان الانا تدرك ذاتها  
في ذات سواها ، عن طريق الاخر ، حينما تحتضن الام طفلها انما تحتضن  
ذاتها في ذاته . تحضن جسم جسمها . وهكذا حين يقبل العاشق  
ممشوقته . »

ولكن من هو « الاخر » .. هل هو فرد قائم بذاته ؟  
ان الاخر في مسرحية الهاوية ليس « ملاخي » الانسان الطيب فقط ،  
بل انه ايضا « عاد » . لذلك فاذا كان « الجحيم هو الآخرون » كما  
يقول سارتر ، فليس الاخر دائما هو الانسان المحب الطيب . انه مزيج  
من هذا جيمما . والحقيقة ليست صورته واحدة بيضاء او سوداء ، انها

هي : رأيتك بالأمس

هو : لكنني رأيتك في غدنا المرتقب

هي : وماذا تريد من الغد اني  
وأمس .. ألملم اطرافه

هو : ولكن أمس نشرت له  
دمي لينضر جذع الحياة

هي : وما شأننا بالحياة اذا  
بعدت .. ولم يبق غيري هنا

هو : ومن قال ان غدي تائه  
دعي غدنا يا حبيبة قلبي  
ولكنه أمل .. ذكريات  
وفيه حصاد الاماني فيه ..  
وفيه سيخضل عود الربيع ..  
واني سأهجر أحلامنا  
دعيه .. فلسنا غدا وحدنا  
وشعب سعيد وخصب ونور  
هزامير افراحنا والسرور  
ويندى جبينك مثل الزهور

\*\*\*

هي : وماذا عن الغد غير الكلام ..  
افي كل يوم تقول : غدا ..  
انا الليل حتى يجيء الصباح ..  
مللت الفراغ .. كرهت الضياع ..  
فقد يا حبيبي من الغد حتى ..  
وأطوي جناحي بين ذراعيك ..  
وغير الاماني .. غير النواح  
وفي كل ليل تقول : الصباح  
انا الامس حتى يهل الغد  
سئمت وقلبي لظى يحقد  
أذوب ثغري في شفتيك  
أشرب كأس في راحتك

هو : وماذا عن الشعب ؟

هي : ما ذنبنا ؟!

هو : أليست له كل أيامنا ؟!

\*\*\*

هي : وماذا عن الحب ؟!

هو : يا ويله

سيورق حتى تهب الرياح  
ويذوي .. يموت كما ينتهي  
تعالى لبنني معاً للفسادة  
تعالى لنروي ارض الخراب  
تعالى لنصنع مستقبلاً  
هلمي فان الربيع غدا ..  
وتمشي مواكب اجيالنا ..  
ونهصر كل عناقيدنا ..  
بجوف الضباب .. بأرض خراب  
فتعصف بالغصن هوج الرياح  
على الصخر في الليل زهر الاقاح  
لنصنع تاريخنا .. مجدنا  
ليهدم معولنا حذبنا  
ونفوس في عمقه حننا  
سيخضر .. يخضر في أرضنا  
ونسعد في ظل راياتنا  
ونجني معاً كل اشواقنا

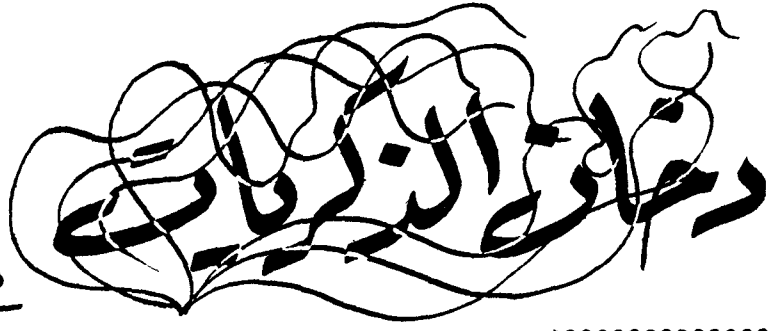
عبد العزيز عبد الفتاح محمود

القاهرة

حور

# قصّة

بقلم  
يوسف أحمد الحسني



ادر مدى صحة تلك القرابة ، ولكن الذي علمته فيما بعد بان جدتهم  
لامهم تمت ببعض اصولها الى هذه البلدة . . .  
واشقاؤهم هم وحدهم كانوا يرتدون البناتيل القصيرة بين كل اولئك  
التلاميذ ، كما كنت وحدي الذي ارتدي شروالا ابيض فضفاضا طويل  
الذيل ، فيما يجعلني اظهر كالكلب الابيض بين قطع من الماعز الجبلية .  
كانت تجلس في اول مقعد مع انها في الصف الثالث الذي يتأخر حتى  
منتصف القاعة ، وتجلس الى جانبيها ابنة الجندمة لطفي وابنة السائق  
الوحيد في البلدة وهما في الصف الاول ، واذا لم تجلب ابنة الجندمة  
معهما شقيقتها التي لم تستطع الكلام بعد ، فان هذا المقعد يبقى لهن  
وحدهن ، مع ان الصبيان يرتصون عشرة عشرة في كل مقعد .!  
وفي الوقت الذي نكون نحن فيه واقفين كصفوف الحمير امام  
سطحة مائية في يوم ماطر ، والمعلم ابراهيم ، ينتقل من طالب الى اخر  
ناظرا في اذنيه بدقة النحلة التي تتقرى الازهار في سنة مجدبة ومقلبا  
تنايا الثياب حول الاعناق ، ثم ناظرا الى اظافرنا . . ونظافة الايدي  
التي يتراكم عليها الحبر كاننا عمال في مصبغة الف لون ولون . . . في  
هذا الوقت تكون هي واقفة بجانب الباب تضحك منا ، كما يضحك منا  
رجال تلك الحارة الذين لايزاولون عملا الا الهجاء مع الصباح الباكر  
الى هذا المقهى الذي يقوم امام المدرسة . . وعندما ينحى منا من ينحى  
ويؤذن بالدخول ، تكون هي اول من يدخل .

وكان هذا المعلم يطلب اليها والى ابنة الجندمة ، ان تقفا على المقعد  
الاول ، وتشدان « موطني » و « بلاد العرب اوطاني » و « حماة الديار »  
ونحن واقفون ننتظر الإشارة بالتصفيق . وبالرغم من صغرهما ، فقد  
كان انشادهما مؤثرا جدا يملا اكتافنا بحمي ذات نشوة حماسية مثيرة . .  
وصار اكثرنا ينشد هذه الاناشيد التي كانت تنشد في مدارس البلاد  
لاول سنة ، ليحس فيها بنبرة الصوتين اللذين كان فيهما كل ما في البلاد  
من حماس لئيل استقلالها ، سواء بطريقة الثورة التي مافتتت تنشب في  
البلاد منذ دخول فرنسا ، وسواء بطريق المفاوضة التي كان يجريها وفد  
البلاد في باديس . . ربما في ذلك العام بالذات . .

وهذا المعلم كان اول مايبدا بالصف الثالث - ربما لانها هي فيه - وكان  
« لايسمع » لها الا بالحاح شديد طويل . . . اما اصبعها فانها لا تكساد  
تخفض كانها السارية التي يرفع عليها العلم في صدر المدرسة . . فهي  
ترفعها في القراءة . . وفي الحساب وفي كل ماتبقى من المواد . . وانكى  
من هذا انها كانت ترفعها ايضا عندما يعجز احد تلاميذ الصف الرابع  
عن الاجابة على اسئلة المعلم . . . وكانت تعرف الجواب الصحيح مما  
يجعلها تركب على ظهر الصوان وحريش من ذلك الصف . . وفي الصف  
الثالث ، فقد كانت ترتفع على ظهر « الداعي » اكثر من مرة في التسمية

نظرت الي وفي ابتساماتها مالا يعلمه الشقيق الذي عرفها على قائلا :

- الاديب الكبير . . . الشاعر . . .

فقالته :

- اعرفه

ثم التفتت الي بالباقي :

- كنا معا . . . اظنك لم تنس ؟

ولعل فمها لم يكن كبيرا الا ليضحك هذه الضحكة الكبيرة . وكان  
الباص قد وصل ، فصعدا اليه ، بينما بقيت انا في مكاني انظر الى  
مؤخرة الباص حينما ، والتفت الى كنفني حينما اخر ، وكان دوائر شبيهة  
بالدوائر التي تنبعث من الماء الذي القى فيه بحجر ، كانت تنبعث من  
وراء الباص وتزداد اتساعا ، حتى اتصلت بذلك الماضي الذي لو قدرته  
بقامتة الرشيقة وباناقة مارتديه من ثياب وبما تحمله بداها وصدرها  
واذناها من حلي . . . لو قدرته باهداب عينيها التي لها دقة شوك الصبار  
وبعلامتها التي تشبه ادوات الساعة الصغيرة ، لو قدرته بهذه الاشياء  
لبدا ماضيا بعيدا كأنه من اجيال سحيقة .!

ولو لم أرها مع شقيقتها . . لو لم تقل « كنا معا » لما عرفت بانها  
قد ركبت على ظهري اكثر من مرة ، وباني قد رحت وجئت بها في ذلك  
الممر الطويل بين صفين متوازيين في تلك القاعة المستطيلة بين الضحك  
والتصفيق ، وكلما ظننت بان العقاب قد انتهى نهرني المعلم قائلا : « يالله  
شوطا اخر . . . »

وعلى واحدة من تلك الدوائر رايت معطفها البرتقالي . . . واحسست  
بنعومة جنبها اللذين لا بد لي من امساكهما لئلا تسقط ، كما احسست  
ايضا باظافرها التي كانت تفرزها برقبتي التي تمسكني منها !.

كنا في الصف الثالث الابتدائي . . . وكان ذلك اول عهدي بالدراسة .  
كنا اربعة صفوف في تلك القاعة . . وكانت هي الانثى الوحيدة في صفنا  
الذي لا يقل عن الثلاثين تلميذا . . وكانت المدرسة كلها كأنها ملكها هي ،  
فشقيقتها الكبير رئيس الصف الخامس ، والثاني رئيس الصف الرابع ،  
وشقيقتها التي تصغرها رئيسة الصف الثاني ، وهي رئيسة الصف الثالث  
وشقيقتها الكبيرة النحيفة ذات السمرة الكالحة والانف النافر كقرن الموز  
في أعلى السلة ، كانت يداها تنسج صوفا مختلط الالوان ، وهي تتحدث  
في قاعة الصف الخامس مع اولئك الشباب الذين يرون بانفسهم طليعة  
الجيل المتعلم الذي سيتقدم هذا العام لشهادة السرتيفيكا التي كانت هي  
قد نالتها بقسميها الافرنسي والعربي منذ سنتين . .

كانت المدرسة تتصل ببيتهم ببوابة صغيرة ، وهي والبيت ملك لمدير  
المدرسة الذي يقوم عليهم مقام ابيهم الذي هاجر الى الارجننتين ، بمسد  
ان نقلهم الى هذه البلدة التي يكثر فيها من يناديهم « ابناء خالتي » ولم



الواحدة .. ناهيك عن ظهر الباشا الذي لا تكاد تنزل عنه حتى ترتفع اليه من جديد الى حد جعل المعلم يأمره ان يسمع وهي على ظهره .!  
كان ذلك اهانة قوية ، اذ لا يكفي ان تحمل على الظهر .. ثم الرواح والحجى بها بين الصفين ، وانما كانت تقال كلمات دسمة من المعلم ولكن دسمها مر ذليل ، وهذا مادفع الزميل حريش ، ولعل هذا اللقب مأخوذ من كثرة حركته ورشاقته في الحركات ، الى الاقتراب ، في اليوم الثاني ، من مقعد الى مقعد حتى صار وراءها مباشرة دون ان يلتفت نظر المعلم .. وفي غفلة من الجميع صاح بتقزز : « قمل .. قمل .. قمل .. » ثم نهض وبصق ذات اليمين والشمال ..

التفت الجميع الى حيث تعودوا ان يلتفتوا اذا ماسمعوا مثل هذه الصيحة ، التي كانت تسمع كل يوم تقريبا ، ولكنهم لم يروا يده تشير الى محمد الديب من البلدة ذاتها ، او الى اولاد ضيعة القصيبة ، ولا اليانا نحن ابناء ضيعة اخرى ، وانما رآوه يشير اليها هي .. الى كنفها . حاول المعلم ان يكذب بقوة وهو لا يزال على كرسيه وراء الطاولة مما يلي الباب ، ولكن حريش وضع يده على القملة .. وهي تسمى لتفرز نفسها في ثنية العطف البرتقالي الثمين .. وقال للمعلم : « تعال .. انظرها .. كحلاء منبئة .. ! »

وقبل ان توجه هي اي اتهام .. وقبل ان تدافع ، اندفعت في البكاء .. فقام شقيقها من الصف الرابع .. وجاء الاخر من الصف الخامس ، وكادت تأتي الام ايضا من البيت .. وربما كانت قد اتت .. فقد اخرجنا نحن من القاعة ، لنسمع صراخ الزميل بعد فترة ، ثم رأيناه يخرج من الباب حبوا على يديه وربتيه وقدماه مرتفعتان الى الاعلى كسافي بعض الجناب ، ولكن لسانه منطلق باتهامات جريئة شنيعة .. ويتهدد المعلم في القريب العاجل .. ثم اطلقت الصفارة بفضب .. وبعد ان وقفنا في الصفوف قال المعلم بان حريش استحق هذا العقاب لانه نقل القملة اليها من تلميذ اخر .. ثم قال : « كل تلميذ يوجد عليه قملة بعد اليوم فهو مطرود من المدرسة طردا نهائيا .. فكونوا على حذر ! »

كان لنا - ابن خالتي وانا - نصيب وافر منها هي بالذات ... فقد كانت المدرسة تترك مفتوحة لنا في الظهيرة لتتناول طعام الفداء الذي كنا نحملة في الكيس المربع المفتوح من الاعلى ، مع الدفاتر مع ماعطيناه من كتب ، ونعلقه بالكثف ، او اذا كان الهواء شرقيا جعلناه بعد العنق مما يلي الكثف الثانية .. ثم نضعه في « درج » المقعد الى ان ينصرف التلاميذ فنخرج ارغفة الشعير السمراء التي يرسم فيها القش خطوطا كملامح النورية الجذابة ... ومن فوقها الادام الذي اكثر مايكون زبدة لاتخلو من صلابة .. وكانت اول مرة تخرج فيها من البوابة فوقفت لحظة كالغارة التي ترى صاحب البيت .. وكانت تأكل شيئا ما .. التفتنا اليها ، ولكنها رجعت واغلقت البوابة .. ولا ندرى ان كانت قد سمعت دعوتنا لها لمشاركتنا ذلك الطعام .. ام ان صوت اغلاق البوابة السريع كان اعلى من اصواتنا .!

وفي بعض الايام كنا نتقاسم الطعام مع اولئك الذين يحرمون من الفداء ويقفون تحت حراستنا .. وفي ذات الوقت نمنع ادخال الطعام الذي تاتي به امهاتهم خوفا من المعلم .. ولكن هذا لم يمنع بعضا منهم في احد الايام ، وكانوا حوالي الستة ، ان يكمنوا لنا في طريق العودة وبفاجئتنا برشق الحجارة وهم يقولون : « يا فلاحين .. يا اولاد الفلاحين انتم تاتون من الضيعة لتقفوا علينا حراسا .. ثم لتطعمونا خبز الشعير طعام الحمير .. كلوها ! »

وجاءت مرة ثانية .. اقتربت اكثر واكثر حتى وضعت يدها على المقعد الذي ناكل عليه ، ولكنها لم تقبل لقمة بالرغم من اننا غمسناها بالزبدة جيدا .. وبالرغم من ان عينيها كانتا ثابتتين بشدة على ما امامنا .. فلنناها ذهبت كالعادة .. ولكنها مالبثت ان رجعت وقالت :

- ماهذا الذي تأكلونه ؟

- محشيات بالقريشة البصل السمن !

- هل هو طيب ؟

- وفتحت عينيها كالريش الذي تجرع علاجا مريحا .. وعادت تقول :

- ومن اين تشترونه ؟

- اننا نصنعه في البيت ولا نشتره ..!

- ساخذ لقمة لجدي .. فانها تحبه ...

- ثم لم تلبث ان عادت ضاحكة ... وقالت لي :

- هذا اخوك ؟

- ابن خالتي .

- ولكن اسم ابيه كاسم ابيك تماما وهو اسم مثلك ... واحيانا

شرواله ابيض مثل شروالك .. ثم طعامك مثل طعامه .!

- كلانا نشرب من ماء واحد ...

ولكن الرباط المباشر مالبث ان انقضم .. فقد نقلت الى الصف الرابع نظرا لكبر سني خسر ظهري هذا الراكب الخاص .. وصار وقت الفداء هو كل ما انتظره لا لاكل وحسب ، وانما لتأتي اليانا هي .. وكانت تنقل اليانا اعجاب امها وجديتها بلذة طعامنا ونظافته .. وتقول ، بل لعلها تردد ما تقول الام والجدة : « كيف يقولون بان الفلاحين لا يجيدون صنع الطعام ! »

وتوقفت افواهنا ذات مرة .. اذ جاءت الام بالذات ، وكان غذاؤنا يومئذ لحما مسلوقا ونفاقا ... فقالت :

- هذا اللحم طيب .. هل تأخذونه من السوق ؟

- لا ... امس كان عاشورا ..

- ها ... هل انتم اولاد مشايخ ؟

....

- الا يحسبان ؟

واجبت انا :

- بلى ..! ان لدى زوج خالتي « حكمة »

- ويكتب حجابات ؟

- نعم ...

- هل ياتي الى هذه البلدة ؟

- انه في الفراش ... مقعد ..

وفي اليوم الثالث ارسلت اليه ردا على الحجاب الذي جئناها به شيئا من حلوى لانعرف اسمها وقد اكلنا اكثر من نصفها في الطريق .. كان مدير المدرسة في بعض الايام يرجع قريبا من خروج الطلاب .. وجهه احمر وملامحه زاخرة باشياء كثيرة مختلفة ، ان كان كل شيء يعطي لونا خاصا في وجهه الذي يكون في ذلك الحين مائلا الى الفضب ... ولست ادري لماذا كنا نخرج اثر دخوله ونحمل ماتبقى من الطعام .. ومعظم الطلاب كانوا يرجعون وهم لا يزالون ينهشون الطعام ليشاركوا بلعب الكرة الصغيرة الوحيدة التي كان يملكها شقيقها الثاني .. ولكنه لا يسمح باللعب الا للذين يرضى عنهم .. او يدفعون مقابلا من الحمص او ما يشابهه . اشتركت لأول مرة باللعب .. ظننت ان اللعب بالكرة كاللعب بالكرورة

على بيادر الضيقة ... لا يحتاج إلا إلى عصا .. ثم ضرب التكرورة الحجرية المكورة كمح البيض .. ثم اطلاق الساقين للريح .. وكان لنا قوة الموج .. فاذا ماسقط واحد سقط فوقه الآخرون كمربات القطار الذي يخرج عن الخط الحديدي ...

وكنت آخر من نهض لاتي كنت أول من سقط ، ولم انظر إلى ما وقعت عليه ، بل نظرت إلى الأعلى لأرى في أي جهة صارت الكرة ... ولكن عيني جمدت ... جمدت .. جمدت على رجل يقف على حافة الرصيف المرتفع الذي يمتد أمام المقهى وكأنه تمثال الحرية في أمريكا أو كولومبوس وهو يشير إلى البلاد التي اكتشفها ... مسكني بقوة عينيه وبشاربيه الكثيفين .. وكرسه من أمامه كأنه بلكون مستدير في بناية من الهندسة الحديثة .. وأخيرا تحركت شفتاه .. قال : « ولك مع من تلعب .. هؤلاء مثل أولادك ! »

عندئذ نظرت إلى الخشب اللواتي نصبن في طرف الباحة على مسافة متر من الحافة التي وقف عليها ... وامتد عليهن أسلاك شائكة لتحتمي البصل المفروس داخلهن .. وكنت قد سقطت جميعا لأن وقوعي كان على اقواهن ارتكازا في الأرض !

اعتبرت هذا بيني وبينه .. ولكن ماجرى بعدئذ كان أشد إيلاما .. كان بعد الظهر .. وقد نقل الصف الرابع إلى قاعة الصف الخامس التي ترتبط مع الأولى ببوابة داخلية .. وتشاء الصدف أن لا يجيد الصان تسميع الدرس الفرنسي الذي يختص فيه المدير .. فما كان منه إلا أن فتح الباب الخارجي ... وأمرنا أن يأخذ كل واحد بيد رفيقه ويحني ظهره قليلا ليحسبه الحمار .. ثم يدعو ذلك الرفيق : « تشو .. تشو .. تشو ... »

خرجنا في سلسلة إلى الباحة ... ثم دخلنا القاعة الكبيرة .. لنحضر في الممر بنفس الكيفية .. ونردد نفس الكلمات .. انفجرت العاصفة في القاعة .. ولم يكن ضحك الأطفال في أرجلهم ، كما يقول أحد علماء النفس ، وحسب .. وإنما كان في كل شيء : بأيديهم .. بأفواههم ، وبالقواعد أيضا ... وكنا نحن نضحك ... وازداد الضحك ، فقد أمر المدير بذلك ... ثم طلب إلى كل واحد منا أن يخبر بصوت مرتفع لماذا استحق أن يمسح حمارا ! ..

ومن مزاياء الحميم أن تحفظ طريق العودة مهما كان خطرا ... وكان الخطر في رواد المقهى وصاحب المقهى .. إذ خرجوا جميعا إلى حافة الرصيف .. وصدورهم تكاد تنشق من الضحك .. وكان تمثال الحرية يقول بصوته الجهوري : « ولك هنا اصطبل أو خان ؟ » كنت في آخر القافلة .. رأسي منخفض .. ولكنني سمعته يقول : جلالك الأبيض مائل يابتناع كفر شافر .. شو ما في حد يمسك بدنك .. ما في حد من ضيعتكم بالطاحون !

وكانت كل امرأة واردة إلى العين التي تندفق في طرف الباحة الجنوبي .. أو كل امرأة راجعة في الباحة التي هي طريق في نفس الوقت .. كانت تضحك .. وكانت امرأة قصيرة .. ثيابها نظيفة وفي صوتها خفة ساحرة .. كانت تقترب وتقول لي أيضا : « لاخفف الله عنك .. ألم تقنع حتى جئت إلى المدرسة وصرت حمارا ! » كانت زوجة الرجل الذي انفقت عنده ثلاثة أشهر لتعلم الكندرجية .. ثم هربت منه إلى المدرسة بالرغم من تهديده بأنه سيحمل مدير المدرسة الذي يمت إليه بقربى نسائية على طردي ، وتارة يغريني بأن يترك لي

أجرة الاحذية التي أقوم بتزقيتها .. ! ولكن هذا لم يكن إلا الفصل الضاحك في المسرحية .. إذ لم يكذب يأخذ بنا الجلوس حتى تناول المدير قضيب الرمان الذي جاء به وهيب من بستانهم القريب وأخذ يدعو كل واحد .. فيقف أمامه يصرف « قرب أفوار » .

وكان التلميذ أول ما ينظر إلى القضيب .. وإلى وجه المدير الذي يبدو كالدفاة الكهربائية المتوهجة .. ثم لا يعود يتجاوز « فوزافي » . صار الآخرون لا ينتظرون أن يسألوا .. بل يخلعون أحذيتهم ويركعون على المنبر الذي تقوم عليه الطاولة والمدير ... كانوا يكونون سلفا .. فاثقل يقول : « لم تمت .. ولكن ألم تر من مات .. » .. وكانوا يتضرعون ... ولكن ذلك لا يزيدهم إلا ضربا ولا يزيد الضرب إلا شدة ! ..

وكانت المتناقضات ... فهؤلاء الذين يكون ما أن يخرجوا من تحت القلعة ويأخذوا مكانهم ، حتى يخفوا رؤوسهم ويضحكوا .. ومن يستطيع أن لا يضحك من وهيب الذي كان يأكل حصته بالبقية الباقية من القضيب لأنه كان لا يأتي إلا بقضيب واحد في المرة الواحدة ! أخذ الضرب يخف بعد التلميذ الخامس عشر .. ربما لتعب المدير وربما لشقاء غيظه الذي كثيرا ما كان يرجع به بعد ظهر كل يوم كأنه يقضب في البيت وينتقم من التلاميذ في المدرسة !

وقطعت المسافة كلها ... ما يزيد على النصف ساعة ، من المدرسة إلى الضيقة ، وأنا أعيد لابن خالتي أعجوبة نجاتي من الضرب .. وكما كنت آخر حمار في القافلة ، فقد كنت آخر تلميذ يسألني وهو يرفع المسطرة : « كس كسا » ؟ .. وأصاب رمية غير الرامي !

✱ ✱ ✱

بقيت الطريق لي وحدي .. فأبن خالتي ترك المدرسة ليساعد أهله في الأعمال الزراعية التي تكثر بمطلع الربيع .. وكذلك هي بقيت لي وحدي ... صارت من حين لآخر تأتي بنصبيها من الطعام ... وتضعه بجانب طعامي ، فاتناول منه ، طيبا أو غير طيب ، إذ كان أبي في بعض أحواله يوجب معرفة مصدر الطعام ، ولكنها هي تصر على أن تنفرد بطعامي ..

مرة بعد مرة سارت تسألني عن الضيقة .. فاصف لها الجديا والحملان والمجول وسقي البقرة من العين .. ثم الحمام الذي نملك منه خمسين زوجا والعصافير التي تبني أعشاشها في السندبات الكبيرة التي تظلل البيت .. كانت تقف عن الطعام فترات .. وتقول : « يا ابت أنا مثل هذا .. فهل تأخذني معك فالعب بالجديا .. واركني وراء العجلة .. وآتي بزوج حمام ؟ »

كان الربيع في ريعانه ... وإذا كانت تلك المنطقة تحمد لشيء فهو هذه الخضرة التي تكسو كل مكان ، وتلك الأزهار التي تتخلل الخضرة حتى لكان نسيجا ساحرا انتشر على السفوح والأودية والجبال .. وانعكست خضرته وأزهاره على السماء ..

وعرفت التجارة لأول مرة .. شاهدت التلاميذ يملقون خيطا في حشرة كنت أعرفها باسم « الزمقاع » .. وكانوا يدعونها بالزيز .. ثم يدورون الزيز من طرف الخيط ، فتحدث دائرة ذات أطراف ذهبية ، ويتصاعد منها نغم شجي كالنوعة الصغيرة التي تبث أغاني الحياة في المياه التي ترفها إلى البساتين .. وفي اليوم الثاني اندفعت إلى حومة من الصبيان ، كل يريد أن يأخذ زيزا قبل النفاذ .. ولكن شقيقتها قال بما يشبه الأسف الساخر : « ليس هذا النوع الذي نريد .. هذا

شخصاً قال : « اقرأ لنا مظاهرتكم .. في الصفحة الاولى .. »  
حروف كبيرة لامعة .. في خطوط طويلة : « مظاهره صاحبة في  
الدركيش ! .. » طلاب المدرسة يحملون العلم السوري يهتفون بحياة  
الوطن ويندون بموقف فرنسا ! « » اجراءات مشددة تتخذ بحق مدير  
المدرسة «

وانطلقت الجريدة تصف مظاهرات الاحتجاج على فرنسا التي كانت  
قد وعدت باستقلال البلاد مرة بعد مرة .. ثم نكتت في كل مرة بعد  
مفاوضات طويلة ... وعينت هذه المرة غابرييل بيو الذي رجع بالبلاد الى  
ما كانت عليه سابقا .. وابعد الوطنيون من الحكم بعد ان كانوا قد  
تسلموا شيئاً منه .. ثم اشارت الى الاجتماع في جامع البلدة .. والى  
الكلمات الحماسية التي القيت على المتظاهرين ..

انتهت القراءة التي استغرقت بعض الصفحة الاولى وبعض الرابعة  
.. ولكن الحاضرين خاضوا بمناقشات فائرة .. بعض يقول : « هل  
تستطيع سوريا التي لا تملك خرطوشة واحدة ، ان تحارب فرنسا صاحبة  
الجيوش والطائرات والفواصات ؟ » وبعض اخر يقول : « فرنسا ! لولا  
الخيانة ، لكان الشيخ صالح العلي رماها بالبحر .. أرضنا جبال ،  
الحجرة فيها افضل من البارودة .. ولكن الله يلعن الخيانة ! » والذين  
كانوا قد قصوا شطرا من حياتهم هجرة في الاجنتين .. كانوا يقولون  
للذين لا يرون نفعا للمظاهرات وصراخ تلاميذ المدارس في الشوارع :  
انتم لم تروا بلاد العالم .. المظاهرات تغلب الدولة ! .. »

وفي اليوم التالي رجعت وانا اتناول « زوداتي » لقمة وراء لقمة ..  
لم اكن جائعا ولكنني عندما اغضب اريد تزويق اي شيء .. كانت هي  
التي اخبرتني .. كانت على السطح فدنن من طرفه مما يلي الطريق  
وقالت بان المدرسة قد اغلقت الى اجل غير معلوم .. وان تحريات واسعة  
جارية لمعرفة الذين خرجوا بالمظاهرة .. وقادوها بخاصة الذين كانوا  
يهتفون بسقوط فرنسا .. ولا بد ان يرد اسمها في القائمة فهي البنت  
الوحيدة التي كانت في المظاهرة .. ثم اضافت بهمس بان المدير قد  
اخذ من داره في الليل .. وربما لا يعود ..

وصلت البيت وانا لا اشعر بالطريق .. فقد كنت اسمع الاناشيد  
والهناقات .. وارى حسنا واسكندر اكبر التلاميذ سنا يخرجان العلم  
الكبير من المدرسة ويجريان ومن ورائهما التلاميذ في الشارع ، والمدير  
واقف بالباب يتصنع مناداة حاملي العلم وتهديدهما ان لم يرجعا ...  
كنت افكر بيوم تان امشي فيه تحت رفيف العلم اردد الهناقات بحياة  
الوطن ويسقط فرنسا .. واجد من السلطة ما يمكنني من اغلاق دكاكين  
البلدة حتى دكان الذي علمني صنع الاحذية .. واهل البلدة ومن يلم  
بالبلدة من القرى المجاورة يمشون من ورائنا وعن يميننا وشمالنا كما  
تمشي الام وراء طفلها في اول مشيه .. وامام عيني تلك الشريطة الحمراء  
التي تخفق في رأسها هي .. في ذلك الشعر الاشقر الفاهي !

✱ ✱ ✱

غير مكان المدرسة .. الاناشيد الوطنية لم تعد تفتح الدروس كما  
كانت في السنة الماضية ، زادت حصص اللغة الفرنسية .. وظهرت رعدة  
قوية في الاكتاف لعلها هي التي كانت تحرك التلاميذ في هذه الباحة  
الجديدة ، كان يوسف الدرويش في اولهم والآخرين يسدرون وراءه  
كالامواج الصغيرة الحائرة امام ذلك القسم الملحق بالبناء الكبير الذي  
كانت فرنسا قد جعلت منه مدرسة اعدادية واكاديمية اثناء احتلالها للبلاد  
.. ثم اهملها عندما لم ترها تخدم اغراضها .. ثم حولت الملحق

زير خشبي .. انما مثل هذا ! وفتح علبة صغيرة مزخرفة كعلبة التواليت  
واخرج زيرا يكاد يكون متساوي الابعاد قد رصع جناحاه ورأسه بالذهب  
... الذهب الطبيعي الحي .. ذهب الربيع ... ذهب السماء الذي  
يطير وليس بنهب الارض القابع في التراب !

ولكن هذا لم يمنع ان ابيع الزير الخشبي بثلاث ورفات بيضاء  
وللكتابة .. ثم ارتفع السعر الى الخمس وبعثت الى العشر .. وصار  
همي اذا ما انصرفت من المدرسة ان اذهب الى اشجار السماق لاصطاد  
هذا النوع من الزير الخشبي ، لان النوع الذهبي لا يوجد الا نادرا كالذهب  
... وكان لا يباع ، الا بنقود قد تصل بالمنافسة الى الليرة ..

وفي الصباح كنت اترك السير على الطريق لاقتش بين الزرع الغض عن  
حشائش الضرمطة والعلباء وقرون الجدي والزقاق .. وهذه كانت  
لها حدتها .. ادفعها اليها في الظهيرة وقد اصابها شيء من الدبول  
الذي يزيد لها لذة ويزيد رانحتها انتشارا .. ولم تعد تأخذ لامها او  
لجدها شيئاً .. صارت تأكل كل شيء امامي وتتسائل عن كيفية زرع  
هذه الاشياء التي لم ترها في حياتها قط .. ولم تدق اطياب منها طعما  
ورائحة !

رايتها تمنليء بالاخيلة الحارة ، وبدأت تفيض بالحب للمجهول ..  
لتلك الضيعة التي تنبت ارضها مثل هذه الاشياء الطيبة .. ونفرت  
ملاحمها لاول مرة ، كانها اصيبت بالاختناق ، وهي لا تستطيع ان تتخيل  
اعشاش العصافير التي تبني في السندبانة ، فتقول : « كيف يعلق القش  
على الفصون .. الا يسقطها الهواء بما فيها من بيض او فراخ ! » وعندما  
قلت لها بان شكل العش كفنجان الشاي ، لم يظهر عليها انها فهمت ذلك ،  
او صدقت ان تتمكن العصفورة من صنع هذه الكتلة المتماسكة ...  
واشتدت الدهشة اذ علمت بان العش يبني بمنقار العصفور ... فقالت :  
« العصفورة تبني عشها بغمها .. ولكن الانسان لا يستعمل فمه الا  
للطعام ! .. »

ضايقتها هذه الاخيلة ، فيما يظهر .. وكانت وراء البلدة مما يلي  
الشرق .. فقالت : « أين هي ضيعتكم ؟ » وهبطت عينها وراء يدي التي  
تشير الى الطريق الملتوية على سفح الجبل الذي نقف عليه ، حتى اذا  
ما بلغت فرارة الوادي ، تصاعدت بالتواء اشد من الاول ... والتفت  
الي سأل بلهجة كان بها بعض التعجب : « هناك .. هناك انتم .. كيف  
نستطيع الوصول الى الجبل .. ان السماء ، كما يبدو ، ترتكز عليه ! »

✱ ✱ ✱

كانت اول مرة اشعر فيها بالحياة .. فقد دعيت الى عيد النوروز كما  
يدعى في اصله الفارسي ، وعيد الربيع ، كما يدعى في الضيعة .. ولم  
اكن هذه المدة بين الصبيان كالعادة ، حاملا المعلقة الخشبية بانتظار  
البرغل المطبوخ باللحم ، والروى بالسمن المذاب بالقشم والرفق باللبن ،  
وانما ادخلت الى حيث يجلس الرجال .. وما كدت افرغ من تقبيل ايدي  
المشايع منهم ، واجلس على كرسي ، حتى دفعت الي الجريدة التي  
تأتي باسم ابي ، وتدفع الضيعة كلها بدل اشتراكها باتفاق عقدها المنتفذ  
الذي كان يرافق صاحب الجريدة ذات الصبغة العشائرية .. كان الجميع  
ينظرون نحوي بابتسامة زادتني ارتباكاً .. اذ ما عسى ان يكون في  
الجريدة هذه المرة ، بل ما هي الدوافع التي جعلتهم يطلبون الي  
القراءة ، وكنت فيما مضى احملها الى معظم البيوت ، ولكن احدا  
لا يصغي لما اقرأ ؟

لعل نظري يضعف عندما ارتبك .. فقلبت الصفحة الثانية .. ولكن

الى مخفر للجندرمه ومدير الناحية .. وحولت البناء الكبير الى مدرسة ابتدائية في الطابق الاول .. والطابق الثاني نزلت فيه عائلة مدير الناحية والطابق الثالث ظل للشمس والهواء والسنونو والدوري ... وكان احمد كوي الذي يقوم بالصيانة على خيل الجندرمه .. كان هذه المرة واقفا على سلم قصير ويمر بفرشاة صغيرة على زجاج الشبايك الطويلة ، فيحيلها زرقاء غامقة بعض الشيء .. اما الامواج الصغيرة الحائرة كانت تهدر بصوت واحد وهي لا تزال تدور وراء بعضها بعضا .. اصوات فيها طرب الصبيان الذين يهزجون للمطر الاول مهما كان عاصفا وقويا .. الصبيان الذين يهزجون وان كان سيل المطر الى ما تحت ركبهم .. كانوا يهزجون هذه المرة : « الحرب .. الحرب .. جاءت الحرب » ولا اخبرت ابي في المساء بان زوبعة هبت في باحة المدرسة .. وحملت ورقة كبيرة .. فراحت بها في الفضاء مرتفعة هنا ومنخفضة هناك ، وبقيتنا نتابعها بانظارنا عبر الوادي العريض ، حتى رايناها تختفي فوق جبل الشيخ موسى في الناحية الاخرى من الوادي قال : « الله يستر - هذه ظاهرة غريبة .. المشتري يقترب من المريح .. الله اعلم حرب ! »

كنا لا نزال في الكلام .. اذ رفعنا رؤوسنا الى مختار الضيعة الذي دخل وقال : « امسكو حماماتكم .. مدير الناحية نبه على كل المخاطر بذبح الحمام - والذي توجد لديه حمامة واحدة لا يلوم الا نفسه ... التنبيهات شديدة .. الحرب وقعت ! »

واستمرت السهرة ... كان في بيتنا معظم اهل الضيعة .. وكان الشبان يضحكون من الحوادث التي اخذ يعيدها الرجال الكبار عن الحرب العالمية الاولى .. والامهات تعقب على ذلك قائلة : « اضحكوا ... ليس السماع كالعيان .. وحياة ذقون اباكم ايام الحرب صعبة .. الله يذكرها ولا يعيدها ! »

\*\*\*

راحت ايام المدرسة ! سنة وراء سنة تمر كان ايامها مسامير حادة طويلة تنفذ من كل عضو من الجسم ... ويدي : واحدة مرفوعة فوق رأسي لا ادري لتحبيه من شظايا القنابل التي تنوقمها في كل لحظة من الليل والنهار .. ويد ثانية احك بها جسمي واود لو ان لي عشرين يدا اخرى لتشبع شرايته حكا .. تلك الشراية التي كانت تفوق شرايتي انا للطعام الذي لم اعد اصيب منه الا حظا قليلا ردينا لا يكفي لتغذية طفل صغير ، ولكن الجرب يزداد شراية كلما زدته حكا .. كنت اشعر به يريد ان ياكل اعضائي .. كانه هو حيوان جائع ، وكنت اشعر بان

صَدَر اليَوْمَ

**صوت في الوطن**

أُتِمَّ ما كَتَبَ كَاتِبُ القِصَّةِ البريطاني الكبير

"لوحججه برياندرلو" الفائزة بجائزة نوبل للآداب

عَنْ الحَيَاةِ وَالْحُبِّ و... الخيالات

منشورات : مكتبة الشرق طرابلس الغرب - ليبيا

شدة الحك وسرعته هي الوسيلة الوحيدة لتخليص اعضائي منه .. وهو نفسه كانه حرب شنت في كل جسد .. حرب بدأت في السنة الثانية لتلك الحرب التي بدأت سريعة كهذا الجرب ، ثم اخذت تتباطأ كأنها تخضع البلدان التي احتلتها اولا ، كما تباطأ ذلك الجرب ليمضغ بتان ثقيل الاجساد التي احتلتها بسرعة ! ..

لم اعد اسأل عن شيء .. فالحكومة تحترق حتى الحرير الطبيعي الذي ما زال العنصر الاساسي في حياتنا الاقتصادية ، نحن ابناء هذه المنطقة القريبة من شاطئ البحر .. والحبوب التي نتجها لا نملك حق الشبع منها ، فانها تقدر في الحقول ثم تقدر ثانية على البيادر ويوضع عليها الحراس .. واذا ما ذهبنا بشيء منها الى الطاحون ، فلا نستطيع ذلك الا بالحصول على بطاقة حمراء من الدولة يذكر فيها الكمية ونوع الحبوب والدابة التي تحمل عليها ، ثم ساعة التحرك من البيت واسم الطاحون التي يذهب اليها .. والا فيؤخذ الحمار الذي يحمل الحب بما عليه ويؤخذ صاحبه ايضا ..

والحمام الذي كان يطير في الفضاء ويلتقط الغذاء من الحقول ... ويحوله الى افراخ ، لم يعد يظهر في الفضاء .. وهو الاخر قد نقص الى اقل عدد لا يزيد على حفظ النوع .. هو الاخر منهم بالهاء الحمام الزاجل الذي تكلفه الدولة بنقل البريد العسكري السري ! ..

\*\*\*

كانت نفسي خالية من الماضي كله .. البلدة هي نفس البلدة ... بضعة شبان يسرون في اخر الشارع الذي يعتبر للبلدة بمثابة المصراع الاعور .. كانوا من الذين اعرفهم .. واحد منهم فقط يعيل الى الطول غير المنتظم .. وفيه نحافة مرتخية ، فدمت اليه كشاعر .. وقدم الى كسائق سيارة .. التفت اليه بقوة .. لا شيء فيه من ذلك المخطط الذي كان مخطط عظمة لشخصية فذة .. حتى الشامة الساحرة التي كانت في طرف شفته العليا ، بدت جافة صغيرة كأنها احدى الطفيليات على برتقالة صغيرة هزيلة ... وعيناه مملوءتان بالنظرات التي تحمل معنى الخسارة فوق كثير من المعاني .. اهذا هو الذي كان رئيس الصف الرابع هذا هو الذي كان يضربني ذات مرة ، مع صفر سنة ، في باحة المدرسة ... فاضطرت انا الى السكوت .. وهو يعرني بانني فلاح .. وكبير السن وحمار في الصف لا تكاد شقيقته تنزل عن ظهري ! ..

وانصرف الي دون الشبان الاخرين .. لم يدعني اسأله عن شيء .. لا يزال شديد الذكاء كأنه ادرك كل ما سأسأله عنه .. فالاب الذي سافر الى المهجر ليبقى بضع سنوات .. مات اثناء الحرب .. وطالت الهجرة الى الابد .. والجدة ماتت في طرابلس .. والشقيقة الكبيرة النسي كانت تنسج الصوف ماتت في الولادة ايضا .. والشقيق الذي كان رئيس الصف الخامس ، هاجر الى البرازيل بعد ان امضى ثلاث سنوات في جيوش الحلفاء .. وكاني اشفتت من شيء فسألته :

- وسلمى ؟

ستتقدم هذا العام لامتحان البكالوريا فرع الفلسفة . طلب شيئا من شعري ، فانه شغوف بالطالعة كما قال .. ولم اكن احمل شيئا من ذلك الشعر لا في ذاكرتي ولا في جيوبي ، لاني اخاف من السخف الذي يصاب به بعض الشعراء فيقراون شعرهم في غير مناسبة ، ولكن احد اولئك ، وكنا قد صرنا قريبين من بيته ، احضر مجلة نهرات من كثرة التداول .. ووضع عينيه على عنوان بحرف كبير « من روائع شعر الجلاء ! »

كانت القصيدة قد القيت في اول مهرجان لجلاء فرنسا عسـن

البلاد .. فرنسا الدولة ذات الجيوش والطائرات والفواصات قد اجليت عن سوريا التي كانت تقاوم بصمود ابنائها تلك الآلات الجهنمية .. فرنسا التي قطعت المفاوضات .. وافتت معاهدة الاستقلال التي احتفظت لها ببعض القواعد العسكرية وبعض الشروط الاقتصادية والثقافية فسي سوريا .. ست سنوات فقط من تاريخ الالفاء كانت فرنسا تجلو بلا قيد ولا شرط .. والبلاد التي كانت فرنسا تحظر كل شيء على اهلها .. صارت البلاد - صار اهلها - يحظرون على فرنسا حتى مجرد التفكير بشيء فيها !..

\*\*\*

سنة بعد سنة تبدلت المصاعب ... كبرت المشاكل كما كبرت أنا، ولكن مشكلة صغيرة كانت دائما وابدا تريد ان تجعلني صغيرا .. صرت في الجامعة .. وكانت الجامعة في مخيلتي وفيما أفراه عالما خاصا لبناء الشخصية التي يفكر فيها الانسان .. كنت اعتقدها التحرر من كثير مما تحفل به الدراسة السابقة ، ولكن التفرير اللعين برز لي في وجه جديد وفي لغة قديمة - لغة الامبراطورية الرومانية .. ولم يكن من فرق بيني يوم كنت اصرف الفعل « ضرب » العربي وقرب افوار الفرنسي .. ثم قرب توبي الانجليزي وبينني الان بنصريف الافعال في اللاتينية ، الا انني في الجامعة استطيع ان افول للاستاذ « اكسيوزمي » دون ان اخاف ان تركب الزميلة ناديا التي ترفع اصبعها كما كانت سلمى ترفع اصبعها في الصف الثالث الابتدائي ، ان تركب على ظهري وادور بها في القاعة، وان كانت سنوات الرسوب التي تراكمت على ظهري اتقل من ناديا فيما لو ركبت عليه !

واشد ما تكون الذكرى الحاحا ، عندما يقف الانسان في الطريق التي يأخذ على نفسها شقها ، يقف كالشيخ الذي بلغ من العمر عتيا ولا يعود يبصر الا ما ورائه .. كنت استعيد هذه الذكريات مع فتاة من البلدة .. كانت تضحك مني .. من ذكرياتي من الجانب الذي استعيدتها منه .. الجانب الذي لا يظهر الا الدخان فوق النار التي تحترق ببطء في حطب اخضر او ميتل بالماء .. وأشارت بيدها ان افف لتوفي كل جملة حقها من الضحك ، كما كانت تقول ... ولكنها هذه المرة اوففتني لشيء اخر .. اوففتني لتقول: « على ذكر سلمى .. دعني اخبرك شيئا عنها ... ارايت عندما دخلت المرة الماضية ، فقامت ثلاث فتيات كن عندي .. كانت سلمى احدهن .. ولما اخبرتها بعدئذ بانك انت الذي دخلت ، اسفت لخروجها .. احقا كنتمما معا في المدرسة ؟ كنت انا لم اولد بعد .. انها تحفظ بعض قصائدك .. وقد دوفت اليها بعض اعداد المجلة التي تنشر فيها من شعرك .. ضحكك كثيرا لهذه الروح الساخرة وشبهتك ببعض الشعراء الفرنسيين ... لا تزال هي ترسب في البكالوريا .. الحب والدراسة لا يجتمعان ، انهما الماء والنار في يد واحدة .. هي تدعي بانها صارت مدرسة .. كذابة .. غليظة .. فمها كبير والمرأة كثيرة الكلام مع ان افواه الكثيرات منهن صغيرة .. مسكينة ماتت امها .. اختها الصغيرة تزوجت قبلها .. هي تقول بانها تخطب كل يوم .. ولكن هكذا تحلم .. دعاية تفتية للاوراق !»

\*\*\*

كنت الولا اخر لقمة من تلك الكعكة المنتفخة في ثلاثة ارباعها والدقيقة في الربع الباقي كذلك النوع من الاقراط النسائية .. لم اكن انتظر الباص في هذا الموقف لأذهب الى مكان معين .. كنت التفت كالجمال الذي اصاع رفاقه .. بلعت اللقمة لآخفها ، ولكن شيئا من الخنة بقي في

صوني وأنا ارد على هذا الذي اخذ يستقصي بالهجة لبنانية ساحرة .. وكان في ردي من الحرارة ما يخفي جهلي بمعرفته .. وهي الحالة التي اضطرت اليها بعدما لم اعد اعرف شخصا انقطع عني مدة مهما كان موقعه مني .. والتفت الشاب الى جانبه قائلا :

- اختي سلمى .

ثم حول يده نحوي معرفا :

- الاديب الكبير .. الشاعر

فقلت بابتسامة اكبر من فمها :

- اعرفه ...

والتفت الي بالباقي :

- كنا معا .. اظنك لم تنس ؟

تذكر ظهري قبل ان يتذكر رأسي ..! كان الذكرى تبيت من حيث يتالم الانسان ...

سلمى .. ارتفعت نظراتي من حيث تقف قدمها على الرصيف .. الى الشعر الذي لم يعد اشقر فاهيا .. وقد اختفت الشريطة الحمراء .. انها طويلة مشوفة كانها السارية التي حملنا عليها العلم في اليوم الذي برز في هذه الذكرى .. وجاء الباص فصعدا فيه .. وبقيت واقفا افرك عيني كأننا مر بهما دخان حاد ، دخان الذكريات المبثلة بالالم البطيء الاحتراق !..

يوسف احمد الحمود

دمشق

(من جمعية الادباء العرب)

دار الطليعة للطباعة والنشر تقدم

# كاليغولا

آخر ما كتبته (قصص من الوهمي)

البير كامو

قال عنها النقاد:

انها الوحيدة بين مسرحيات كامو التي تصور كل فلسفة العبث والوجودية

فترانه

ازاحمت انت تفرم فلسفة كامو فاضر كاليغولا

# مناقشات

## (( فرعون ومحمد ))

بقلم ابراهيم ونوس

.. في كتاب الجغرافيا للصف السادس الابتدائي الذي يدرس في مدارس الجمهورية العربية المتحدة . الاقليم السوري الصفحة ٢٥ فصل جاء فيه عند التكلم عن صفات العرب ما يلي : « وقد انشأوا الحضارات الزاهرة في اليمن ، وادي الرافدين ، ووادي النيل ، وعلى شواطئ البحر الابيض المتوسط » أما في كتاب الجغرافيا الذي كان مقررا في الصام الماضي فقد جاء فيه عند التكلم عن الحضارة العربية صفحة ٧ : كما يلي : « فكان منهم البابليون بين النهرين ، والفينيقيون على شواطئ بلاد الشام والمغرب ، والفراعنة والافباط في حوض النيل ، وكل من سماهم الاجانب الساميين ، وليسوا في الحقيقة اعرابا » .

هذا ما يعرفه طلاب العرب في المدارس الابتدائية ، ثم نرى بعد ذلك من يكتب عن فرعون والفراعنة ، وكأنهم ليسوا من العرب وليسوا من الهكسوس الذين وصلوا وادي النيل عبر البحر الاحمر وسيناء من شبه جزيرة العرب .

.. وسمنا - وان كان هذا يحتاج لدليل - ان علماء الاجناس النازيين لا قوا شبا كبيرا بين جماجم المومياءات القديمة في وادي النيل ( الفراعنة ) والجماجم التي وجدت قرب مدينة ظفار باليمن ، وبطرا المدينة العربية القديمة في الاردن . مما اكد ان هناك رابطة عينية حقيقية بين هؤلاء وهؤلاء . ولكن اعداء النازية اعدوا هذه الكتب بعد انتصارهم على المانيا ، لان فيها تحطما لكل المذاهب التي تتناحر اليوم في العالم . وخاصة : الشيوعية والراسمالية وفرعاهما .

.. ثم لا نستبعد ان تكون الكتابة الهيروغليفية القديمة هي احدى بفرغات اللغة العربية القديمة ، كاللغة الي اسنعملها البابليون زمن حمورابي ، وقد ثبت بالدليل انها مع اخوانها الكلدانية والفينيقية والاشورية من اصل اللغة العربية ، والخط الكوفي ليس بعيد النسبة بالخط الهيروغليفية كثيرا ، ولولا الضوابط النحوية التي وضعت للغة العربية بعد الاسلام ، لكان اليوم لكل قطر عربي لغة الخاصة المشقة من اللغة العربية الفصحى كما حدث للغة اللاتينية في اوربا ، وان كنا نفتقر الى الدليل لكي نقول باللغة العربية قديما ، وعلى العلماء العرب وحدهم ان يبحثوا عن هذا الدليل ، فالاجانب لسن يكونوا مخلصين الابدانهم وحدها ولاستعمارهم ومصالحهم . مع العلم ان مؤرخي العالم اجمع اكدوا ان البابليين ، والفينيقيين، والكنعانيين والافباط والفراعنة والاشوريين والتدمريين هم من النبع العربي ( شبه جزيرة العرب ) .. والذي يؤمن بالدعوة الفرعونية كما ارادها الاستعمار الانكليزي في مصر فهو يسير مع تيار الشعوبية حتما ، دون دراية منه ، كما سار قبله مدعو الفينيكية في لبنان والساحل الشامي والقومية السورية في بلاد الشام ، وهذه قد اثارها الاستعمار الفرنسي والاطالي ، وربما كان الاستعمار في مخططاته العامة متفقا عليها .. والكل يعلم ان لكل دولة

من هذه الدول وزارة تسمى وزارة المستعمرات ، فيها كل الخبراء في التدجيل والتفريق بين الشعب الواحد وفيها كل علماء الافساد .. اثار الانكليز الفرعونية دون ربطها بالتاريخ العربي، وعزلوها عزلا تاما عن ميدانه وعن حوادثه . كما فعل الافرنسيون في تشجيع الحركات المعادية للقومية العربية في سورية ولبنان .

★

.. والاستاذ غالي شكري في مقاله « دفاع عن محمد » برهن عن عدم اطلاعه حتى على مصادر التاريخ البسيطة، التي اصبح يعرفها كل العرب، واني اطلب من الاستاذ شكري قراءة القصيدة الرائعة التي جمعت فيها كل معاني التاريخ العربي قديمة وحديثة المنشورة بعدد تموز سنة ١٩٥٦ في مجلة الاداب صفحة ( ٢٢ ) وعنوان القصيدة ( خلود ) للشاعر شفيق الكمالي وفيها :

انا بالامس قد عشت ..  
ببطرا انطق الصخرا ..  
وفي بصرى ..  
امد قوافل التجار بالماء  
وابائي على الشطين في بابل .  
وقد سرت مع الهكسوس للنيل .  
وفيها صاغ ازيملي ..  
مقاصيرا واهراما ..

روايات التاريخ

اكبر وأوسع سلسلة في تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده

قبل الإسلام

الحكايات الأثرية القديمة  
النماذج الثالث ملك العراق  
بالتقسيم إلى ٣ أجزاء  
زيت ملصقة تدور ٤ أجزاء  
حسنة المحجزة ٤ أجزاء  
الحكايات ملك الأمباط جدران

بعد الإسلام

هند والنذر  
القيمة الساجرة  
فتاة الشام  
عمر وأمر كلشور  
العاشق الجنون  
السفاح والنصير  
أسد وكوش  
الأمير العاشق

منشورات رارا الأندلس

للطباعة والنشر

بغروت

وفي روما ..

لبست التاج مقداما .. ( فيليب العربي )

وذقت الجوع في الصحراء اعواما ..

✱

.. والاستاذ شكري لا يقع في هذا الخدأ وحده ، والحقيقة ان خطيئته الاخرى اكبر واسوأ لان الذي يسمي العرب الذين حرروا اخوتهم في الاقليم المصري من طغيان الرومان في بدء الاسلام غزاة . فهو واقع في احد امرين :

١ - اما ان يكون منساقا مع دعوات الاستعمار الذي حاول تجزئة الشعب العربي كي يسهل عليه اخضاعه والسيطرة عليه منذ قبيل بدء القرن التاسع عشر .

.. وليذكر الاستاذ شكري كيف كان الانكليز يؤيدون الدعوات الاقليمية، ويبشون البغضاء بين الشعب الواحد في وادي النيل ، وكيف فصلوا بين قسميه : مصر والسودان ، ومن ثم ايدوا بشكل ايحائي كل من كان يقول : « مصر للمصريين » وبهذا يضربون عصافيرين بحجر واحد . يفصلون السودان عن مصر . ويفصلون مصر والسودان عن الوطن العربي، اما من كان يدعو ويشعر ولو بشكل بسيط وعفوي بان القطرين جزء من الامة العربية فقد كانوا يلقون النفي والتشريد وربما القتل من سلطات الاستعمار ، ومن ساعدهم في الحكم آنذاك ..

.. واما في الاقليم السوري فقد شجع الفرنسيون كل الافكار المضادة للقومية العربية ، وفصلوا بين الاقليم السوري ولبنان ، كما فعل زملاؤهم في وادي النيل تماما ، ووضعوا حدودا جديدة للوطن الواحد ثم اثاروا النعرات الطائفية التي زالت والحمدلله من الاقليم السوري ونراها ترتع بكل بشاعتها حتى اليوم في لبنان الشقيق ..

✱

.. ولنسأل الاستاذ شكري هذا السؤال :

« هل قرأت لكاتب او مؤرخ عربي . او حتى من الكتاب الذين ظلمهم الاستعمار قديمه وحديثه . من يسمي المصريين العرب الذين طردوا التركة من بلاد الشام خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر غزاة ؟ .. هذا بالرغم من القيادة الاجنبية ( ابراهيم باشا ) التي كانت تخضع لهد القوات العربية المصرية آنذاك .

الم يلاق العرب في بلاد الشام اخوتهم عرب مصر بالزغاريد والافراح ؟ ثم التعاون مهم للقضاء على الجيش التركي المحتل ؟ الم يتعاون الاستعمار جميعه في تلك الايام في سبيل القضاء على

صدر حديثا عن دار بيروت ودار صادر

## مجموعة ديوان العرب

ديوان جرير	١٠٠٠
ديوان ابن حمديس الصقلي	١٥٠٠
ديوان الخنساء	٣٥٠
ديوان زهير بن ابي سلمى	٣٠٠
ديوان عامر بن الطفيل	٣٥٠

الوحدة ؟ ثم انزلوا جيوشهم عندما شاهدوا تصميم العرب في بلاد الشام على حب ومساعدة الجيش العربي المصري على سواحل بلاد الشام ، واعطوا السلاح للموتورين والخونة من العرب انفسهم . هذا حدث فعلا رغم غموض فكرة القومية العربية والوحدة العربية في ذلك الوقت. ورغم الشك في القيادة التي كانت غير عربية . ان الشعور الذي دفع العرب في بلاد الشام لمساعدة اخوتهم في الجيش المصري هو القومية العربية آنذاك بمفهومها الساذج العفوي ..

✱

.. اما الاستاذ علي بدور ، فقد هاجم بشيء عن الالم : خوفا ومنقرع واما الهول . وهنا خطاه الوحيد ، والحقيقة ان من يسمي العرب غزاة .. ويقرنهم بالاستعمار التركي الانكليزي ، مع العلم انه يصم الملايين العربية سكان الاقليم المصري كلها بهذه الوصمة ، ثم نراه يؤمن بشيء، فيجب ان نهاجم هذا الشيء . ولكن ليس بالاسلوب الذي استعمله الاستاذ بدور . وفي رأبي ان من يهاجم هؤلاء : اخناون ، منقرع خوفا تحتتمس الخ .. كمن يهاجم حاتم الطائي . حمورابي معاوية هنيئيل الخ .. ما دمنا عن ايمان راسخ بانهم جزء منا نحن القوميين العرب. وجزء من الامة العربية مهما بعدت الشقة التاريخية بيننا وبينهم . ثم ليتساءل الاستاذان الكريمان من أين أتى هذا الاسم : ( ابو الهول ) . وهذا ( خوفا ) وهذا ( تحتتمس ) ؟ .. لنفانر هذه الاسماء ببساطة مع كلماتنا العربية الا نرى شبهها . ولو بسيطا ؟

.. اما في المجال العلمي فهذا - كما قلت - من واجب العلماء العرب وحدهم وليس الادباء ..

✱

وفي النهاية اذكر الاستاذين ان العرب اقوى من هذه الدعوات وهذه الافكار الشاذة . وقد رأينا كيف استطاعوا تمزيقها اربا اربا بوحدة مصر وسورية وانتهوا منها تماما . وبقي عليهم ان يشبثوا للعالم اجمع ان الصعيدي في الاقليم المصري ما هو الا فرع للعربي في صحراء نجد او في جبال الاطلس في المغرب العربي ، واخيرا للاستاذين تحيتي العربية .. والى عمل ارحب من اجل الحرية والوحدة العربية .

ابراهيم ونوس

## ليست فرعونية .. وانما علمية

بقلم عاطف احمد

يعاني مجتمعا المعاصر عفاذبة عميقة ، هي تعبيري ايدولوجي صادق ، عن المرحلة الاجتماعية التي نحيها بكل ثورتها وتناقضاتها الباطنة . والنظر الى الحقائق التاريخية من خلال عدسة الشعور القومي الساذج، هو احدى السمات البارزة ، لهذه الازمة . واخضاع الحقائق الموضوعية للحالة الوجدانية ، هو بلا شك خطأ فادح . فهو ليس جناية على الحقيقة فهسب ، وانما هو جناية على انفسنا ايضا .. ذلك ان الوعي العلمي بحقائق الطبيعة والمجتمع ، هو وحده ، القادر على اعطائنا الافتتاح ، الذي نفص به مغاليق الحاضر ، لصياغة مستقبلنا على وجه افضل .

✱

وحينما نعقد مقاومة سريعة بين كلمات الاستاذ علي بدور ، تطبيقا على مقال الاستاذ غالي شكري « دفاع عن محمد » ، وبين كلمات المقال نفسه ، نستطيع ان نلمس الى اي مدى يمكن ان تلتبس علينا الحقائق ، حينما ننظر من زاوية عاطفية محضة . فالدعوة الى حضارة فرعونية ،

نستمد منها القيم ، والأفكار .. والمثل .. هو كل ما استطاع المعلق ان يفهمه من مقال الكاتب . وقليل من التأمل ، يكشف لنا عن مدى خطأ هذا الفهم .

فحينما جعل الكاتب ، اخناتون ، اول من دعا الى التوحيد .. لم يكن يعني بذلك ان « يتخلص الشعب في مصر من الاسلام والمسيحية ، واللفة العربية ليصل الى اخناتون » .. والدليل على ذلك بين . فالدعوة الى الماضي هي دعوة خلفية .. بينما النظرة العلمية للمجتمع - التي يدب بها غالي - لا تلتفت الى الماضي ، الا بمشروط النقد والتشريع ، لكي تجعل منه نقطة الانطلاق الى المستقبل .

والكاتب لا يستهدف من تحليله للدور التقدمي الذي قام به اخناتون ، بدعوته الى التوحيد .. التي كانت ملتقى ديانة المسيح ومحمد ، سوى التذليل على ان الاديان ، قد نهلت كلها من منبع واحد ، منبع من واقع مادي متقارب السمات .. ومن ثم كان التقارب بل التداخل والتماثل احيانا ، بين الديانات الثلاث .. المصرية القديمة ، والمسيحية ، والاسلامية .. شيئا طبعيا ..

واخناتون هنا .. ليس الها لدعوة جديدة تدب بالفراعونية ، وانما هو حقيقة تاريخية جذرية بالتحليل العلمي . والنظرة العلمية للمجتمع ، تؤكد لنا ، ان التكوين الفكري لمجتمع ما ، ينبثق من واقعه المادي ... وليس العكس . ومن ثم ، كانت الدعوة الى استجلاب ايدولوجية قديمة ، اجتمعتنا المعاصر .. غريبة تماما عن المفهوم العلمي الذي يرافق الاستاذ غالي ، في كل ومضات فكره .

وحينما فصل الكاتب ، بين الدين - اي دين - وبين الغزو الاجنبي للشعوب . لم يكن يتكلم بلسان التعصب ، وانما كان يستقري بعدسة التحليل العلمي . فالغزو الاجنبي ، ليس سوى تعبير مباشر ، عن احتياجات مادية جديدة ، نامية في قلب المجتمع ، ونابعة من ظروف حياته ، تبحث عن حل لازمتها في جيوب الآخرين . والشعار الديني هنا ليس سوى قناع .. ولعل في نمو الطبقة التجارية ، ونزعتها التوحدية والتوسعية ، وفي ضعف موارد الجزيرة العربية ، تعليلا كافيا ، للغزو العربي للشعوب المجاورة . وليس يغرننا ان ينطق الشعب المصري بلفة الضاد ... ففي الانحلال اللغوي عند المصريين ، قبل الغزو العربي ، فضلا عن التفاعل الحضاري بين السادة العرب المهاجرين ، وبين المصريين .. بعليل كاف . وان كل ذلك لا ينفي طبيعة الغزو ، فهو ايضا لا ينفي حقيقة الوحدة الجنسية الناتجة من التفاعل الحضاري على مدى الاجيال .. ذلك التفاعل ، الذي اكسب تلك الوحدة سمات ذاتية .. من نوع خاص وجديد .

وبسؤال المعلق « لا ادري بحسب اي مذهب نقدي ، بعمر - الاسماذ غالي - حياة كاتب رواها بقلبه ، على انها رمز لكل ما في افكاره من معلومات عن المذهب الفكري الغريب العجيب الذي يؤمن به ويدعو اليه ؟ » واعتقد ان المسألة لم تعد تتطلب مثل هذا التساؤل . فالمذهب النقدي الذي يبحث عنه المعلق ، ليس سوى امتداد طبيعي للفلسفة العلمية ذاتها ، في ميدان النقد الادبي . و « صبي في المسجد » هي في حقيقتها قصة ، وليس بحثا . هي قصة حقيقية ، منحوتة بعمق ، من صخور واقعنا المباشر ، ومستمدة منه جذورها الضاربة في اعماقه . والعنسة العلمية وحدها ، هي القادرة على اكتشاف هذه الجذور ، وتحليلها ، وتعريفها عن حقيقتها . وحياة الكاتب ، والكاتب بالذات ، ليس سوى تجسيد بشري ، لوجه خاص من وجوه الواقع الاجتماعي العام ، هو

الكيان للكاتب . وهي اذن .. ليست سوى رمز لشيء كبير . والاستاذ غالي ، يقول لنا ، ان العناق بين الشيخ المسلم والتلميذ القبطي ، لم يكن سوى رمز لبداية العناق الكبير بين المسيحية والاسلام ، بعد ان بدأت الرواسب التاريخية التي باعدت بينهما طويلا ، تقوب .. في بوتقة الايمان البشري الجديد . فلم تعد الانسانية الجديدة ، تنادي .. اخي المسلم . . اخي المسيحي .... بل اخي الانسان . هي اذن ، ليست فرعونية . وانما علمية ، وليست تعصبا .. وانما بشرة جديدة ، ووعي جديد .

انني ادعو الاستاذ بدور ان يقرأ غالي ، مرة اخرى .

عاطف احمد

كلية طب القاهرة

## حول مقال (الادب بين الواقع والوجدان)

بقلم حسين علي صعب

في العدد الماضي من الادب الفراء قرأت مقالا بعنوان « الادب بين الواقع والوجدان » وقد حمل الكاتب فيه على العصر الحاضر لانه « قياسي » يهتم بالمادة وابعادها وحدودها دونما التفات الى المثل والاعتبارات المجردة الخارجة عن كل تحديد ملموس : كالشرف والاخلاق ..

وليست قضية المادة والمثل بجديدة ، فقد اهتم بها الفلاسفة اليونان حتى كانت الدافع الفعال لخلق مذاهب عديدة تتبنى اراء متضاربة . فقد اعتبر السفسطائيون الحواس اساسا للمعرفة . وبما ان الحواس تختلف باختلاف الاشخاص تكون صورة الشيء الواحد مختلفة بين فرد واخر .. وذلك بالنسبة لتعدد حالات الادراك . وعليه فقد ابطلوا الحقيقة المجردة لانها في حكم غير موجود ، واقاموا مكانها حقيقة نسبية جعلوا مقياسها المدرك نفسه ، كما انهم اعتبروا الاقناع السبيل الوحيد للتعليم في العالم المادي .

وقد حاول سقراط ان يدحض آراءهم فاعتبر العقل وسيلة للمعرفة لانه يستطيع ان يدرك الكليات . وبذلك يمكن ان نعوغ تعريفا ، على اساس عقلي مشترك - لكل نوع من الحقائق الخارجية .. فالمعرفة والفضيلة توأمان .

## ليلة القدر

مجموعة قصص حوارية

بقلم

الدكتور احمد مكي

نشر : دار المكشوف ، بيروت



اما افلاطون فقد اعتبر الوجودات ظلا لثُل كاملة لا يشوبها نقص او فساد . وقد دفعه الى هذا الاعتبار اعتقاده بان الحسوسات متغيرة متبذلة ، وان النفس قبل حلولها في الجسد كذت تعيش وراء الطبيعة - بصحبة الالهة ، وهي في وجودها مدركة تمام الادراك للحقائق الكلية ، حتى اذا احتواها الجسد اصابها شقاء وعذاب بدأت تنفس من كل شيء محدود لانها تتذكر - عند رؤيته - العالم الكامل الذي كانت تعيش فيه لمعرفتها نوع من التذكر ، والمثال هو الصورة الحقيقية التامة للنوع لانه مؤلف من الاعتبارات الجوهرية .

ثم جاءت فلسفة ارسطو وابتنات من النقطة التي انتهى اليها افلاطون مهمة كل مايناه بشأن الحسوس والطلق ، فجعلت منطلقها الوجودات ومضت صعدا تحلل وتشرح حتى شملت مظاهر الكون وانتهت الى علة الملل « الصورة المجردة الخالية من المادة .. الله » . ويعتبر مبدء السببية من اهم الدعائم التي ركز عليها ارسطو فلسفته ، ولسنا بحاجة الى شرحه اذ المقصود منه الوصول الى نظريته في الوجودات . فقد قسمها الى قسمين : الكمال المحض وهو الصورة الخالية من الهولي . والعدم المحض وهي : المادة الفارقة للصورة . والانسان في نظره عبارة عن صورة وهولي والنفس هي صورته وعليه فهي خالدة . اما الجسم فهو متحول صائر الى الانحلال . فكل موجود عبارة عن صورة وهولي يتحدان في الحسوس ولا ينفصلان الا في اللهن .

انني لم اطل هذه المقدمة الا لابين كيف شغل الذهن منذ الوجود بالحسوسات والمجردات والكمال والنقص ، وكيف احتفل الادب والفلسفة بها . ولقد نجم عن هذا الاهتمام ظهور اتجاهات ادبية عديدة تختلف قريبا وبعدا عن الواقع فمنها من تغنى بالميل فاشتد به الحنين الى الماضي الى الطفولة فراح يفني البراءة والكآبة والحنين . واخر

اتخذ من المواقع قواعد انطلاق يبني على اساسها عالمه الافضل الذي يريده . واتجاه ثالث ظل مشدودا بقيسود الواقع ينقله ببشاعته وروعته . يتضح مما تقدم ان الانسان منذ كان اتخذ الوجودات الماثلة امامه كمواضيع استولت على تفكيره ، وجعلته يتساءل عن علاقته بها وصلتها ببعضها البعض . ولبت العقل البدائي يفشى ظواهر الاشياء من غير ان يلتفت الى المعاني المتكفئة وراءها . اي انه كان يتولاها بذهنه . اما العقل المتحضر فقد تولاه بعاطفته بعد ان نقلتها حواسه فلم يعد يبصر حدودها ومميزاتها البارزة ، بل اتخذها كرمز لا تجيش به نفسه ازاعها . وهكذا يظل الوجدان قاعدة لتأثير المادة ، اذ لولا المادة لا استطاع الذهن بفعالية الوجدان ان ينطلق الى افاق جديدة فوق الحسوسات التي يمكننا ان نسميها قواعد انطلاق .

وذات الانسان ، مصدر الخلق والابداع ، كما عرفها علماء النفس والميتافيزيقيون هي الوجدان الذي يعي ذاته ويدرك الاطوار التي يمر فيها ، وبهذا يفرق الانسان عن الحيوان الذي يحس ويتحرك ولكنه يفترق الى الضمير المتعقل ولا يستطيع ان يقول مثلا «انا اركض بسرعة» .

فهل قصد السيد يوسف الحوراني عندما قال ما معناه : ان الجيل الحاضر لا يتأثر بتأثيرا عاطفيا بالواقع ، بل لا يبصر سوى الارقام والاشياء المادية حتى في المظاهر العميقة التأثير ، ان يجرد الجيل العربي الصاعد الصامد من كل عاطفة صادقة ووجدان فياض ؟؟ هذا الجيل الواعي المتمرد .. المتطلع لافاقه الانسانية والذي استمرت في ضميره جثوة الكفاح فناضل ولا يزال يناضل في كل قطر عربي يرهقه الاستعمار ، وسيتم له ما يريد فينحط مصره بيده ، وقد اورد بالعبارة الواحدة : « عيناه تنظران حيناً لاناس محنني الظهور يرزحون تحت ثقل كتب عليه وزنه » اصحيح ان الفنان العربي محصور في هذا الحيز الذي رماه به الكاتب ثم ما معنى ان يكتب الادباء فيخلدون بما يكتبون ابطال واقعهم ويرسمون للشعب العربي اهدافه وطريقة الوصول اليها ؟؟ هل هم بواد والواقع بواد ؟؟ هل السيد الحوراني لا يعاني مأساة العربي في سائر اقطاره ام انه تأثر ببعض الادباء الغربيين الثائرين على آلية حضارتهم وجاء يطبق آراءهم على شعب يكافح باصرار وايمان في شتى الاتجاهات الحياتية من استعمار خارجي وازهاب اذنايه في الداخل ، ثم ماله يؤكد ان الفن هروب من الواقع الناقص ؟؟ هل الفن هروب بالمعنى الشامل لهذه الكلمة او انه تجسيد لكل امل خضيب راود النفوس المحافظة على اصالتها الناقصة للتحرر والانتصاف لبلوغ اهدافنا الانسانية السامية ؟؟ ولولا الواقع المؤلم والكفاح لتبدله وتحويره لما زخر ادبنا العربي في عصرنا الحاضر بالمعاني الانسانية الخالدة التي نحس بسريانها في الفنون ونستشهد في سبيلها في دنيا الواقع .

واذا كان يعتقد بان الفن تعبير عن احساس الفنان بمعزل عن مجتمعه فهذا خطأ فادح لان الحياة الاجتماعية تلعب دورا هاما في تكوين الشخص .. في ظهور مزاياه ونمو طاقاته التي تجعل منه انسانا . والشخص رغم حريته باعماله الخاصة وعالمه الداخلي لا يكون حقيقة مطلقة بل يظل دائما مشدودا الى وسطه ، كما وانه لا يتاح له ان يستخدم قدرته في تفجير طاقته خارج الدائرة الوجود فيها .. انه فاعل منفعل .

ويناقض الكاتب نفسه حينما يدعو الى المؤالفة بين الذاتية والموضوعية ليكون ادبه خالدا ، وكان قد قرر سابقا بان الفن هروب من الواقع وابتناد عن الحوادث المتغيرة الزائلة ، فكيف يكون الفن - حسب هذا



# صدري اليوم

مجموعة قصصية من نوع جديد  
خيصة الثمن . ممتدة وشوقة

## كتاب الفجر

يصدر بالتالي

زوجة معذب	١٠٠
وشرم الوردة	١٠٠
شهر العسل	١٠٠

مشرقة مكتبة المعارف في بيروت  
ص.ب: ١٧٦١

الراي - خالداً وهو تعبير عن زائل متحول ؟

ويهاجم الفزل الحسي الذي يشر الفرائز الجنسية لانه كما ظهر من مقاله مثالي لا يغطي اي وزن للمادة . فاذا جاز استعمال هذه الاخيرة كلفظة فلسفية يتوجب علينا ان نعود الى ما قرره ارسطو بشأن الموجودات اذ اعتبر كل كائن مزيجاً من صورة وهيولى ولا قوام لاحدهما بدون محرك . وعلى هذا الاساس نستطيع ان نقول بان العاطفة تظل في حالة ركود اذا لم يثرها محرك مادي . ولست احظ هنا من قيمة العاطفة وادعو الى اثارة الفرائز وانما كدليل على اتحادهما .

ويختتم مقاله بالاشارة الى السبيل الذي يتوجب على الفنان اتباعه ليضمن البقاء لآثره الفني فيستشهد بجمهورية افلاطون لانها « فن في تعبير » ؟! ومع ان هذه الجملة مطاة وغامضة فانها تشير - كاخواتها - من طرف خفي الى التعثر الذي وقع فيه الكاتب والى عدم وضوح دلالات الالفاظ الفلسفية في ذهنه ولقد رجع سبب خلود جمهورية افلاطون الى « اسلوب فني رائع قاوم الضياع » ما هو الاسلوب الذي يعنيه ؟! .

ولم تغد جمهورية افلاطون الا لما تتضمنه من تخطيط مثالي لجمهورية متكاملة لا يشوبها نقص ولا يعرفها فساد يستغني فيها الناس عن « القضاة والاطباء » . ومع هذا فان تطبيق مثل انظمتها حلم لان الانسان هو الانسان محصور في زمان ومكان . مع علم مني وجهل من الكاتب بان الدافع الرئيسي الى انتاجها هو الاضطراب والفوضى السياسية والاجتماعية التي عمت عصر افلاطون .

حسين علي صعب

لبنان - بنت جبيل

## المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر

تقدم

## الفلسفة عند العرب

تأليف  
انعام الجندي

هذا الكتاب

\* بسيط في أسلوبه

\* سهل في تعبيره

\* بعيد عن التعقيد والتطويل

\* مرجع لكل من يهتم بالتراث العربي

لا غنى للانسان المثقف عنه

تجدونه في جميع المكتبات

## مسابقات «الآداب»

يسر مجلة «الآداب» ان تعلن عن اقامة  
ثلاث مسابقات سنوية لاختيار:

(١) افضل رواية عربية

(٢) افضل ديوان شعر

(٣) افضل دراسة ادبية

\*

### شروط المسابقة

- (١) يحق لجمع ادباء العربية ان يشتركوا في هذه المسابقة
- (٢) يقدم الكتاب مخطوطة الى ادارة المجلة باسم الكاتب الحقيقي .
- (٣) يشترط ألا يكون الكتاب قد نشر قبل الان . ولا مانع من ان يكون قد نشر في الصحف والمجلات .
- (٤) لا تحديد لموضوع الرواية او الدراسة او الديوان
- (٥) تقبل المخطوطات حتى آخر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ ، وتتألف ثلاث لجان تحكيمية يعلن عنها فيما بعد على ان تصدر احكامها وتعلن نتائج المسابقات في عدد كانون الثاني - يناير - ١٩٦١ .
- (٦) يمنح كل من الرواية والديوان والدراسة الفائزة جائزة قدرها الف ليرة لبنانية او ما يعادلها
- (٧) تعود حقوق نشر الكتاب الفائز الى « دار الآداب » ولا يتقاضى المؤلف حقوقاً اضافية على الطبعة الاولى التي لا تزيد على ثلاثة الاف نسخة

صدر حديثاً عن دار صادر ودار بيروت

### مجموعة تراث العرب

ل. ق.

٢٠٠٠

١٥٠٠

٦٠٠

٧٥٠

٥٠٠

تاريخ يعقوبي جزءان

رحلة ابن بطوطة

رحلة ابن جبير

ولاة مصر للكندي

مشارك انوار القلوب لابن الدباغ

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

## الجمهورية العربية السورية

لرأسل الاداب الخاص محيي الدين محمد

### فلسفة الجوانية .. او البرجسونية الشائنة ..

يطيب لبعض المشتغلين بالفلسفة ان ينشئوا مذاهب ومدارس فلسفية يطلقون عليها الاسماء العربية ، محاولين اخفاء وجهها الغربي ، وحجب ملامحها التي ليست منا .. ومنذ مدة غير بعيدة ، اخذ الدكتور عثمان امين « احد الدارسين الكبار للفلسفة » يحاضر ويكتب ويناقش ويوضح فلسفة « اهتدى ! » اليها « بعد طول درس وتأمل ومعاناة » !! ووقعت هذه الفلسفة « الجديدة » في محظورين ، اولهما النقل عن الغرب ، وثانيهما النتيجة الحتمية لذلك ، وهو نسيان واقعنا ، والهرب من التاريخ ... ونود قبل ان نناقش « الجديد ... » الذي استحدثه الدكتور ان نعرض - بشكل عام وسريع - للقناع الذي خدم الى اقصى حد نظرية برجسون في المعرفة ، والتي اصطادها الدكتور فسي بحره الخاص !.

فالمعرفة في نظر افلاطون هي سمو ورفعة ورقي ، للوصول الى الحالة السابقة التي كان عليها النوع البشري ، فهو يتخيل ان النفس كانت تعيش قبل حياتها الارضية في عالم الهي ، تتأمل فيه الحقائق السرمدية الدائمة الثابتة ، كالعاني والمثل ، وكانت تنعم هناك بحياة سعيدة كاملة في صحبة الالهة ، ثم فقدت هذا الامتياز فهبطت الى الارض ، ومع هذا تشعر برغبة كامنة تدعوها للعودة الى حالتها الاولى ، وهذه الرغبة في السمو بذاتها تتجلى في المعرفة العلمية ، وهي تذكر عالم المعاني ؟ وهكذا فان المعرفة تهيم لنا حالة الكمال التي حرمتنا منها ، وذلك عن طريق اتصالنا بالعالم الالهي .. اي ان المعرفة هي نشدان للكمال عن طريق اتصالنا الداخلي بالله ...

ولا تختلف هذه النظرية الافلاطونية في المعرفة عن نظرية برجسون ، التي هي استمرار لنظريتي افلوطين وسبينوزا ، فبرجسون يدعي ان العمل الحقيقي العميق يرتبط ارتباطا لا انفصام له بمعرفة الانسان لذاته : فليست المعرفة والعمل سوى شيء واحد في عملية الحس « نفس الكلمة التي سوف يستعملها بعد ذلك الدكتور الفيلسوف ... » وذلك يعني ان المعرفة البشرية مفروقة الى اثنين : اولهما هذا الاتصال للمسي بالاشياء لمعرفة قوانينها ، وثانيهما هو هذا الكشف الباطني المقدس للاتصال بالحكمة وبالسر وبالالوهية ..

وجدير بالذكر ان ننبه الى ان نظرية الدكتور عثمان امين ، ليست مكتملة كنظرية تفسر كل شيء ، انما هي مجرد ايماء سريع الى نظرية المعرفة الروحية التي ارتقت الازهان منذ افلاطون ، وظلت في ترجيح وخفقتان بين التسليم والرفض ، طيلة العصور الوسطى حتى تسلمها مطلع القرن العشرين ، ليرد بها على فلاسفة القرن السادس عشر الماديين ..

ففي نظر الدكتور عثمان امين ان « الجوانية » : « فلسفة تحاول ان ترى الاشخاص والاشياء رؤية روحية ، بمعنى ان تنظر الى « المخبر » ولا تقف عند « المظهر » وان تلتمس « الباطن » دون ان تقع في « المظهر »

وان تفحص عن « الداخل » بعد ملاحظة « الخارج » وان تلتفت دائما الى « المعنى » والى « الماهية » والى « الروح » من وراء اللفظ والحس والظواهر والاعراض .. » يستطرد الدكتور زيادة في الايضاح : « واذن فالفلسفة الجوانية تنطوي على ضرب من الميتافيزيقا يمكن ان نسميها ميتافيزيقا « الرؤية الواعية » ، وبديهي ان هذه ليست هي الرؤية الحسية الفزيولوجية ، بل هي رؤية جوانية نفسية ، او الرؤية « بميون الروح » ، وهذه الرؤية الانسانية الواعية انما تتجلى فيها حكمتنا وتجربتنا ورويتنا . والفلسفة الجوانية اذ تروم معرفة الاشياء والاشخاص معرفة ميتافيزيقية حقيقية ، اي معرفتها عن طريق المبادئ ومن الداخل وبنوع من التألف الحدسي ، انما تنادي بما نـسـادى به برجسون .. »

« ان الفكر الميتافيزيقي .. » كما يقول « هو في صميمه وعي متدبر للعلاقة بين الروح والوجود لانزاع في ان غاية الميتافيزيقا ان تؤدي الى معرفة . ولكن لن يكون لدينا فكرة عن هذه المعرفة ، مالم يكن هنالك جهد يبذل للتأمل والروية في خلوة روحية . واذن فاول شروع الفكر الميتافيزيقي هو مجاوزة المظهر . والنظر الميتافيزيقي التأملي الجواني يقربنا من الاشخاص وبنينا من عالم الانسان ... »  
وتنتهي محاضرة الدكتور التفصيلية الى ان مايفتقده الناس هو « الايمان بالله .. والولاء للانسان .. » !!

لا شيء يمكن ان يكون ادعى الى الصحة من ان الفلسفة تستطيع ان تستعيد ملامحها القديمة في اي عصر ، وفي اي مكان ، وبأي قدر من القوة تشاء .. وذلك يثبت - لا قوة الفلسفة ذاتها - بل حاجة الناس الشديدة اليها ، لدرجة اختراعها احيانا ، وسرقتها في غالب الاحيان .. فالرواقية يمكن ان تظهر مرة اخرى في القرن الحادي والعشرين ، كما يمكن للافلاطونية ان تظهر في القرن الثاني والعشرين ، اذا ظل العلم على ما هو عليه الان من تقدم بطيء ومشتت ، واذا ظلت الاسرار القديمة كما كانت ، اسراراً بدون تفسير ولا شرح ، كقضايا المادة من داخل ، ونشوء الحياة العضوية من المادة ، وهذا القرار الكوكبي للمجموعات السديمية في الفراغ ..

فلو استطاع العلم ان يفك هذه الرموز ، وان يشرحها ، ماتت الفلسفة الميتافيزيقية ، ودفنت بغير احتفال ، لان مايقى عليها الان ، هو تقصير العلم وبطئه الشديد في الكشف والازاحة . وتاريخ الفلسفة الميتافيزيقية ، هو تاريخ الصراع ضد العلم ، وضد القوانين الرياضية الارضية ، وليس عجيبا ان هذه الفلسفة ، التي امكن لارسطو ان يطورها وان يخفيها عن عيون الاجيال ، بدأت في الظهور مرة اخرى ، وبحدة اشد في العصور الوسطى على يد اوغسطين وتوما الاكويني ، لان المسيحية استطاعت ان تأسر النفوس في عصر انحط فيه العلم انحطاطا شديدا ، ولان السلطة المسيحية استعملت اقصى واشد التدابير لمنع الازهان عن التفكير ، لدرجة انها احرقت العلماء احياء ، واحرقت كتبهم ومؤلفاتهم وسحنت واوقفت عددا عظيما من التلامذة الذين رفضوا الانصياع للجواب المسيحي الميتافيزيقي ..

كان ظهور التيار الميتافيزيقي في العصور الوسطى طبيعيا جدا مع هذا الفشل الساحق للعلم ، ولقي هذا التيار تجاوبا مع ظروف

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

العصر التاريخية ، لان التناقض بين المادة والروح ماعاد قائما بعد ذلك الانتصار الممتع للكنيسة ..

اما في مطلع القرن العشرين فلم يكن ظهور التيار الميتافيزيقي طبيعيا الا لكونه ميلا نحو مقاومة الآلية ، واقبالا صوب النزعة الانسانية ، كما بدأ في ملامح برونشفيج وبلوندل وبرجسون ..

واذن ، فالضرورة التاريخية ، والظروف انادية هي التي تؤهل الجو لطغيان تيار من التيارين اللذين تجاوبا ورافقا الانسان منذ القديم : المادية والمثالية .. وكانت احدهما تموت لان الظروف التاريخية تقتلها ، ولان نفس هذه الظروف تبعث الحياة في الاخرى ..

وفي منتصف القرن العشرين اصيبت المثالية بخيبة امل كبرى على اثر الانتصارات الرياضية والعلمية العظيمة التي سجلها الغرب وفتح بها عالما جديدا على الوعي الانساني ، قفز به من صندوقه الاسر القديم الى رحابة دنيا واسعة فسيحة مجهولة .. وكان ذلك الانتصار يعني ان الارادة الانسانية لا حدود لها ، وان المنطق المادي الكاشف ، لا بدله من اسبقية ، لان حاجتنا الاولى ليست الايمان ، بقدر ما هي المعرفة .. ان المعرفة الروحية ليست الا معرفة الله ، وفي هذا المقام لا نستطيع ان تجاري الهند اوفارس او الصين ، واذا شئنا الاطلاع على ما تؤدسه هذه المعرفة من بلبلية وابتماد عن الانسان ، يمكننا ان نرجع السى الباجافادكيثا واليوانيشاد ، وكتب التصوف الهندية والفارسية ..

ففيها اكثر من غيرها ، هذا الافتتاح الحدسي الداخلي على الانسان وعلى الاشياء ، وفيها هذا النظر الكشفي ( الجواني ) ... وفيها مجاوزه للمظهر ، وفيها اكثر من ذلك ... فيها الحض على الحب الاخوي بين الانسان واخيه الانسان ، وفيها نلتمس الادراك والتعاطف للمخطيء والمسيء ، وفيها اخلاقية مسيحية ، وبالاختصار ... فيها جوانية حقيقية !!

ان الاسترشاد بالغيبيات يعيدنا الى طريق الجهل واللامعرفة والضعف ، لان الفلسفة الميتافيزيقية لا تعرف الارض ولا تعرف الظروف التي تخلق الانسان الارادة . الفاعل . الثوري ، الذي يدرك ان عليه ان يحمل عبء الارض وعبء ان يكون حرا ، وان يفرس مفهوم الاشتراكية . وهذه الدعوة التي يجريها بعض المثقفين ، ويجربون تأثيرها في تلامذتهم ومريديهم ، لا ثمر الا في ابعاد الازهان عن الظروف التي نعيشها الان ، والامجاد التي نطمح اليها في هذه اللحظة من تاريخنا الانبعاثي .. وان الحض على هذه الروحية لا يسهم الا بعرقلتنا وبوضع الخوازيق في طريقنا بامثال هذه الكلمة : « لانزاع في ان غاية الميتافيزيقا ان تؤدي الى معرفة .. » نعم .. ولكن الى اية معرفة .. ؟

الى اية معرفة تؤدي الميتافيزيقيا ؟؟ اليس الى الروح والى الخطود والى الايمان بالتراث اللاعقلي واللامنطقي للانسان في اشد حالاته تعصبا للمجهول ؟

لقد شعبنا طيلة تاريخنا كثلثة وروحانية وأفلاطونية وبرجسونية .. فاذا كان بعض مثقفينا يظنون ان نقل الفلسفة يوازي ارتجالها ، او ان سرقتها تساوي خلقها فان علينا نحن ان نرد بان وجهنا العربي يرفض المسحوق الاوروبي ، وان راسنا واسعة على القبة .. وليس الدليل على جهل هؤلاء الاساتذة بواقعا العربي الا اصرارهم على ابتذاع او نقل

فلسفة آمنوا بها وحدهم في عزلة عن الارض التي تميد من تحتهم ، وترجوهم ان يحسوا بها وان ينظروا اليها .. وسوف تموت هذه الجوانية ، لانها سمكة ولدت فوق الارض ، يلزمها البحر لتعيش وتنفس ، ويضربها هذا الهواء الذي تنتفسه نحن ونشمه ..

لان ما نطالب نحن به الان ، ليس العودة الى الغيبة ، بقدر ما هو اتاحة الفرصة للمجتمع العربي ، لان يؤمن بالعلم وبالتحول وبالعدالة .. وفي طيلة المدة التي كانت الفلسفة الاسلامية رائدة فيها للذهن العربي ، كان يصحبها السفسة واللغو والاحاديث الخرافية البعيدة عن العقل ، كالبحث في ماهية الروح ، وفي شكلها هل هي ضوء اخضر ام اصفر .. الخ .. لان الفلسفة الاسلامية كانت بحثا في الميتافيزيقا ولم تأذن لها السلطات ، ولا التقاليد ، بان تتحول من شكلها الطبيعي ، الى النقيض الطبيعي خوفا من حدوث حركة فكرية ثورية ، تغير الارض ومن عليها ...

والان ...

لا نستطيع ابدا ، ولا يمكن ابدا ، ان نسمح في هذه الفرصة الباقية التي سنحت في تاريخنا ، ان تعيدنا بعض الازهان المشتتة بالفلسفة ، والتي تفصل باستمرار الواقع الارضي ، وبين الدراسة الحلوة المشوقة الرائعة في المكتبات والمنازل الدافئة ، لا نستطيع ان نسمح لها بان تعيدنا الى جمودنا القديم ، بكل ما يصحب ذلك من خطأ وموت وعدمية وانتهاء ...

صدر حديثا

## مَوَالِيدُ الْأَرَقِ

لون جديد في ادب المقالة

للاستاذ محمد النقاش

دار العلم للملايين

## النشاط الثقافي في الوطن العربي

## الارتجالية في السينما المصرية ...

ماذا تعني السينما ؟ ولماذا وجدت ؟ ولبن تتوجه ، وهل لها رسالة ام لا ؟ وما هي رسالتها ..؟؟ وعشرات من الاسئلة الاخرى الهامة جدا ، والتي لم تخطر على راس مخرج او منتج او داور لهذا الفن الذي يقتله كل صباح ميلاد فيلم جديد .. ، مادامت الارباح متوفرة ، وما دام الكسب المادي هو النتيجة الاولى والاخيرة من وراء هذا الطوفان الفضي .

إذا وجد الممثل الجيد ، افتقد المخرج أو المصور الجيد ، وإذا وجد هؤلاء اختفى المنتج أو ضاعت القصة والسيناريو ، وبالاختصار ، فإن ضياع ملمح من هذه الملامح أو ضياعها جميعا شيء متوفر جدا في السينما المصرية ، لأن الامر في اذهان القائمين به هو عملية تهريجية موجهة الى مهرجين جهلاء .! فلم العناية اذن ، والنصب في محاولة تقديم افلام نظيفة من كافة وجوهها .؟؟

فن السينما هو فن القرن العشرين ، بصفته التعمير الأكثر قدرة بالوصول الى أغوار الناس ، وإلى أكبر عدد منهم ، وبصفته المذبح الذي تتحول فيه الفرائز المنحطة إلى عواطف طبيعية معلقة ونظيفة ، إذا لاحظنا أن السينما هي الخلفية الطبيعية للمسرح ..

ولا يمكن ان تقوم لهذا الفن قائمة اذ لم يتفق بالتبادل مع كافة الفنون الاخرى ، على ان يستخدم ميادين نشاطهم جميعا ، فالسينما لا تعني شريطا به صور ، انما هي الرسم والموسيقى والديكور والاضاءة والالوان وعلم النفس والاخلاق والفلسفة والاجتماع والرياضة .. وكل ما يشبه

## صدر حدیثا

ذُرِّيَّاتِ الْاِسْلَامِ

**بقلم جماعة من المستشرقين**

**ترجمة الدكتورة انيس فريحه وكمال اليازجي ونقلوا زياده**

والاستاذين محمد توفيق حسن ومحمود الحوت

٥٠٠ صفحة من القطع الكبير - الثمن ١٠ ل.ل

منشورات مكتبة الاندلس - بيروت

النهج والمهارة ، وكل ما يخطر على البال من فنون وعلوم تتقدم بالإنسان وتسهم بتطويره وأغلاء شأنه .. من هذا المنطلق تصبح السينما هي وجه المجتمع من ناحية ، وبواسطة هذا الكشف عن ملامح مجتمعيها وتقديمه وتطويره ، ومشاركتها بتوطيد صلة الفرد الحديث بكل ما يربطه بالعالم من اختلاف واتفاق ، تصبح وجهاً للعصر من جهة أخرى ، أي أنها بتقديمها للعناصر الخاصة جداً في الوطن ، وشرحها ، تسهم بإضافة شيء جديد إلى المعرفة الإنسانية من حيث شمولها ..

ولذلك اختلفت ملامح السينما السوفيتية عن الإيطالية وعن الأمريكية وعن الفرنسية ، بل ان السينما اليابانية المعاصرة - لانها الدولة الوحيدة التي جربت عذاب الانفجار النووي والانسانيته - تهتم بان تقدم للجمهور غذاء سلاميا يهدف الى تطوير فكرة الحرب والنزاع وتحويلها الى فكرة الخير والحب والعمل من اجل السلام والمصالح الاخوية المتبادلة ..

ان فكرة الرباط بين الانسان ومجتمعه ، والانسان وعصره ، لا يمكن ان تقرب عن بال المهتمين بالسينما ، فمن اجل ذلك وجد هذا الفن العظيم وليس من اجل اية قيم اخرى . .

وصحيح ان الفيلم يمكن ان يكون مادة سيئة وشريرة ، كما هو صحيح ان الكتاب يملك هذه الامكانية ، ولكنه يبقى صحيحا ان امكانية المشاركة في التقدم الانساني مغلقة في الطابع الاساسي لفلسفة السينما ..

فالتأكيد على أن الصورة تظل صورة في ذهن الناظر ، وأن القيمة الأخلاقية تظل باستمرار قيمة عينه وحسب ، لأنها معروضة في رسوم ، هذا التأكيد يبطل فوراً إذا لاحظنا مدى تأثير السينما السيئ والحسن في نفسية المشاهدين ..

ان السلطة تقبض على الشخص الذي يملك سلاحا غير مرخص به ،  
وتحاكم الاخر الذي يطلق الرصاص على الجمهور ، او على فرد واحد ،  
ولا نجد نحن اي غرابة في ذلك ، لان ما تفعله السلطة هو السلوك  
الطبيعي ازاء كل ما من شأنه ان يفسد المسار الطبيعي للأفراد وللجمهور.  
ولكن نفس السلطة تترك هذا السلاح الهام في ايدي الجاهلين به ،  
تطيش ضرباته هنا وهناك ، تفتسد النشاء ، وتمطل الازدهان ، وتكيلها في  
الحسن والمخدرات ، والتهرج والرقص ..

هذه العناصر التي هي اهم ما يشغل بال السينمائيين المصريين ..  
 فهل يمكن للدولة او للنقاد او للناظرين او لاية سلطة اخرى أن تقوم  
 من هذا الاعوجاج الخطير الذي يعطل امكانيات فن يجد ارضه الطبيعية في  
 بلاد اخرى ، ويشغلنا عن ارضنا في بلدنا ذاته ؟؟ هل يمكن لسلطة ما ان  
 تقول لهذا الفن : قف .. لقد ذهبت الى بعيد .. !

الافلام النظيفة في تاريخنا الفني نادرة بنفس النسبة التي لامكانية وجود عليل فوق القمر ؟ وفي نفس الوقت تظهر في الموسم الواحد عشرات من الافلام المكررة السمجة المعافة الشائنة : جنس . خم . رصاص . تهريج . جنس . جنس . رصاص . خمور . رقص . جنس . وهكذا على التوالي لكان عملنا كشعب في الجمهورية العربية المتحدة هو هذه الاشياء الفاحشة .. لكانها نحن حقيقة !

والمفرج المصري يشبه الى حد بعيد ، نملة لا تخرج من جحرها ،  
تتصور ان العالم جميعا هو هذا الجحر ولاشيء سواه ، واذا قيل لها  
ان بالخارج اشياء اخرى عظيمة ورائعة ، فان دخلها بمنعها عن الرفض

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

موجها الى القصة والى التعبير .. اقول للسينمائيين المصريين : اسألوا الشعب المصري الذي رأى هذه الافلام ، تريد قصصا من هذا النوع ؟ اسألوه واحتفظوا بجوابه .. عله يهديكم !!

واذا عجز المسؤولون الفنيون - وهم عاجزون حتما - نتوجه نحن الى وزارة الثقافة بتكليف مجموعة من العناصر الطيبة ، لتختار بعض الامكانيات الشابة وترسلها في بعثات علمية لدراسة السينما كفن وعلم في امريكا والاتحاد السوفيتي والمجر وفرنسا واطاليا ، وذلك يستتبع ان تهتم الوزارة بالتخصص وتفتتت هذا الفن الى جزئياته المعروفة ، فكثيرا ما نلاحظ ان مخرج الفيلم هو بطله وكاتب قصته وكل شيء فيه .. ارايتم الى عبقرية مثل هذه ؟!!

ان المعهد العالي للسينما لا يمكن ان يصنع المعجزات ، فالمللوب هو ان تمهد الارض امام فئة الممثلين الذين يعتبرون الصلة بين الفنون المشتركة جميعا ، وبين الجمهور .. والخلاصة ، ان هذا الفن الجدي العميق ، يشوه بواسطة هـواة ومحترفين لا يفهمون فيه شيئا .. ، فاذا شئنا ، ونحن نشاء ، ان يتحول هذا الفن وان يبدو لنا وجهه الرائع ، وجب ان نبدا دراسة فورية وشاملة لفلسفة السينما قبل كل شيء ، ووجب ان نسال انفسنا : لماذا نمارس هذا الفن ؟ وما هي رسالة السينما .. ولئن تتوجه .. ومن اجل ماذا .. ؟؟؟

محبي الدين محمد

صدر حديثا

## قرارة الموجة

شعر نازك الملائكة

## وحدي مع الايام

شعر - فدوى طوقان

## وجدتها

شعر - فدوى طوقان

## الحب والنفس

قصص - عبد السلام العجيلي

## العودة من النبع الحالم

شعر - سلمى الخضراء الجيوسي

منشورات دار الاداب - بيروت

الحاسم ، فتظل تهز راسها في انكار وابتناسم .. ولا يمكن ان ننسى ما للغة من تأثير هام يمنع المتفرج المصري العادي من مشاهدة الافلام الاجنبية ، لا ليتاثر بها ، بل لجرد ان يوازن ويقابل بينها وبين افلامه .. واذا فهو يعود الى ذلك العذاب ، لانه على الاقل ناطق باللغة العربية .. ولا يمكن لهذا المتفرج المسكين ان يتكلم او يصرخ ويعلم انه شبع زيفا ، وانه يطالب بقيمه الخاصة ، اولا ، لان الصراخ يعني ادراكا ، والادراك يعني الوعي ، وهو مفقود بالمرة .. ثانيا ، لان التيار قوي ، والفرصة بالتفكير معناها ان يقف ضد التيار ، وذلك مستحيل ..

ثالثا ، البعض العارف يعلم ان الصراخ لا يبلغ احدا ..

رابعا ، البعض العارف اصيب بالياس نهائيا ..

فهل يمكن لهذا الداء الشديد الوطاة ، ان ينقلب ترياقا ؟

هناك عشرات الاسباب التي يمكن ان تكون سدودا في وجه فن السينما المصري ، ولكن الاسباب الكبرى معروفة تماما ، اذ تساعد الخلافات على ظهور بعض المقالات في المجلات والجرائد ، تمرى بعض الاستار عن صندوق القمامة هذا الذي لا يحسن حتى تغطية عريه ..

اولا : ليس هناك مستوى معين دراسي للوجوه الجديدة ، فما ان يكشف صوت جديد ، حتى يصبح فتى اول للسينما .. وما دخل الصوت بالتمثيل ؟

ثانيا : الامر متروك تماما لتقدير المخرج او المنتج الشخصي ومدى ( استنرافه ) للفتاة او الفتى ، للدور الاول في الفيلم ..

ثالثا : ليس هناك مرجع واحد مكتوب باللغة العربية عن هذا الفن ، وكل ما يوجد في المكتبة العربية ، انما هو بعض الترجمات السيئة لبعض الكتب الغربية ..

رابعا : النقد السينمائي مفقود بالمرة ، والنقاد المثقفون معدومون تماما بسبب من هذا التطلب الشديد للمؤلفات المكتوبة من ناحية ، وبسبب صداقتهم الحميمة للممثلين والمخرجين من ناحية اخرى .

خامسا : لا يفهم هذا الفن على انه وحدة متكاملة من عدة فنون اخرى يجب ان تترايط وتتحد وتتلازم ، كفريق الكرة ، لتقديم شيء له كيانه .. وبمعكس ذلك ، نجد احيانا اهتماما بالفناء ، واحيانا اخرى اهتماما بالسيناريو .. وهكذا ...

سادسا : يجب ان تتجه السينما الى القصة المصرية بالدرجة الاولى ، قدر اهتمامها بجمال الفتى الاول وخلاسته ، يعني ان تتحول السينما من الاجرام والجنس واليوعة والتنكيت ، الى عرض واقعا الارضي ، والى تكليف كتابنا وروائيينا بتقديم اعمال تصلح للشاشة ..

سابعا : المستوى الحالي من حيث التكنولوجيا فقير للغاية ، ذلك لان الكسب يفري بالتسويق ، لابلاجادة ، وفي الواقع ، هناك عشرات من الاسباب الكثيرة التي تعطل هذا الفن عن ان يكون صوتا لشعبنا وجوابا ..

والمللوب اساسا ان نفكر في تجربة السينما الايطالية التي اذهلتنا واخرجت لنا افلاما عظيمة : كسارق الدراجات ، والارزالم ، وروما مدينة مفتوحة .. بدون اية تكاليف على الاطلاق ، فلم يقد ديكور ، لان القاع كان المدينة بأسرها . المدينة الحية النابضة ... وكان الاهتمام

# في أعدادنا القادمة

## ابحاث

مع الادباء : نجيب محفوظ	فاروق شوشه
ميخائيل نعيمة والكون	محجوب بن ميلاد
احمد شوقي والشعب	محمد خير الحلواني
يوسف ادريس والواقعية الشعبية	جورج طرابيشي
حصار العمر	غالي شكري
نيكراسوف	غالي شكري
صبحية مباركة	عبد العزيز ع. محمود
محمد العيد كبير شعراء الجزائر	ابو القاسم سعدالله
طوبة مدخولة	الطيب الشريف
المداحون روح الكنانة	شريف الرايس
احمد حجازي في مدينة بلا قلب	ناجي علوش
عبد الصبور والشعر العاطفي	عبد المنعم عواد يوسف
العبقرية - لالدوس هكسلي	ترجمة نبيه غطاس
الابطال المهزومون في	محيي الدين صبحي
« العودة من النبع الحالم »	غسان كنفاني
النبع الحالم وحزن الهزيمة	مجاهد ع. مجاهد
الفلسفة وموقفها من البشرية	حسن جواد الجشي
مواقف متناقضة	

## قصائد

من روائع الشعر الاسباني	ترجمة الدكتور احمد هيكل
بابل	خليل خوري
الصمت والشاعر	موسى صردواي
عودة الى المعبد	محمد ابراهيم ابو سنه
من اغاني الحواكير	محمد عفيفي مطر
يا حزن رحمة بنا	مجاهد ع. مجاهد
شيء يولد	فاروق شوشه

## قصص

بطلة جديدة	عايدة م. ادريس
فريزة وخيط معاوية	جان الكسان
نهاية الزقاق	فريد حبيب
عيون الاطفال	علي يدور
ميزانية اخلاق	عبد الرحمن البيك

حضرة الدكتور سهيل ادريس المحترم .. سلاما .. وبعد :  
.. مسابقات « الاداب » التي اعلنت عنها ، خطوة رائعة لخلق ادباء جدد ، وهي قفزة حاسمة في ميدان الادب ، لمجموعة من الادباء الاصليين الذين هم بامس الحاجة ، لمباراة كبيرة كهذه التي فتحت باب الاشتراك فيها ، لجميع الادباء العرب ، يشبتون فيها وجودهم ويقدمون لنا خير معطياتهم .

ولكني احب ان اقترح عليكم بان تجعلوا هذه المسابقات مسابقات كاملة الحلقات ، بحيث تشمل جميع فنون الادب . وان لم يكن ذلك ، فاكثرها على الاقل . واقتراحي هو ان تصموا الى المسابقات الثلاث ، مسابقتين اخريين . الاولى لمجموعة من القصص القصيرة والثانية لمسرحية طويلة . وبذلك تكونوا قد افسحت المجال امام اكبر عدد ممكن من الادباء الشباب ، ولم تحرموا ايا من العاملين في حقل الادب ، من الادلاء بدلولهم ، ويكون ذلك حافظا لهم لكي يجددوا نشاطهم ، ويشحنوا همهم .

آمل ان التقى صدى طيبا لاقتراحي هذا ، ولكم و « للاداب » الغالية اطيب التمنيات .

## ناشد سعيد

تعالق « الاداب » : في نية المجلة تغيير موضوع المسابقات بين سنة واخرى . فبدلا من متابعة الرواية مثلا ، سيعلم في السنة القادمة عن مسابقة للقصة القصيرة او للمسرحية ، بحيث تتناول المسابقات ، سنة بعد سنة ، مختلف الفنون الادبية . وهي الغاية التي يرمي اليها الكاتب .

## مجموعة اعلام الادب الغربي

تعرض حياة عباقرة الادب ونظرياتهم وآثارهم

- ١ - مكسيم غوركي ترجمة : بهيج شعبان ٢٠٠
- ٢ - جورج صائد « : « ٢٠٠
- ٣ - اميل زولا « : رمضان لاوند ١٥٠
- ٤ - دستوفسكي « : بهيج شعبان ٢٠٠
- ٥ - برنارد شو تاليف : عبد اللطيف شراره ٢٧٥

الناشر : دار بيروت

## دولة الفاتيكان

اصغر دولة زمنية واكبر مؤسسة روحية في العالم  
اوسع المعلومات وادقها عن : رجالها ، وانظمتها ورسالتها

نشر : دار المكشوف ، بيروت

## ربيع العرب

خمسة احاديث لخمسة من زعماء الشرق يعالجون  
فيها بصراحة وجراة مشاكل الساعة في دنيا العرب .

نشر : دار المكشوف ، بيروت

# فهرست

العدد الرابع - نيسان ( أبريل ) ١٩٦٠ - السنة الثامنة

١	التاريخ بين القومية والانسانية	الدكتور عزة النص	٥١	« من مذكرات قومي متآمر »	« ع.د »
٨	قرات العدد الماضي من الاداب	الدكتور سهيل ادريس	٥٥	« الهاوية »	سمير تنير
١٥	الله في «الخندق العميق»	سميرة عزام	٥٦	الحب والمطر ( قصيدة )	عدنان كيلاني
١٧	كامو والبحث عن السعادة	بقم جون كروكشانك (ترجمة محيي الدين اسماعيل)	٥٧	حوار ( قصيدة )	عبد العزيز ع. محمود
٢٥	الجوع والضمير والليل (قصيدة)	احمد سويد	٥٨	دخان الذكريات (قصيدة)	يوسف احمد المحمود
٢٨	فصل الخطاب .. في الفرعونية	علي بدور	<b>مناقشات</b>		
٣٣	هدية صغرة (قصيدة)	ناجي علوش	٦٥	فرعون ومحمد	ابراهيم ونوس
٣٤	اشرافات من الشعر المعاصر : مدائح لسان جون بيرس	هاني صعب	٦٦	ليست فرعونية وانما علمية	عاطف احمد
٤٠	مدينة تاكل الجياح (قصيدة)	احمد محمد صديق	٦٧	حول «الادب بين الواقع والوجدان»	حسين علي صعب
٤١	الحصرم (قصيدة)	خالد الشريقي	<b>النشاط الثقافي في الوطن العربي</b>		
٤٥	لهات الارض (قصيدة)	ظافر الحسن	٧٠	الجمهورية العربية المتحدة :	
٤٦	مفهوم العمل الادبي	الطيب الشريف	<b>النتائج الجديد</b>		
٤٨	ستظل جزائرنا خضراء (قصيدة)	محمود كلزي	٧٩	صندوق البريد :	
٤٩	نبوة (قصيدة)	كامل ايوب	<b>حول مسابقات الاداب</b>		
			٥٠	« المفهوم الحديث لرجل الدولة »	اكرم زعيتر
				ناشد سعيد	





أوسع  
شبكة  
لتوزيع  
الصحافة  
العربية  
والاجنبية  
في  
الشرق  
الاطوسط

صحف بكافة اللغات - مجلدات عربية وافرنجية

كتب على أهداف متنوعة

وكلاء توزيع اكبر في الشرق والعالم العربي

المركز الرئيسي: بيروت - لبنان - ص.ب ٤٢٢٨ - هاتفون ٤٧٩٠٠ و ٤٦٩٠١ - برقية: عرب لتوزيع - بيروت

